الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مكتبة الصفاء
للشيخ محمد علي دبوز

جمعية التراث

أعمال الملتقى الدولي الافتراضي

الشيخ محمد علي دبوز

رحمه الله

مؤرّخًا وأديبًا ومربّيًا



تنظيم:

مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

بالتعاون مع:

جمعية التراث

ومكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز

الجزء الأول

يومي الثلاثاء والأربعاء 08 - 09 ربيع الثاني 1442هـ

24 - 25 نوفمبر 2020م

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة غرداية

كتاب أعمال الملتقى الدولي:
الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا
- الجزء الأول -

يومي: الثلاثاء والأربعاء 08-09 ربيع الثاني 1442هـ / 24-25 نوفمبر 2020م

أعدّ هذا الكتاب للطبع والنشر:
أمين مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز
أ.صالح محمد علي دبوز

رئاسة اللجنة العلمية:
أ. د. محمد قاسم ناصر بوحجام.
أ. د إبراهيم بحاز.
تنظيم: مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
بالتعاون مع: "جمعية التراث" و"مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز"
رقم الإيداع القانوني
ردمد: ISSN: 978-9969-9666-2-6
تاريخ الإصدار: أفريل 2026
نشر: جمعية التراث
مكتبة الصفاء للشيخ
محمد علي دبوز
-جميع الحقوق محفوظة-


بسم الله الرحمن الرحيم

الديباجة:

تزخر الجزائر برجال أفذاذ ضحّوا لخدمة الإسلام وعزة الوطن، وبذلوا النفس والنفيس لنفع الأمة وتنوير الأجيال، ومضوا إلى ربهم ثابتين على نهجهم، ولم ينتظروا جزاء ولا شكورا.

من الوفاء والعرفان بالجميل تعريف الأجيال بهؤلاء الرجال، ضمانا لاستمرار المسيرة، وتواصل العطاء، وتأمين الذاكرة الجماعية من داء الغفلة والنسيان، وصونا لأجيال الأمة من خطر الجحود والنكران.

ومن رجال الوطن الذين تركوا بصماتهم في مسيرة الجزائر الحديثة، في ميادين الفكر والأدب، ومجال التاريخ والتراث، ومضمار التربية والتعليم، المؤرخ والمربي الأديب: **الشيخ محمد علي دبوز**.

ولد في ليل الاستعمار سنة 1919 من القرن الماضي، وانتقل إلى دار البقاء سنة 1981. بعد أن أوفى على ستة عقود من الزمن مباركة غنيّة بثمراتها وآثارها؛ قضاها في دأب وجد واجتهاد، يبني النّفوس ويرشد النّاس، ويكتب الأسفار ويصوّب الأفكار، ويحفظ الأحداث ويكشف خبايا التّاريخ، فترك للأجيال تراثا ثمينا في هذه الميادين. وتَميَّز بقلم سيّال، وأسلوب أدبي فيّاض، وفكر وقّاد، وجرأة في النّقد لا تحابي ولا تداهن. فكانت كتاباته مجالا خصبا بما عالجت من قضايا الفكر والتّاريخ، والمجتمع والتّربية، والسّياسة والدّين. وظلّت مثار جدل ونقاش بين المفكّرين في إبّانها؛ ثمّ طواها الإهمال فجهلها اللّاحقون من الأجيال.

هذه المعالم البارزة في شخصيّة الشّيخ محمد علي دبوز وفكره ومسيرته. تجسّد نموذج رجل آمن بالرّسالة، فضحّى لتحقيقها بكلّ غال ونفيس، ودافع عن قناعاته، وبرهن على صواب اختياره بالدّليل، ومارس مبادئه ومنهجه في التّربية وفي التّأليف. فكان تجربة غنيّة، بحاجة إلى دراسة وتقويم، لاستجلاء مكامن القوّة فيها، والإفادة منها في معالجة واقعنا المعاصر، في مجالاته الفكريّة والدّينيّة، والاجتماعيّة والسّياسيّة.

هذه المعالم والآثار شكّلت نواة مشروع علمي، للتّعريف بهذه الشّخصيّة التّاريخيّة. انتهى إلى التّفكير في عقد ملتقى دولي، يبرزها للأجيال الصّاعدة، عرفانا بجهود الآباء وفضلهم على الأبناء. وتذكرة وتحفيزا على التّأسي والاقتداء.

جاء المقترح بهذا العنوان: "الملتقى الدّولي حول الشّيخ محمد علي دبوز، مؤرّخًا وأديبا ومربّيا"؛ من تنظيم مكتبة الصفاء، بريّان. بالتّنسيق مع جمعيّة التّراث بالقرارة، تحت إشراف مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة غرداية.

أهداف الملتقى:

1) التّعريف بشخصيّة الشّيخ محمد علي دبوز.
2) بيان مقوّمات شخصيّته ودورها في نجاحه.
3) التّعريف بآثاره وأعماله.
4) الكشف عن جهوده في كتاباته عن تاريخ الجزائر والمغرب الكبير.
5) الوقوف على مفهومه المتميّز للتّاريخ.

6) إبراز منهجه في التّربية التّعليم.
7) عرض أدبه وتحليله ونقده.
8) إبراز دوره في النّهضة الجزائريّة الحديثة قبل الاستقلال وبعده.
9) الإفادة من تجربته في نشر الثقافة الأصيلة في أبعادها الدّينيّة والوطنية.
10) تقديم دراسات تحليليّة نقديّة لإنتاجه الفكري والأدبي والتّاريخي.
11) تقصّي آثاره المطبوعة والمخطوطة.
12) حصر ما كتب عنه وتحليله ونقده.

محاور الملتقى:

1 - حياة الشّيخ محمد علي دبوز:

- التّعريف بالشّيخ محمد علي دبوز، نسبًا ونشأةً وتكوينًا.
- الشّيخ محمد علي دبّوز والرّحلة في طلب العلم بين القرارة وتونس والقاهرة.
- عوامل تكوين شخصيّته ونبوغه.
- محطّات حياة الشّيخ محمد علي دبوز.
- علاقات الشّيخ دبوز بالشّخصيات العلميّة والتّاريخيّة والوطنيّة.
- معالم شخصيّة الشّيخ محمد علي دبوز وخصائصها: الجدّ والحرص والانضباط والنّظام والحزم والصّرامة و...
- الشيخ دبوز وهموم طباعة الكتاب ونشره.

2 - الشّيخ محمد علي دبوز مؤرّخا:

- مفهوم الكتابة التّاريخيّة عند الشّيخ محمد علي دبوز.

- أسباب توجّهه للكتابة التّاريخيّة وعوامل نبوغه فيها.
- دوره في إبراز النّهضة الجزائريّة الحديثة ، وتقويم ثورتها المباركة.
- التّاريخ والتّربيّة عند الشّيخ دبوز.
- التّاريخ والجانب النّفسي عند الشيخ دبوز
- التّاريخ وبناء الرّوح الوطنيّة عند الشيخ دبوز.
- الشّيخ محمد علي دبوز ومنهجيّة كتابة التّاريخ: الإسلامي والمغاربي والجزائري والمحلّي.
- تأريخ الحركة الإصلاحيّة: المشروع والأفكار، والتراجم والرجال.
- الرّسالة التّاريخيّة في مؤلفات الشّيخ محمد علي دبوز.
- قراءة نقديّة في إسهاماته التّاريخية، ومنهج كتاباته التاريخية.

3 - الشّيخ محمد علي دبوز مربيًّا ومعلّما:

- مفهوم التّربية والتّعليم عنده: تنظيرا وممارسة.
- الشّيخ محمد علي دبوز في الأسرة.
- الشّيخ محمد علي دبوز ومعهد الحياة .
- علاقته بأبنائه وتلاميذه
- الرّسالة التّربويّة والتّعليمية في أعماله وآثاره.

4 - الشّيخ محمد علي دبوز اجتماعيًا ووطنيا:

- الشّيخ محمد علي دبوز والمجتمع المحلّي.
- مقوّمات شخصيّتنا من خلال كتابات الشّيخ محمد علي دبوز

- الشيخ محمد علي دبوز والهُويّة الوطنيّة
- شهادات شفويّة من معاصري الشّيخ دبوز.

5 - الشّيخ محمد علي دبوز أديبا وناقدًا:

- أدب الشّيخ دبوز: المقالات، الرّسائل، المسرحيّات، القصص.
- أدب السّير والتّراجم في كتابات الشّيخ دبوز.
- أدب الشّيخ دبوز من خلال مؤلّفاته.
- الخصائص الفكريّة والأدبيّة والفنّيّة في أدب الشّيخ محمد علي دبوز.
- العوامل والأسباب في تكوين ملكة الكتابة الفنيّة الأدبيّة فيه.
- الشّيخ محمد علي دبوز والظّرف والتّفكّه والنّكتة.
- الرّؤية الأدبيّة والنقدية، في مؤلّفات الشيخ دبوز: تنظيرا وممارسة ومرجعيّة.

شروط المشاركة:

1) أن يكون البحث أصيلاً وغير معروض من قبل أو منشوراً بأي شكل من الأشكال.
2) أن يتراوح حجم الورقة البحثية (3500- 4000 كلمة) = (من 15 إلى 20 صفحة).
3) أن يكون البحث ضمن محاور الملتقى، وملتزما بأدبيات المنهجية العلمية الأكاديمية المتعارف عليها.
4) تكون حيازة البحث: (خط Times New Roman 14) للمتن و(خط Times New Roman 12) للإحالات.

5) أن تكون طريقة الإحالة موحّدة بطريقة آلية، أسفل كل صفحة.
6) أن ترسل الملخصات والمداخلات في ملف إلكتروني مُرفق، باسم السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى، وبالبريد الإلكتروني المبين أدناه فقط.
7) تخضع جميع البحوث للتحكيم العلميِّ، وتُنشر البحوث المقبولة في كتاب أعمال الملتقى.

ملاحظات مهمة:

تعتمد اللجنة العلمية مجموع مؤلفات الشيخ محمد علي دبوز الطبعات الأولى في حياة المؤلف، وما ألّف عنه، وكذا مؤلفاته التي أعيد طبعها بمناسبة تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية سنة 2011 (وهي 11 مجلداً)،

أما المتروك الأدبي المخطوط للشيخ محمد علي دبوز والمتمثل في: كتاب الإصلاح والمصلحون في الجزائر، والمقالات، والمحاضرات، والخطب، والقصص، والمسرحيات، و ...الخ فهو متاح في رحاب "مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز" بريان – ولاية غرداية. وللمعلومات أكثر يرجى التواصل مع أمين المكتبة الأستاذ: صالح بن الشيخ محمد علي دبوز.

تأطير الملتقى:

رئاسة اللجنة العلمية:

أ. د. محمد قاسم ناصر بوحجام (رئيس جمعية التراث)
أ. د. إبراهيم بحاز (مخبر الجنوب الجزائري/جامعة غرداية)

أعضاء اللجنة العلمية:

- أ. د. محمد صالح ناصر (الجزائر).
- د. بن علي الطاهر (غرداية).
- أ. د. صالح بوساليم. (غرداية).
- د. يحيى حاج أمحمد (غرداية).
- د. مصطفى باجو. (غرداية).
- أ. د. بورقيبة داود (الأغواط).
- د. الهاشمي الحسين (تونس).
- د. الحسين بوحبيل (تونس)
- أ. علي محمد علي دبوز (القاهرة).
- د. ين عمر موسى (الجزائر).
- أ. محمد أحمد جهلان (غرداية).
- د. قاسم حجاج (ورقلة).
- أ. سليمان تونسي (باريس).
- د. علي بوجديدي (تونس).
- د. ة بن صغير يمينة (غرداية).
- د. حاج عيسى إلياس (تيارت).
- أ. صالح محمد علي دبوز (بريان).
- أ. سعيد محمد علي دبوز (بريان).
- أ. د. يحيى بن يحيى (غرداية).
- د. فخار حمو (غرداية).
- د. ناصر بلحاج (باتنة).
- د. حمو الشيهاني (غرداية).
- د. إبراهيم براهيمي (قالمة).
- د. بكير بوعروة (غرداية).

د. محرز عبد السلام (غرداية).
- أ. مسعود خرازي (غرداية).

- أ. مصطفى بن دريسو (غرداية).

رئيس لجنة التنظيم:

أ.صالح محمد علي دبوز (أمين مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز / بريان).

أعضاء لجنة التنظيم:

- أعضاء إدارة مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز، ومشرفوها ومشرفاتها.
- اللجنة التقنية لمؤسسة الضياء / غرداية.
- جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث / غرداية.

□

كلمة جامعة غرداية
ومخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

ألقاها الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن بكير بحاز.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

السيد مدير الجامعة المحترم، السادة نوابه المحترمين، السادة العمداء، السادة الأساتذة الأفاضل، الإخوة والأبناء، الطلبة والطالبات، الحضور الكريم في العالم، وعبر الإنترنت السلام عليكم جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته.

لأول مرة في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، وفي مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، يتقدم هذا المخبر، والتنسيق مع جمعية التراث بالقرارة، ومكتبة ومكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز في بريان ولاية غرداية، ينظمون هذا الملتقى ليومين والذي يضم ثلة معتبرة من الباحثين ومن المؤرخين، ومن الأدباء، ومن السياسيين، والذين سيقدمون 44 مداخلة، وستكون عبر هذا الفضاء الأزرق، ونرجو أن يساعدنا تدفق الأنترنت على أن يكون

الإرسال متصلا غير منقطع، هذه تجربة أولى نقوم بها في مخبرنا وفي وفي كليتنا وجامعتنا، وهي تنظيم ملتقى دولي عن شخصية الشيخ محمد علي دبوز رحمه الله هذه الشخصية المغمورة، هو مؤرخ كتب عن تاريخ المغرب الكبير، وكتب عن أعلام الإصلاح في الجزائر، وكتب عن نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، فكتبه منتشرة. ولكن كثير منا من يعتمدها ولا يعرفه، فهذا الملتقى -إن شاء الله- سيعرّفه عبر الفضاء الأزرق، والمشاركون من أربع دول: الجزائر وتونس وليبيا وعمان، وفرنسا. وأما عن جامعات الوطن فنجد مشاركين من جامعات عديدة، وهذا الملتقى سيبحث في الشيخ محمد علي دبوز المؤرخ، والناقد، والأديب والمربي والمعلم والمصلح الاجتماعي والمجاهد، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا، والسلام عليكم جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة جمعية التراث

ألقاها الأستاذ الدكتور: مصطفى بن صالح باجو.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله. أيّها الجمهور الكريم، أيّها المتابعون، أيّها المشاركون في هذا الملتقى العلمي، حول شخصية المؤرخ الأستاذ المربي الأديب محمد علي دبوز رحمه الله، يسعدنا أن نجتمع وأن نلتقي في هذا الفضاء الذي يكون صلة بين هذه الشخصيات وبين المشاركين في هذا الملتقى، للتعرف على هذه الشخصية العلمية التاريخية، هذا الرجل الذي صنع تاريخا وكان أمة بمفرده، وأدرك أن له رسالة فعجّل بالقيام بها، وأوفاها حقها كاملا غير منقوص، قضى حياته مجاهدا في سبيل نشر حقائق التاريخ، وله فلسفته في معنى التاريخ ودوره، وله منهجه في كتابة التاريخ.

وقد حظيت أجيال كثيرة من الطلبة في معهد الحياة بالدراسة عليه، فأدركوا من شخصه ومن معالم هذا الرجل الفاضل الشيء الكثير من القيم التي أراد أن يغرسها في نفوسهم، فعلا كان مجاهدا وكان مؤرخا، وكان مربيا حكيما، وأيضا شخصيته الأدبية التي يلقى بها من يلقاه من المعاشرين،

سواء كانوا زملاء، أم مشائخ أم طلبة، خفيف الظل واسع الصدر يلمح النكتة ويطرب لها، ويبعثها في نفوس الحاضرين ممن يكونون حوله.

هذه الأيام العلمية اجتمعت فيها العديد من الأوراق البحثية، لتكشف جوانب هذه الشخصية المغمورة التي رحلت إلى دار البقاء منذ ما يقرب من 40 سنة، حان الأوان لكي نعيد المياه إلى مجاريها ونربط الأجيال بماضيها، ونذكر الحاضرين بجهود السابقين، حتى يتم التواصل الحضاري بين هذه الأجيال، ويكون فعلا هذا الجيل وفيا لمن ضحّى وجاهد وسبّل حياته في سبيل الحفاظ على هذا المجتمع وعلى هذا الوطن، وعلى هذه القيم، وعلى هذه المثل التي جاهد من أجلها الآباء والأجداد، منذ أن وطأ الإسلام أرض الجزائر، الشيخ محمد علي دبوز رحمه الله فعلا تمثل هذه القيم في حياته واجتهد لكي يغرسها في أبنائه، ومن الوفاء أن نواصل رسالته في التعريف بهذه الشخصية وبهذه القيم، ونؤمن للجيل الحاضر انتمائه الحضاري، ونجعله فعلا جيلا يذكر علماءه فيشكر فضلهم، ويجسد ذلك بالاستمرار على العهد، وبالدفاع عن هذه القيم، وبالحفاظ على هذا التراث، وفعلا جمعية التراث قامت مشكورة بالتفكير في هذا الملتقى رفقة جهات عديدة، في مقدمتها أبناء الشيخ رحمه الله، ممثلين في مكتبة الصفاء، وجامعة غرداية وغيرها من المؤسسات التي آمنت بشرف هذه الرسالة، وأيقنت أنها مسؤولة عن أداء هذا الواجب فتظافرت والتقت وتلاحمت لكي تنجز هذا المشروع الحضاري، رغم تحديات الوباء الذي فصل بين الناس أجسادا، ولكن وسائل التواصل بحمد الله كانت

كافية لرتق وصلة ما انقطع، وتوفير الفرص لبث هذا الفكر ونشر هذا التاريخ وإحياء هذا المجد التليد، الذي أحياه الشيخ محمد علي دبوز وكان غيورا عليه، وحريصا على أن يبعثه في نفوس الأجيال الصاعدة، كان فعلا يتكلم عن التاريخ بحرقة ويتكلم عن الآباء بغيرة، وينافح عن تاريخهم بكل ما أوتي من قوة، ومن أدل الشواهد على ذلك، تضحياته في سبيل جمع المادة التاريخية الخبرية من أفواه أصحابها. كان ينتقل بين البلدان، حاملا مسجلته التقليدية الكبيرة لينقل عنهم التاريخ، ولم تكن له سيارة ولا سائق، ولا وسائل معاصرة، لكن كان له إيمان قوي، ويقين بعظم وثقل هذه المسؤولية، فتحدى كل هذه الصعاب، وتحمل كل هذه المشاق لكي يكون في مستوى هذه الرسالة. وبهذه المناسبة نذكره ونجزي إليه سحائب الرحمة من الله تعالى، ونرجو أن يكون هذا الملتقى صلة وتجديدا ووفاءا لهذا الشيخ الذي طالما تغنى بالوفاء والصفاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز

ألقاها الدكتور: سعيد بن الشيخ محمد علي دبوز.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. سيدي رئيس الجلسة الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن بكير بحاز، سيدي رئيس الملتقى الأستاذ الدكتور الحاج أمحمد يحيى بن بهون، سيدي وأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مصطفى باجو، حفظكم الله ورعاكم مشائخي وأساتذتي الفضلاء، أيها المجمع والمبارك، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

لا أستطيع أن أضيف فوق ما كان يقول أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مصطفى باجو عن الملتقى وحيثياته وأهدافه، وإنما كلمتي هي التعريف بمكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز، كونها هيئة من الهيئات المشاركة في تنظيم هذا الملتقى الدولي المبارك.

منذ أن رحل والدنا رحمه الله في سنة 1981 تاركا وراءه إرثا حضاريا زاخرا، منه ما طبعه قبل وفاته فخرج إلى الوجود بهيا زكيا ليمسي بعد عقود من الزمن مصدرا زخا ثريا للباحثين في تاريخ بلاد المغرب الكبير وتاريخ الحركة الإصلاحية في الجزائر، وترك فيها أو ضمنها، فلسفته في التاريخ والتربية، وشتى فنون الفكر والعلوم الإنسانية

الرائجة في عصره، أخرج إلى الوجود تباعا سلسلة تاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء، ثم نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في ثلاثة أجزاء كذلك، وسلسلة أعلام الإصلاح في الجزائر في خمسة أجزاء، وكلها أخرجها قبل أن يعجله الأجل، ولكن هذا الأجل قد داهمه قبل أن يتم طموحه في كتابة التاريخ، وإخراج ما في صدره من مكنون الفكر والتربية، ليتلقى عنه الراية أبناءه سواء أبناء الصلب أو أبناء الفكر، وطلبته الأوفياء، وما أكثرهم، ليسارعوا لتنفيذ وصيته-رحمه الله- بتخصيص دار لمكتبته تفتح للباحثين والطلبة من الجنسين للمطالعة والبحث في تراثه الضخم الثري، فتيسر لهم ذلك بعد مجهودات وتضحيات بافتتاح مكتبتـــه سنة 1998 في حفل بهيج، يتقدمه مشائـخ المنطقة وأساتذتها ومعاشري الوالد -رحمه الله-، وفي صدارتهم شيخنا الفاضل الشيخ عدون -رحمه الله- وتيسر للمكتبة في هذا الحفل من جمع شهاداتهم عن جهاده التاريخي والعلمية والتربوي والإصلاحي.

بقيت المكتبة منذ ذلك العهد وفية لوصية صاحبها تسعى جاهدة للحفاظ على تراثه المخطوط والمسموع والمرئي، لتبلغه أمانة مصونة للباحثين والقادم من الأجيال، مع الحفاظ على بقائها مفتوحة لكل الباحثين من الجنسين، ورواد المطالعة المستزيدين من معين العلم المصفى. وكان من أبرز أهداف هذه المكتبة منذ افتتاحها توفير تراث الشيخ محمد علي دبوز للباحثين من أجل دراسته والاستفادة منه.

وثمة أهداف لا يتسع المقام لذكرها، ولتحقيق هذه الأهداف تكوّن

للمكتبة مجلس الإدارة، يترأسه أمين المكتبة، ونظام داخلي لتأمين الجوّ الأمثل للمطالعة والبحث والاستفادة من خدماتها، فرفعت لواء العلـــم خفاقا رغم الصعاب والتحديات لتخطو قدما في سبيل تحقيق طموح والدنا -رحمه الله-، ومن أهم إنجازاتها حفظ تراثه المخطوط والمسموع والصور، وذلك بنقله إلى وسائط رقمية، لحفظها من التلف والضياع، ولتكون نعم المعين للباحثين في دراستهم المعمقة لفكر الشيخ محمد علي دبوز وتراثه وإخراج ما لم يطبع منه تنفيذا لطموحه رحمه الله، إذ تجتهد المكتبة لتحقيق ذلك على أرض الميدان، ما تيسرت لها الظروف، وإلى جانب ذلك تنظيم تظاهرات وفعاليات علمية وأيام دراسية، وها هي اليوم تقف بكل استعداداتها المادية والبشرية إلى جنب جمعية التراث لإنجاح هذا الملتقى.

أيها الملأ الكريم: إن فكر الشيخ محمد علي دبوز ميدان فسيح خصب مفتوح للباحثين والباحثات للتنافس فيه، واستخلاص فرائضه الثمينة، ومن هذا المنبر نجدد دعوتنا لكل هؤلاء للبحث في فكره، ونعلن استعدادنا للوقوف إلى جنبهم ومدهم بحاجتهم من وثائق ومعلومات تفيدهم في بحوثهم الأكاديمية، بما لا يخرج على بنود النظام الداخلي للمكتبة، وأصالة عن نفسي وعن والدتنا -حفظها الله ورعاها- وإخوتي وسائر عائلة والدنا الشيخ محمد علي دبوز، نجزل الشكر والثناء الحسن الجميل لكل الهيئات المنظمة للملتقى من جمعية التراث ومخبر تاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة غرداية، ويتقدمهم مدير

الجامعة. ولكل الفاعلين في إنجاح هذا الملتقى من رجال مخلصين أفـــذاذ الذين ضحوا بكل مصالحهـم وراحتهم، في سبيل أن يرى هذا الملتقى النور ولو من خلال ثنايا الفضاء السيبراني، ونخص بالشكر والامتنان أستاذنا الكريم الأستاذ الدكتور: الحاج أمحمد يحيى بن بهون إذ كان لإدارة المكتبـة نعم الرافد والمشجـع والمعيـــن مضحيا،بوقتـــه منيرا ومذللا للصعاب، وما كان منه ذلك، إلا وفاءا للشيخ محمد علي دبوز -رحمه الله-، حفظكم الله ورعاكم أستاذنا، وجعل جهادكم في تنظيم هذا الملتقى وإنجاحه صدقة جارية وذخرا لكم في معاشكم ومعادكم.

وفي الختام نقول لكل من ساهم في هذا الملتقى جزاكم الله عنا وعن العائلة ووالدنا -رحمه الله- خير الجزاء، وأنعم به من وفاء، كما لا يفوتنا أن نقدم أروع آيات الشكر لكل الباحثين الذين سعوا للمشاركة في هذا الملتقى الافتراضي بمداخلاتهم القيمة، والتي ستكون رافضا لمن يعقبهم من الباحثين في فكر الشيخ محمد علي دبوز، رفع الله شأنكم، وأعلى ذكركم وزادكم علما ومعرفة، فشكرا لكم جزيل الشكر. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة اللجنة العلمية للملتقى

ألقاها الأستاذ الدكتور: الحاج أمحمد يحيى بن بهون.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد.

مشائخي أيها العلماء، أيها البحثة أيها المشاهدون في كل مكان، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

يطيب لي باسمي ونيابة عن إخواني أعضاء اللجنة العلمية لهذا الملتقى العلمي الزاهر الموسوم بالشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا، أن نرفع أسمى آيات التقدير والوفاء والعرفان، لجميع الباحثين والمشاركين الذين راسلوا اللجنة العلمية منذ الإعلان الأول عن فعاليات تنظيم هذا الملتقى، فقد استقبلت اللجنة العلمية أزيد من 100 طلب مشاركة، ووصل عدد الأوراق البحثية الكاملة التي وصلت إلى اللجنة العلمية أكثر من 60 مداخلة، انتقي منها بعد التحكيم والتداول بين مجموعة من الباحثين الذين انتدبوا لمهمتي الخبرة العلمية، أزيد من 40 ورقة بحثية، وهي التي ستشارك رسميا من خلال تقنية الدردشة في الزوم. من مميزات هذا الملتقى الذي انتقلنا فيه من الملتقيات المعروفة الحضورية إلى الملتقى عبر تقنيات التواصل الافتراضي، الذي فرضه

علينا هذا الوباء جائحة كورونا كوفيد 19، نسأل الله تعالى أن يرفعه عنا، وأن يمتعنا جميعا بموفور الصحة والعافية. فمن الملاحظات التي يجب أن نعلق عليها ونشيد بها هي، مشاركة طلبة الدكتوراه في هذا الملتقى، وهذا يدل على السياسة الرشيدة التي تنتهجها الجامعة الجزائرية والحمد لله من خلال مخابر البحث، وأيضا تنوع تخصصات المشاركين لأن هناك تنوّع في المحاور، وهذا مقصود من قبل اللجنة العلمية التي سعت إلى أن تسلّط الضوء على حياة الشيخ محمد علي دبوز وآثاره الفكرية، اعتمادا على مؤلفاته المطبوعة أو المخطوطة، ولابد أن نشير إلى تعاون مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي الدبوز في بريان من خلال أبنائه وأنجاله حفظهم الله الذين، فتحوا المجال للبحتة وذلك بإرسال ما طلبه الباحثون من مخطوطات في مجال التاريخ والنقد التاريخي والأدب والتربية إلى غير ذلك، فهذه خدمة مقصودة في ذاتها من أجل، تنمية وتطوير البحث العلمي من خلال فتح المكتبات وتقديم أرصدة، الأرشيف والوثائق للطلبة والباحثين حتى يشتغلوا عليها، كذلك لا بد أن نشير إلى التعاون العلمي بين مخبر الجامعة وبين الجمعيات، جمعية التراث في الصدارة، ثم مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز، فهذا التعاون العلمي المنشود الذي يفتح الجامعة وعلى الآفاق المعرفية في المجتمع، وهذا في سبيل نشر العلم والفضيلة والثقافة الرائدة، والتعريف بالعلماء وبالأعلام.

ومن آفاق هذا الملتقى فتح المجال للباحثين، لتقديم بحوت

جادة في إطار إعداد أطروحاتهم للدكتوراه أو رسائلهم للماجستير، وحتى في مذكرات الليسانس والماستر، للتعريف بالتراث التاريخي والأدبي في الجزائر، بغية إخراج العلماء والأعلام والتنويه بمسيرتهم العلمية الحافلة، وننوه بمجهودات مؤسسة الضياء في الجانب التقني وذلك بفتح نافذة على العالم، من خلال تطبيق الزوم، والذي يتواصل من عبره البحثة من مختلف أقطار العالم.

لقد تفضل قبل قليل فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم بحاز، رئيس اللجنة العلمية لهذا الملتقى، وعدّد عدد الدول المشاركة فلدينا أبحاث من فرنسا ومن ليبيا، ومن تونس، ومن سلطنة عمان وحتى من العراق، وبالنسبة للبحوث الوطنية فهي الأغلبية، وتزيد عن حوالي 15 جامعة ومركز جامعي، وإلى جانب هذا سنقدّم شهادات حية مسجلة من تلاميذ الشيخ محمد علي دبوز منهم: الدكتور محمد صالح ناصر والدكتور محمد سعيد شريفي الخطاط، والفنان التشكيلي إبراهيم مردوخ وغيرهم من المشائخ والطلبة الذين درسوا على يد الشيخ محمد علي دبوز.

وختاما نجدد الشكر لكل الباحثين الذين أسهموا معنا في إنجاح هذا الملتقى، الذي هو ملتقاكم على أمل أن نتعاون ونتواصل في مجال البحث العلمي، ونفتح آفاق البحث من أجل التعريف بتراث الشيخ محمد علي دبوز أكثر -إن شاء الله-، ومكتبة الصفاء وتراثه الشيخ متاح لكل الباحثين الآن من خلال هذه النافذة الإعلامية، نرجو -بعون الله- أن ينجح هذا الملتقى، وأن نخلص بعد يومين من الدردشة وتقديم

البحوث والمناقشات الافتراضية المباشرة على الخط إلى مجموعة من التوصيات العلمية والعملية، وختاما وباسمي ونيابة عن رئيس اللجنة العلمية للملتقى نعلن عن الافتتاح الرسمي لأشغال هذا الملتقى، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا، وأن يكلل المساعي بالتوفيق والنجاح والقبول والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

- المحور الأول -

حياة الشّيخ محمد علي دبوز

التعريف بالشيخ محمد علي دبوز: نسبا ونشأة وتكوينا

أ. سكينة عبد المالك
د. سيدي محمد بن مالك
المركز الجامعي – مغنية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بدأت فرنسا سياستها فور احتلالها للجزائر بطمس معالم الشخصية الجزائرية وتشويه ثقافتها والتشكيك فيها وكذلك فرنسة الجزائريين من خلال القضاء على اللغة العربية وتاريخ الجزائر المجيد، ونظرا لهذا التشويه والتزييف الذي تعرض له التاريخ الجزائري والمغربي عموما، برز المؤرخون في مختلف التوجهات والتخصصات حملوا على عاتقهم عبء كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير قبل الاستقلال وبعده. ومن هؤلاء المؤرخين محمد علي دبوز الذي آمن بأن لا مستقبل لأي أمة دون الاهتمام بماضيها وجعله منصة انطلاق.

فمن هو محمد علي دبوز؟ كيف كانت شخصيته؟ ما هي العوامل التي ساعدت على بناء مثل هذا الرجل العظيم؟ ما هي

الصعوبات التي واجهته عند طباعة آثاره التاريخية؟

أسئلة وأخرى تدفعنا للغوص في أغوار شخصية هذا العلاّمة، ولكي نجد إجابة لكل هذه التساؤلات اتبعنا خطة مكونة من مقدمة ثم التعريف بالشيخ محمد علي دبوز من خلال نسبه ونشأته وتكوينه العلمي ، بعدها عرجنا على رحلته في طلب العلم ثم الحديث عن العوامل التي ساعدت على تكوينه ونبوغه، وخاصة تلك المحطات الكثيرة من حياة هذا المفكر العظيم والمؤرخ الفذ وعلاقاته بالشخصيات العلمية والتاريخية والوطنية، ثم حاولنا إماطة اللثام عن بعض معالم شخصية الشيخ دبوز وخصائصها، وأخيرا همومه عند طباعة كتبه ومعاناته عند نشرها .

1- التعريف بالشيخ محمد علي دبوز، نسبا ونشأة وتكوينا.

1-1 نسبه ومولده:

هو "محمد بن الحاج علي بن عيسى بن كاسي بن عيسى بن حمو بن امحمد بن داود بن منصور بن براهيم دبوز، وداود الثاني هو الذي انتقل من جنوب المغرب الأقصى ثم استقر حينا في جبل عمور جبال بني راشد ومنها إلى غرداية، وكان كل أجداده من كبار أعيان بريان وهم رؤساء عشيرتهم النشاشبة وأولاد يونس"[1].

ولد الشيخ محمد علي دبوز "ببريان في فبراير 1337 هـ/1919م[2] وفي رواية أخرى سنة 1918 "[3] "والده الحاج علي عرف عنه أنه أول معلم له في الحياة، فقد سهر على الاعتناء به

وغرس العادات الجميلة وحثه على طلب العلم والدين منذ نعومة أظافره، أما والدته السيدة عائشة بنت يحيى فقد كان يضرب بها المثل في الجد والحزم، وورث منها ابنها هذه الخصال لا سيما الحزم، وكان لها دور كبير في توجيه سلوك ابنها"[4].

1-2-**نشأته وتكوينه**:

نشأ الشيخ محمد علي دبوز "بمسقط رأسه ببلدة بريان في أحضان أسرة محبة للعلم والعلماء والدين، وكيفية أهل مزاب .حرص والده الحاج علي على غرس القيم الدينية والإسلامية الفاضلة في ابنه وأورثه حب العلم والعلماء.

لما بلغ الخامسة من عمره، عين له والده السيد الحاج اسماعيل فخار أحد عزابة المسجد ليدرسه في دار خاصة وتلقى منه المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة، ولقنه خواتم القرآن الكريم وحفظها.

وفي سنة 1927 لما فتحت أول مدرسة بريان كان ضمن التلاميذ الأولين وهم السادة:

- محمد بن علي دبوز.
- باحمد بن موسى قلو.
- عمر بن سليمان بودي.
- إسماعيل بن حاج سليمان فخار.
- صالح بن عيسى ابن يامي.

- باحمد بن عمر أوراغ.
- قاسم بن يحيى الطالب باحمد.
- باسعيد بن يحيى الطالب باحمد.
- سليمان بن حمو باحميدة.
- محمد بن صالح أبسيس.
- وكان أستاذه فيها الشيخ صالح بن يوسف لبسيس رحمه الله[5].

وفي سنة 1934 نقله والده إلى القرارة فتتلمذ على يد العالم الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض والأستاذ الشيخ عدون (شريفي سعيد) رحمهما الله وغيرهما، وفيها حفظ كتاب الله العزيز واستظهره في شهر أوت سنة 1935 ثم عكف على دراسة العلوم العربية والشرعية والأدبية، وقد كان شديد الرغبة في التلقي حريصا على التحصيل محافظا لأوقاته ذا قلم سيّال، وما زالت مجلة الشباب التي كان يصدرها معهد الحياة يومئذ، تشهد على ذلك وتحفظ لنا الكثير من مقالاته المطولة وفصوله الأدبية الرفيعة ومناظراته ومعاركه الأدبية خاصة مع الأستاذ المرحوم علي يحيى معمر"[6].

2- الشيخ محمد علي دبوز والرحلة في طلب العلم.

ومع تعلقه بطلب العلم "ارتحل الشيخ محمد علي دبوز إلى تونس سنة 1942م، لكي يستزيد في طلب العلم ويواصل

دراسته في الزيتونة والمعهد الخلدوني والمدرسة الصادقية[7] دون جواز سفر، وكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل تونس"[8] ثم "توافدت عليها البعثات العلمية الميزابية"[9] من معهد الحياة مكث في تونس سنتين بين معاهدها ومكتباتها خصوصا للمكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين، فنهل من كتبها في مختلف العلوم كالفلسفة والشريعة والأدب.

***دراسته في مصر:**

لم يكتف الشيخ محمد علي دبوز بالدراسة في تونس، "لشدّة تعلّقه بالعلم والرغبة في مواصلة مساره الدراسي وتحصيله العلمي وتنمية زاده المعرفي، سافر الشيخ محمد علي دبوز إلى مصر حاضرة ثقافية آنذاك ومقصد العلماء وطلاب العلم والحرب العالمية الثانية قائمة سنة 1944،لما فيها من جامعات ومعاهد وما تحتويه من كبار الأساتذة والمفكّرين من أمثال: طه حسين، زكي مبارك، أحمد أمين، عباس محمود العقاد، أنور الجندي وغيرهم..، سافر مشيا على الأقدام عبر ليبيا التي كانت مسرحا للحرب متنكّرا في زيّ أعرابي، ووصلها بعد مسيرة تسعة وعشرين يوما"[10].

"التحق الشيخ دبوز بجامعة القاهرة ورابط بدار الكتب المصرية قارئا ووجد فيها مبتغاه فأصبح الكرسي رقم 61 باسمه"[11].

فانكبابه على الاغتراف وشغفه الكبير بالعلم جعلاه أول الداخلين إلى دار الكتب أيام مطالعاته وآخر الخارجين منها. وبقي في القاهرة حتى سنة 1948 إذ رجع إلى الجزائر بعد أن نال بغيته من العلم هناك.

3- عوامل تكوين شخصية الشيخ دبوز ونبوغه.

إن البيئة التي ترعرع فيها محمد علي دبوز والاهتمام الذي خصته به عائلته خصوصا والداه فقد كانا بمثابة المدرسة التي تغذى منها فكريا وأخلاقيا وتربويا، بالإضافة إلى الاهتمام الخاص الذي لقيه من والده كونه وحيده، جعل منه رجلا ذا مكانة وشأن وسط مجتمعه وبلده والوطن العربي.

كما شكل المناخ الثقافي والديني الذي شب فيه محمد علي دبوز أحد أهم الروافد التي كونت شخصيته، فإلى جانب دراسته في معهد الحياة الذي تعلق به وبمؤسسة إبراهيم بيوض، فقد درس في تونس ومصر، وتشرّب من المعارف في المدارس والمعاهد، أكسبه ثقافة واسعة وهو ما برز في خوضه غمار التأليف.

وحول دراسته في مصر يقول يوسف الواهج: << وفيها درس على يد كبار أساتذتها الأدب وتاريخه، والتاريخ الإسلامي والفلسفة، كما انكب على أمهات الكتب في دار الكتب المصرية فدرس كتبا قيمة في الأدب، والتاريخ، وعلم النفس، والتربية

والعلوم الاجتماعية، وأصول الفقه، وفلسفة التشريع، والفقه الحديث>>[12].

إضافة لكل هذا فشخصيته القوية الباحثة عن الحقيقة كانت سببا في وصوله إلى الحقيقة التاريخية، حيث ظل مؤرخا طويل النفس نذر نفسه لكتابة التاريخ الصحيح وتصحيحه من المغالطات التي تشوبه. هذا بالإضافة إلى زمالته الحسنة وتقديره الكبير للأساتذة وقضى في تربية النشء وتكوين الأجيال إلى أن توفي رحمه الله آخر شهر جوان 1981م.

***التأليف إلى جانب التدريس:**

دخل الأستاذ محمد علي دبوز ميدان التأليف سنة 1950 إذ بدأ كتابة فصوله في تاريخ المغرب العربي الكبير فأخرج لنا ثلاثة عشر عاما من العمل المتواصل؛ موسوعة تاريخية رائعة تحمل تاريخ المغرب مفصلا منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري، يقول عن هذا الكتاب الأستاذ محمد عطية الأبراشي: <<هذا أول كتاب صفى تاريخ المغرب من ربق السياسة القديمة، والاستعمار اللاتيني ونادى بالوحدة والتضامن والمعية والتعاون بين أهل المغرب والعالم الإسلامي>>.

وقد تلقى الكاتب صعوبات كبيرة في سبيل تحقيق هذا العمل الجبار، وسافر إلى أغلب عواصم الشرق والمغرب العربيين لجمع المادة التاريخية في مصادر صحيحة وذلك تقصيا للحقيقة وقام

بجولات واسعة لمطالعة المخطوطات الموجودة في الخزائن القديمة داخل الجزائر وخارجها[13]. وهذه الكتب هي:

1-كتاب تاريخ المغرب الكبير:

وهو "موسوعة تاريخية من ثلاثة أجزاء تقع في أكثر من 1600 صفحة يتناول في الجزء الأول جغرافية المغرب في العصر الحجري إلى الفتح الإسلامي من خلال الذكر الدول والممالك والحضارات التي توالت على حكم المغرب، أما الجزء الثاني فقد تحدث فيه عن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب وأهم الصعوبات التي اعترضت الفاتحين وغيرها من القضايا، أما الجزء الثالث فتحدث فيه عن العصر العباسي وخص الدولة الرستمية بجزء كبير باعتبارها الدولة الإباضية، فحاول دراستها بعمق عبر مختلف مراحلها من التأسيس إلى السقوط"[14].

2-نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة:

هو ثاني كتاب ألفه الشيخ دبوز في أكثر من 900 صفحة. أرخ فيه لنهضة الجزائر وأدوارها في مختلف العصور ونتائجها، إضافة إلى ذلك فقد تطرق إلى تاريخ بعض أعلام الإصلاح في الجزائر ممن كان لهم دور في محاربة المستعمر والدفاع عن القضية الجزائرية[15].

3-أعلام الإصلاح في الجزائر:

سلسلة في الكتب في خمسة أجزاء تقع في أكثر من 1300 صفحة. أرخ فيها الشيخ دبوز إلى أهم أعلام الإصلاح في الجزائر

عامة والجنوب خاصة أمثال العربي التبسي، مبارك الميلي، أبو اليقظان، وإبراهيم بيوض، كما تطرق إلى العوامل التربوية التي ساهمت في بناء شخصية مصلحي الجزائر، والتي كان لهم دور كبير في بلورة أفكارهم فاستطاعوا بأقلامهم وأفكارهم الدفاع عن الجزائر ضد المستعمر الذي سعى جاهدا لطمس الهوية الوطنية[16].

وتمتاز مؤلفاته بأسلوبها الأدبي الجميل ولغتها السهلة المفهومة والعبارة العذبة والتحليل العلمي النزيه، وتحمل مادة تاريخية هامة مصفاة من الأكدار والأكاذيب، وسجلت التاريخ الجزائري الحديث الذي لم يكتب من قبل[17] كما كتب آثارا تاريخية أخرى لم تنشر.

- **آثاره الأدبية:**

تمثلت في بعض المسرحيات حملت عناوين "الجهاد الأكبر" "الحاج عمر بن يحيى"، "الأبناء الثلاثة"، "مسرحية اجتماعية تاريخية". أما عن مقالاته الأدبية فقد حملت عناوين: <<الحسد ودوره في المجتمع>> <<انتصار الحق على الباطل في وادي مزاب>> <<الأمنية الغريبة>> <<أسباب رقي الأمة ونجاح القائد>>.

- **آثاره التربوية:** وتضمنت:

- المنهج التربوي للتدريس: تطرق إلى كيفية تدريس المواد المقررة في معهد الحياة.

- المبادئ العامة في منهج التعليم: يتضمن المبادئ العامة

التي يجب على المدرس والمدرسة الأخذ بها في منهج التعليم.

- معهد الحياة للتربية والتعليم.
- توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإدارتنا.
- نظام تدريس الأدب في معهد الحياة.
- منهج المواد والتوجيهات.
- النظافة والنظام في المعهد[18].

كما كان من أبرز المشاركين في مجلة الشباب عندما كان طالبا وتضمنت مقالاته عناوين:

<<تحليل الأبيات ع 213>>، <<شبه حكاية خيالية ع 228>>، <<الاعتماد على النفس ع 235>>، <<زفرة مصاب ع 252>>[19].

<<الهجرة ع 11/256>>، <<إلى الرفيق الأعلى 1ع 257>>، <<الشباب يلبس ثوبا قشيبا ع 165>>، <<ليلة الزهراء ع 269>>، <<إلى الرفيق الأعلى 2ع 271>>، <<الفداء ع 12/274>>، <<آفة المتعلم ع 281>>، <<الحديث الشافي ع 282>>، <<كلمة في أوانها الحديث الثلث ع 284>>، <<المندبة كبيرة والميت فار 285>>، <<كلمة في أوانها الحديث 2 ع 286>>[20]

كما نشر العديد من المقالات في جريدة البصائر خصوصا بين

سنتي 1948- 1955[21].

4- محطات حياة الشيخ محمد علي دبوز:

بعد مرحلة التكوين الجيد "أنهى الشيخ دبوز رحلته العلمية التي سعى فيها لتطوير معارفه العلمية وتوسيعها، عاد إلى مسقط رأسه. وفي سنة 1948م عاد إلى وادي مزاب، والتحق بمعهد الحياة معلما أين حظي باستقبال عظيم وأقيم له حفل كبير، وفرح أهله وأصدقاؤه خصوصا أستاذه الشيخ بيوض كونه من الأوائل ممن نال شهادة جامعية، (وإن لم تكن رسمية)، وما فتئ أن عُيّن الشيخ دبوز مدرسا لمادتي الأدب والتاريخ، وساهم بقسط وفير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد بإضافة مواد علم النفس، والتربية، والمنطق، وتاريخ المغرب الكبير"[22]. لقد سعى الشيخ "سعيا حثيثا للتعريف بالمعهد داخل الوطن وخارجه من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتم له ذلك بعد عدة محاولات مضنية في شهر جانفي 1963.تخرجت على يده أفواج من الطلبة والباحثين، ممن كان لهم شأن كبير في المجالات الفكرية والسياسية، خارج الوطن وداخله، أمثال الدكتور محمد ناصر، والأستاذ بابهون بكير، و الدكتور محمد ناصر بوحجام"[23]

5- علاقات الشيخ دبوز بالشخصيات العلمية والتاريخية والوطنية

- إن أولى الشخصيات التي تعلق بها الشيخ محمد علي دبوز هي أستاذه الشيخ بيوض يقول ابنه إبراهيم بيوض:

<<وكان أحسن وسيلة وأبلغها للتأثير فيهم أخلاقيا هي شخصيته القوية الفذة، التي يشعر التلميذ أنه يغشاه بها من كل نواحيه>>[24]

- إخوان الصفاء، يقول محمد علي عن هاته الرابطة:

(ربط بيننا الحب في الله، ومزجت بيننا الميول الواحدة؛ والفطرة السليمة والحب الشديد للعلم والطموح فيه؛ وعشق الأدب والاشتغال به، فأصبحنا إخوان الصفاء حقا...)

ومن أبرز إخوان الصفاء السادة: أحمد بن عمر الشيخ أحمد؛ ومحمد بن إبراهيم مرموري وعيسى بن الحاج عمر بوحجام؛ وسعيد بن عبد الله دحمان؛ ومحمد بن الحاج الناصر جهلان؛ ومحمد بن بكير جهلان؛ وعلي بن عيسى تاوريرت؛ والحاج إبراهيم بن أحمد خياط[25].

- علاقته بتلامذته حيث كان يراعي أشد الرعاية جو الصفاء والوئام، بين التلاميذ في فصله، ولم يكن يشعرهم أنه المسؤول عنهم[26] حيث تخرج على يده شخصيات عظيمة كأمثال محمد ناصر.

ومن أقوال العلماء في الشيخ وتراثه:

- الشيخ علي يحيى معمر النفوس في بحث مطول بمجلة الأزهر، يبين فيه قيمة كتاب "تاريخ المغرب الكبير" يقول: << ...ثانيا: لمعرفتي للمؤلّف، وأساليبه في البحث، وتعمقه في الدراسة، واعتماده على التحليل النفسي

للمجتمعات في إصدار الأحكام...بأسلوب أدبي، وبحث فلسفي، محللا كل الأحداث وهو ما لا تجده في كتاب آخر غيره>>[27].

- ويقول الشيخ أنور الجندي في مجلة الأديب في 1 أبريل 1965 حول دراسة تحليلية لكتاب "نهضة الجزائر الحديثة": << ...والحق أن الأستاذ محمد علي دبوز مجاهد، يشق طريقا وعرا، وينشئ عملا غير مسبوق. ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل جمع معلوماته، ثم هجرته من الجزائر إلى مصر أو دمشق لكتابة فصول كتابه وطبعه>>[28].

- الشيخ محمد عطية الأبراشي : << ...والأستاذ الأديب المؤرخ محمد علي دبوز بكل تشجيع وإعجاب وتقدير من العالم الإسلامي، والأمة العربية كلها لما قام به من مجهود مشكور سيتذكره له التاريخ>>[29].

- الدكتور محمد بن قاسم بوحجام : << ...آمن أستاذنا محمد علي دبوز بأن التاريخ وسيلة تربوية ناجعة تساعد الأجيال على السير في الطريق الذي رسمه الأجداد وعمل جاهدا لتثبيت هذه الحقيقة في نفوس المربين القائمين بمسؤولية الوعظ والإرشاد في الأمة>>[30].

- تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): <<

...والحق أن الأستاذ (تقصد دبوز) استطاع أن يجلو لنا هذا الجانب بأوفى ما يكون من إيضاح وتفصيل، وجمع لنا الحشد الكثير من أخبار ومرويات مبعثرة في مئات من المصادر قليل منها معروف متداول وأكثرها مما لا يسير إليه بمشقة لا يحتملها سوى الخاصة من الباحثين>>[31].

- كما أثنى نور الدين حاطوم عن الشيخ دبوز باتخاذه هذه الخطوة الجريئة بتأريخه لتاريخ المغرب الكبير يقول: <<

...ولعل تاريخ المغرب الكبير كوحدة تامة لها ظروفها ومقومات حياتها...فإن أقل ما يقال في هذا الصدد أن الأستاذ دبوز كان شجاعا في تأليفه وانطلاقه وهو يستحق كل ثناء وتقدير>>[32].

6- معالم شخصية محمد علي دبوز وخصائصها:

كان الأستاذ محمد علي دبوز مثالا في التقوى والورع وعمارة المسجد، له قلم سيال لا يبارى نشأ على حب العلم والرغبة الشديدة في تحصيله وحب العمل والإخلاص فيه، يحب النكتة الطريفة والدعابة الجميلة، شديد الحرص على الوقت والمحافظة على المواعيد ويحكى أنه أولم وليمة وحدد لها موعدا، فما إن فات الوقت المحدد حتى أغلق بابه، فجاء بعض المدعوين متأخرين فانتظروا حتى فتح لهم الباب ونبههم إلى ضرورة المحافظة على المواعيد، وقرناؤه يعرفون ضبطه لمواعيده ولا يجرؤ أحد أن يتأخر عن موعد حدّده لهُ.

أما على المنابر، فقد كان خطيبا مصقعا بليغا، يقف على قدميه الساعات الطّوال، يزأر كالأسد يحاضر ويخطب بلغته الأدبية الجميلة الفنية بالنكت الخفيفة والدعايات المرحة، يخوض في شتى المواضيع يدعو إلى الإسلام وإلى معرفة تاريخه، والمحافظة على العادات والتقاليد الإسلامية التي تميز المجتمع الميزابي، كما يتناول بالتحليل الدقيق الظواهر الاجتماعية ويبحث في القضايا العامة، ويتميز بدعوته إلى الاهتمام بالفلاحة والعناية بالنخلة خاصة، وترغيب الشباب للعمل...كما يعتبر الأب الروحي للأسابيع الثقافية السنوية ببريان، بمحاضراته التاريخية المفيدة وبخطبه[33].

7- الشيخ الدبوز وهموم الكتاب ونشره:

1-صعوبات التحقيق:

يقول الشيخ محمد علي دبوز حول الصعوبات التي تلقاها في سبيل تحقيق كتابة "تاريخ المغرب الكبير":<< إن تاريخ الجزائر الحديث سيما ما كتبناه لا يوجد في الكتب فيسهل الاطلاع عليه ولكن في صدور مشايخنا الثقاة الحافظين، وفي الوثائق المخطوطة القديمة، وفي الصحف العربية الجزائرية الأولى التي أصبحت مفقودة لا توجد إلا في الخزائن الخاصة التي يصعب الوصول إليها، لهذا، كان الموضوع صعبا، وقد تجشمنا مشاقة وصبرنا فيه، ويسر الله لي مشايخي الكرام الحافظين الثقاة، وأصدقائي المخلصين فاستطعت أن أظفر بالمادة التاريخية المطلوبة >>[34].

وعن هذه المشقة الكبيرة يقول المفكر أنور الجندي: << وصور المؤلف كيف كان هذا العمل صعبا كل الصعوبة، وكان الطريق في هذه العهود مطموسا والسبيل غير معبد، وأغلب من كتبوا في تاريخ المغرب من المحدثين قد اغتروا بالمصادر "الملكية" فرددوا أغلاط المؤرخين القدماء، فكان عليه أن يكتب فصولا جديدة معتمدا فيها على المصادر الصحيحة، وأن يسلك طريقا غير معبدة، وأن يأتي بشيء لم يُسبق إليه>>... وكانت أخطر مرحلة في حياة موسوعته هي مرحلة الثورة حيث تعرضت بلدته "القرارة" للتفتيش عشرات المرات، وكان قد وضع مسودّة كتابة في صندوق خشبي لا مسامير فيه، لكي لا تكشفه الآلات التي تدل على الحديد، وقد ردمه في الحديقة زمنا وكان كلما هوجمت البلدة يضرع الله أن يحفظه.

وعن طباعة هذا العمل الجبّار يقول المفكر أنور الجندي: << وما إن أُعلن استقلال الجزائر حتى كان المؤلّف قد ركب الطائرة إلى القاهرة، حيث بدأ في طبع كتابه واستكمال مراجعته في دار الكتب، حيث اتخذ له كرسيا يحمل رقما لا يتغير هو "61".>>[35].

2-آثاره التاريخية وما لم ينشر من آثاره الأدبية والتربوية:

تولى الشيخ محمد علي دبوز –رحمه الله- نشر بعض آثاره التاريخية فقط:

- تاريخ المغرب الكبير من الحجم في ثلاثة أجزاء (1520 صفحة).

- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في ثلاثة أجزاء (890 صفحة).
- أعلام الإصلاح في الجزائر في خمسة أجزاء (1321 صفحة).

وآثاره –رحمه الله– تنحصر في : التاريخية، والأدبية ،التي لم ينشر شيئا منها واكتفى بما نشر في المجلات، والتربوية التي لم ينشر منها شيئا كذلك[36].

من الآثار التي حذفها كتاب الإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد عدل عن نشره. يقول ابنه بيوض إبراهيم: << كان الوالد –رحمه الله– عازما على نشرها في كتاب نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني، ولكنه عدل عن ذلك لصدور عدة مؤلفات في ذلك الحين حول حياة ابن باديس، ولضخامة كتاب نهضة الجزائر. ورجاء الإيجاز وهو الأهم وخاف غلاء أسعار الطباعة في الجزائر كونه المتكفل الوحيد بتمويل الطباعة الباهظة، وترك طبعه إلى فرصة أخرى، وهذا الكتاب يربو عن مائة صفحة.>>[37].

بالإضافة إلى أعمال كثيرة أخرى أدبية وتربوية تركها لأحفاده لعلهم ينشرونها.

8- وفاته:

توفي الشيخ محمد دبوز يوم الجمعة 13 نوفمبر 1981،في بريان وعمره 63 سنة، فهو لم يتوقف عن العطاء حتى وافته المنية بعد اشتداد مرض عضال أقعده الفراش فكانت وفاته رزية عظمى

لميزاب والجزائر والعالم الإسلامي كله، ووري التراب يوم السبت بحضور جمع غفير حضرهُ العلماء والمشايخ وتلامذته والسلطات المحلية وبكاه أصدقاؤه وطلبته[38].

وعن وفاته يقول الحاج داود النجار << ودعت الجزائر يوم الجمعة الماضي 13 نوفمبر 1981،أحد مؤرخيها المجتهدين وروادها البارزين، الذين سعوا بكل عزم وحزم وعصارة فكرهم كتابة حقائق وتاريخ الوطن الجزائري والمغرب الكبير تاركينها في متناول الأجيال الصاعدة لمعرفة حقائق أجدادها الماضية>>[39]

الخاتمة:

أهم النتائج التي تم استخلاصها من خلال هذا الموضوع هي:

* خصت عائلة محمد علي دبوز ابنها باهتمام بالـغ وخاصة والداه فقد كانا بمثابة المدرسة التي تغذى منها فكريا وأخلاقيا وتربويا.

* من أهم العوامل التي كونت شخصية محمد علي دبوز، المناخ الثقافي والديني الذي شب فيه إلى جانب أستاذه إبراهيم بيوض ودراسته في معهد الحياة.

*دراسته في مصر فتحت عيني الشيخ على العلوم الاجتماعية والتاريخ وعلم النفس والأدب.

*تميزت شخصية الشيخ محمد علي دبوز بالصرامة والدقة والنظام والغيرة على الوطن وتاريخه وتراثه العريق.

*أثرى الشيخ المكتبة الجزائرية والعربية بالعديد من المؤلفات القيمة التي لازالت تعتبر مراجع هامة للمؤرخين.

*لاقى الشيخ محمد علي دبوز صعوبات جمة وشاقة في سبيل الوصول إلى الحقيقة التاريخية، إلا أن هذه المعاناة المادية والمعنوية لم تكن حجر عثرة أمامه للبحث عن الحقيقة.

إحالات البحث:

[1]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، تاريخه، شخصيته، جهاده آثاره، مكتبة الصفاء بريان-غرداية (د.س.)، ص.15.

[2]- خير الدين شتره، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس،ج.3، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر (2015م).ص.462

[3]- محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،(د.س.)،ص.9

[4]- خير الدين شتره، المرجع السابق، ص.462.

[5]- يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح بالجزائر، الشيخ محمد علي دبوز، د ط، بريان 1981، ص.4

[6]- يوسف الواهج، المرجع السابق ،ص.4

[7]- خير الدين شترة، المرجع السابق،ص.462.

[8] -التحق به صديقه عيسى بن الحاج علي بوحجام في جوان 1943 والحاج محمد بن إبراهيم مرموري في سبتمبر من نفس السنة فتكونت بهم البعثة البيوضية (ينظر: بيوض إبراهيم، المصدر السابق،ص.34)

[9]- هي الرحلات والبعثات العلمية إلى كاتب قاعدتها ومطلقاتها وادي ميزاب وتعود إلى سنة 1914، أما بعثات الحياة فتعود إلى ما بعد 194 (ينظر: عبد الرزاق عطلاوي، أعمال المؤتمر

الدولي التاسع حول إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين 1900 إلى 1954،البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة أنموذجا، الجزائر، (2013م)،ص.3.

[10]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد ، الشيخ محمد علي دبوز، المصدر السابق،ص.35.

[11]- خزاري نادية، الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تاريخ العالم المعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة،2017-2018.

[12]- ينظر، يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق. ص.5

[13] يوسف بن يحيى الواهج، الشيخ محمد علي دبوز، القطب، ميزاب عنوان الحضارة،14 فبراير Alkotb.wordpress.com

[14]- خزاري نادية، الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص15.

[15] -خزاري نادية، المرجع السابق، ص 16.

[16]- صفاء خلوصي، "ثمرات المطابع" الإذاعة البريطانية (مساء يوم الأربعاء 16 رمضان 1397 هـ الموافق ل 31 أوت 1977).

[17]- يوسف بن يحيى الواهج، الشيخ محمد علي دبوز، المصدر السابق. Alkotb.wordpress.com

[18]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، المصدر السابق،ص.56

[19]- المصدر نفسه، ص.59

[20]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، المصدر نفسه، ص.64-65

[21]- محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ،المرجع السابق،ص.10.

[22]- يوسف الواهج، "في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز" جريدة الحوار، ع 720، يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م، ص.20.

[23]- تادارت، مركز الدراسات الإباضيةTADDART.ORG

[24]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، المرجع السابق،ص20

[25]- المرجع نفسه ،ص 22

[26]- المرجع نفسه ،ص 28

[27]- المرجع نفسه، ص 55.

[28]- المرجع نفسه، ص 57.

[29]- المرجع نفسه، ص 58.

[30]- المرجع نفسه، ص 59.

[31]- محمد صالح ناصر، مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 2008، ص 195.

[32]- خزاري نادية، المرجع السابق،ص.51

[33]- يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ص.14/11

[34]- يوسف بن يحيى الواهج، الشيخ محمد علي دبوز، مصدر سابق.

[35]- أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد للطباعة، بيروت،ط1، ص.297، ص.39.

[36]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، مصدر سابق، ص 32.

[37]- المرجع نفسه، ص.40

[38]- يوسف الواهج، المرجع السابق،ص.20.

[39]- الحاج داود النجار، "المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله"، جريدة الشعب، ع 5616،(يوم الأربعاء 18 نوفمبر 1981 م).

قائمة المصادر والمراجع:

1. أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد، بيروت، ط.1347،1 هـ،ص.247
2. خزاري نادية، الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تاريخ العالم المعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2018/2017.
3. صفاء خلوصي، "ثمرات المطابع" الإذاعة الوطنية،(مساء يوم الأربعاء 16 رمضان 1397 هـ الموافق ل 31 أوت 1977.(
4. خيرالدين شترة، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس،ج.3.
5. دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز تاريخه شخصيته، جهاده وآثاره، مكتبة الصفاء، بريان، غرداية (د.س.)،ص.15
6. محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر (د.س.)،ص.15

7. يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح بالجزائر، الشيخ محمد علي دبوز،د.ط.، بريان،1981،ص.4

جرائد ومواقع إلكترونية:

8- يوسف بن يحيى الواهج، الشيخ محمد علي دبوز، القطب، ميزاب عنوان الحضارة،14 فبراير.Alkotb.wordpress.com

9- يوسف الواهج، في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز "جريدة الحوار، ع 720، يوم الثلاثاء 2010/12/28،ص.20.

10- تادارت، مركز الدراسات الإباضية.taddart.org

11- الحاج داود النجار، "المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله" جريدة الشعب،ع 5616،(يوم الأربعاء 18 نوفمبر 1981).

الشيخ محمد علي دبوز حياته وآثاره

أ. ناصري حفصة
د. شريف بموسى عبد القادر
المركز الجامعي – مغنية

.

ملخص البحث:

تناول البحث سيرة أحد العظماء "الشّيخ محمّد بن علي بن عيسى دبّوز "– رحمه الله – كاتب ومؤرخ بمدينة بريان ولاية غرداية– الجزائر، ومن الرّجال الذين دافعواْ عن الهويّة الوطنية، ورفعوا اللّبس عن التاريخ المغاربي قبل الإسلام بدراسة معمقة لإيضاح الحقيقة التّاريخيّة وكشف التّشويه والتزييف خصوصاً من قبل الفرنسيين، ويعد أول كاتب جزائري ينشر كتابا باللّغة العربية بعد استقلال الجزائر.

لخصت بحثي بالمحَور الأوّل الموسوم بـ: حياة الشّيخ محمّد علي دبوز، والذي أسعى من خلاله إلى الحديث عن نسبه ومولده، نشأته وتكوينه، ورحلته في طلب العلم بين القرارة وتونس والقاهرة، ثم يليها الوقوف على عوامل تكوين شخصيته الفذة ونبوغه، أنه كان من أبرز المشاركين في مجلة "الشباب " –ومعهد الحياة – في آواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان مقداماً ذا عزيمة وجرأة، ثم بعدها الوقوف على

محطات من حياته وعلاقاته بالشّخصيات العلميّة والتاريخيّة والوطنيّة مع أهل زمانه هذا من جهة، ثم كانت الحاجة ملحة للحديث عن معالم شخصيته وخصائصها نذكر البعض منها: الجد والحرص والانضباط والنّظام والحزم والصّرامة والإتقان والتفاني. وهلُمّ جرّا، ثم الإشارة إلى هُمومه في طباعة كتابه ونشره للتّاريخ المغرب الكبير، وإيمانه بأن بناء الحاضر والمستقبل لا يتم إلاّ بالاهتمام بالماضي وجعله نقطة انطلاق.

الكلمات المفتاحية: محمّد علي دبوز- غرداية- الإصلاح.

مقدمة:

شهدت حضارة مزاب الكثير من العلماء الذين سعوا للإصلاح، وأولوا اهتماما بالغاً للتاريخ الإسلامي والمغرب العربي الكبير، منهم المؤرخ والأديب الشيخ محمّد علي دبّوز؛ والذي سعى من خلال مؤلفاته التي تحاكي التاريخ إلى كشف تّشويه وتّزييف الاستعمار لتاريخ الأمة الجزائرية و إثراء عجلة التاريخ بمختلف مجالاته.

فحاولت الورقة البحثية أن تجيب على الإشكالية الرئيسة وهي:

- من هو الشّيخ محمّد دبّوز؟ وماهي آثاره؟

وتفرعت عنها أسئلة فرعية أخرى فرضتها طبيعة الموضوع كالحديث عن رحلته في طلب العلم؟ وماهي العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته؟ وكيف تم طبع كتبه؟

1/ التعريف بالشّيخ محمّد علي دبّوز نسباً ونشأةً وتكويناً:

أ/ نسبه: هو محمّد الحاج علي بن عيسى بن كاسي بن عيسى بن حمو بن داود بن أمحمد بن داود بن منصور بن إبراهيم دبوّز، وداود الثّاني هو الذي هاجر من جنوب المغرب الأقصى وحط الرِّحال في جبل عمور جبال بني راشد، و منها إلى غرداية، والمعروف عن أجداده أنهم من كبار بلدة بريان وهم عشيرتهم النّشاشبة وأولاد يونس[1].

ب/ مولده ونشأته:

ولد الشّيخ محمّد علي دبّوز في بريان بمزاب في الجزائر[2]، 1337هـ/ فبراير 1919م[3]، والده الحاج علي[4]، وعُرف عن هذا الأخير حبه للعلم والعلماء إلى درجةٍ جعلته ينذر ولده للعلم وهو جنين في بطن أمه. وفيها نشأ وترعرع تحت رعاية أبوين اعتنيا به وربياه تربية إسلامية صحيحة فغرسا فيه حب العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والرّوح الدينية والوطنية.

---

[1] - حياة وآثار الشَّيخ محمَّد علي دبُّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ص25.

[2] - تكملة معجم المؤلفين؛ وفيات 1397- 1415هـ/ 1977- 1995م: محمّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ 1997م، ص350.

[3] - معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس: خير الدين شترة، من منشورات الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015م، ص462.

[4] - ينظر: الملحق رقم 01.

أما والدته السيدة عائشة بنت يحيى فقد كان يضرب بها المثل في الجدِّ والحزم، وورث منها ابنها هذه الخصال لاسيما الحزم، وكان لها دور كبير في توجيه سلوك ابنها1. ويُعد أبواه من أبرز مؤسسي الجمعية الخيرية بمدينة بريان سنة 1927م.

ج/ تكوينه:

لما بلغ الخامسة من عمره، عيّن له والده السّيد الحاج إسماعيل -أحد عزابة المسجد- ليدرسه في دار خاصة، تلقى منه المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة ولقنه خواتيم القرآن الكريم وحفظها.

وحين فتحت المدرسة القرآنية أبوابها في شهر جوان سنة 1928م، التحق بالمدرسة القرآنية الوحيدة في البلد، وفيها أخذ مبادئ العلوم الدينية والعربية على يد الشيّخ صالح بن يوسف أبسيس -رحمه الله - وكان له معلماً نصوحاً.

كان محمّد علي دبوز مثالاً في الحزم والتفاني في أداء مهمته، وقد توسمت فيه بوادر النبوغ والذكاء فأولى الشيّخ صالح اهتماماً كبيراً به، ودام تلميذاً إلى غاية سنة 1934م أين شدَّ رحاله إلى معهد الشيّخ بيّوض[2]. وذلك بإرادة وعزيمة وحرص في طلب العلم.

كما أنّ والده كان يحدثه منذ طفولته عن أعلام الإصلاح الذين

---

[1] - معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص462.

[2] - معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص462.

يعرفهم كي يغرس فيه المُثُل العليا ويكون مثلهم في الدين والعلم، والذين يُعجب بهم وبجهادهم أمثال[1]: الشّيخ عبد الحميد بن باديس، الشّيخ الطيب العقبي، الشّيخ البشير الابراهيمي، الشّيخ بيّوض، الشّيخ أبي اليقظان، الشّيخ سليمان بن الحاج داود وغيرهم

2/ الشّيخ محمّد علي دبّوز والرّحلة في طلب العلم بين القرارة وتونس والقاهرة:

كان القرآن الكريم هو كل العلوم الدينية واللّغويّة وشرط أساسي لدخول معهد الشّيخ بيُّوض، انكب الشّيخ محمّد علي دبّوز على حفظه فاستظهره وعمره ثلاثة عشر سنة، حيث مكنه تحصيله العلمي من أن يلتحق بمعهد الحياة في ربيع الأوّل 1353هـ/ يونيو 1934م بالقرارة[2]، وفيه درس على يد الشيّخ بيُّوض الذي تعلق بشخصيته وصار مثَلُه الأعلى هو وطلبة المعهد وذلك لقوة شخصيته وشدة تأثيره العلمي والروحي والخُلُقِي في الطّلبة، ودرس كذلك على يد الشّيخ عدون والحاج محمّد بن حمو الناصر، وكان مثالا للطالب المُجِد فدرس عُلوم التّفسير، والحديث وشرحه، وأصول الفقه والأدب العربي، والنحو والبلاغة، والأخلاق والمطالعة[3]. وظل يدرس بالمعهد

---

[1] - أعلام الإصلاح في الجزائر؛ من عام 1340ه/1921م إلى عام 1395ه/1975م: محمّد علي دبّوز، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ص10.

[2] - معجم أعلام الإباضية؛ من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر: محمّد بن موسى بابا عمي وآخرون، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص387.

[3] - معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس: خير الدين شترة، المرجع السابق،

ثلاثة عشر عاماً، كما درس العديد من الكتب نذكر منها؛ كتاب الآمالي لأبي القالي بجزأيه، ويقول بهذا الصدد محمّد علي دبّوز: كان الشيخ بيّوض يقول لنا "إن غرضي الأسمى في تدريس الأدب والبلاغة والعلوم العربية الأخرى أن أكوّن عقولاً تفهم بلاغة القرآن والسنة، وأقلاماً ينصر الله بها دينه ويصلح الله بها مجتمعه "[1]. فقد كان الشيخ محمّد علي دبّوز من أبرز تلاميذة المعهد، وتشهد له مجلة الشباب وتحفظ له الكثير من مقالاته المطّولة وفصوله الأدبية الرفيعة ومناظراته ومعاركه الأدبية، خاصة مع الأستاذ "علي يحيى معمر " رحمه الله.

وبعدما أنهى دراسته بالقرارة، سافر إلى تونس الخضراء في شهر سبتمبر 1942م رغم رفض والده خوفاً عليه، ومن دون جواز سفر، فكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل تونس[2]، والتحق بجامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون والعطارين والعبدليّة، كما توافدت عليها البعثات العلمية المزابية، ومكث بتونس في الدراسة والتحصيل ثلاث سنوات[3]، ونهل من كتبها في مختلف الفنون كالفلسفة والشريعة والأدب.

وفي سنة 1944م،-والحرب العالمية على أشدها- قام بمغامرة السفر إلى القاهرة، متنكراً في زي أعرابيٍ عن الاستعمار وهو لا يحمل

ص462.

[1] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبوز: إبراهيم بيّوض،ج1، ص28.

[2] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبوز: إبراهيم بيّوض،ج1، المرجع نفسه، ص34.

[3] - حياة وآثار الشيخ محمّد دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، المرجع نفسه، ص34.

جواز سفر، وهو يرافق إحدى قوافلهم عبر الصحراء الليبية، حتى وصل مصر بعد تسعة وعشرين يوماً[1] سيراً على قدميه، كما يذكر الشيّخ عبد الرحمن بكلي رحمه الله.

وعند وصول الشّيخ محمّد علي دبّوز انخرط مباشرة بجامعة القاهرة مستمعاً وذلك بمساعدة عميد الجامعة عبد الوهاب عزام الذي رحب به أشدّ ترحاب، إذ لم يكن يمتلك الشهادة التي تخول له الالتحاق بها رسمياً. وفتحت القاهرة أمامه آفاقاً علمية رحيبة، ودرس على نبغاء مصر أمثال الدكتور أحمد أمين، وعباس محمود العقاد، كما تعرف أيضاً على الأدباء المصريين أمثال محمّد عطيه الأبرا شي، وأنور الجندي وغيرهما.

ورابط بدار الكتب المصرية قارئاً ووجد فيها مبتغاه فأصبح الكرسي رقم (61) يُعرف باسمه، وتخصص في دراسة التاريخ الإسلامي، والأدب العربي، وعلم النفس، والفلسفة ونال كفايته منها. ومما يدل على حرصه في طلب العلم ومخالفة هوى نفسه أنه كانت تصلهُ العديد من الرسائل من وادي مزاب وخاصة من والده فلم يقم بفتحها حتى تبّين له ذلك فوجد بها الكثير من الأخبار المقلقة والتي تُنَكِدُ عليه سعيه في طلب العلم.

بعد رجوعه من القاهرة إلى بلده القرارة سنة 1948م، اختاره معهد الحياة مُعلِّماً، فاستُقبِل باحتفالٍ عظيم وخاص، باعتباره من

[1]- حياة وآثاره الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيَّوض، ج1، المرجع نفسه، ص35.

بواكير معهد الحياة الذين طرقواْ أبواب الجامعات بالقاهرة، وإن لم يتحصل على شهادة رسميّة، كما فرح بعودته أستاذه الشّيخ بيّوض. لقد قام بتطوير برامج الدراسة بالمعهد ودَرَّس مادتي التّاريخ والأدب، ثم أضاف إليهما مواد جديدة مثل: علم النّفس والتربيّة والمنطق وتاريخ المغرب الكبير[1]، فكان نِعم الأستاذ والمربّي و تخرَّج على يده جيل هو اليوم يسدُّ الثغور في المجتمع ويخلُفهُ في عمله المبارك، وكان مخلصا في تأدية رسالته، يُحاسب نفسه بالدقائق والثّواني حتى لا يُضيع من حق طلبته لحظة، يراقب تلاميذه داخل المعهد وخارجه، في سيرتهم وأخلاقهم وأعمالهم الدراسيّة، وحتى نظافة أجسادهم وألبستهم، يحبُّ طلبته والنكتة معهم، يُخلص في تعليمهم وتهذيبهم وتربيتهم، هذا بالإضافة إلى زمالته الحسنَة وتقديره الكبير للأساتذة.

وقد قضى في تربية النشء وتكوين الأجيال ما يُقارب ثُلث قرن، أي حتى آخر جوان 1981م.

3/ عوامل تكوين شخصية الشّيخ محمّد علي دبّوز ونبوغه:

* إنّ البيئة التي ترعرع فيها محّمّد علي دبّوز والاهتمام الذي خصته به عائلته خصوصاً والداه فقد كانا بمثابة المدرسة التي تغذى منها فكرياً وأخلاقياً وتربوياً، بالإضافة إلى الاهتمام الخاص الذي لقيه من والده كونه وحيده، جعل منه رجلاً ذا مكانة وشأن داخل وخارج

[1] – في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمّد علي دبوز: يوسف الو اهج، جريدة الحوار، عدد: 720، يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م، ص20.

الوطن العربي.

*تعلّمه وحفظه للقرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة في سن مبكرة على يد السيد إسماعيل الحاج، وكذلك العلوم الدينية والعربية على يد الشيّخ صالح بن يوسف أبسيس.

* تعلّقه بشخصية الشّيخ بيَّوض لقوة شخصيته وشدة تأثيره العلمي والرّوحي والخُلقي في الطّلبة.

* نزعته التاريخية الوطنية جعلته يتطلع لأن يكون التاريخ عامل وحدة تجمع بين شعوب الأمة.

* تأثره بشيوخه في معهد الحياة: الشيخ إبراهيم بيّوض، الشيخ عدون، الشيخ صالح بن أبسيس، و إضافة على دراسته في تونس ومصر واحتكاكه بأدبائها، استفادة منها في تكوين منهجية علمية أكاديمية اعتمد فيها على المنهج العلمي التحليلي الفلسفي لمعالجة الأحداث التاريخية.

* ثباته على القيَم الدينيّة والأخلاقيّة، والصراحة في قول الحق مع نفسه ومع غيره.

* الحرص والجدّ والاجتهاد في العمل الذي يسعى للقيام به بالانضباط مع الوقت، وكذلك حرصه على دراسة حياة العظماء دراسة نفسية تهدف سبر أغوار شخصياتهم والوقوف على أهم ما تمتاز به[1].

[1] - حياة وآثاره الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيَّوض، ج1، ص96.

* شكل المناخ الثقافي والديني الذي شب فيه الشيخ محمّد علي دبّوز أحد أهم الروافد التي كونت شخصيته، فإلى جانب دراسته في معهد الحياة الذي تعلق به وبمؤسسه إبراهيم بيّوض، فقد درس في تونس ومصر وتشرّب من المعارف في المدارس والمعاهد، أكسبه ثقافة واسعة وهو ما برز في خوضه غمار التأليف

4/ محطّات حياة الشّيخ محمّد علي دبّوز:

- بعد رحلة التكوين العلمية الجيدة، والتي سعى فيها لتطوير معارفه العلمية والفكرية، عاد إلى مسقط رأسه. وفي سنة 1948م عاد إلى واد مزاب، فأصبح معلماً في معهد الحياة، أين حظي باستقبال عظيم[1]. وأقيم له حفل كبير، وفرح أهله وأصدقاؤه خصوصاً أستاذه الشّيخ إبراهيم بيّوض كونه من الأوائل ممّن نال شهادة جامعية، (وإن لم تكن رسمية)، وعُيّن مدرساً لمادتي الأدب والتاريخ، فقد ساهم بقسط وفير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد بإضافة مواد: علم النفس، التربية، المنطق وتاريخ المغرب الكبير[2].

- وكذلك إيمانه بأن الكتابة وسيلة تربويّة سامية وهدف تثقيفي نبيل[3]، تهدف إلى تربية الجوانب الأساسية في شخصية النشء المسلم في مختلف الجوانب الدينية الوطنية وحتى العلمية. كما أنه سعى سعياً

---

[1] - ملحق رقم 02.

[2] - في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمّد علي دبّوز: يوسف الو اهج، جريدة الحوار، عدد 720، يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م، ص20.

[3] - حياة وآثار الشّيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض،ج1، ص91.

حقيقيا للتعريف بالمعهد داخل الوطن وخارجه وكان من أجل أن تعترف به الجامعات المصرية بشهادة بالمعهد، فتم له ذلك بعد عدة محاولات مضنية في شهر يناير 1963م. وقد تخرجت على يده أفواج من الطلبة والباحثين، ممن كان لهم شأن كبير في المجالات الفكرية والسياسية، خارج الوطن وداخله، أمثال[1]: الدكتور محمّد صالح ناصر،الأستاذ بكير بن محمّد أولاد بابهون، الدكتور محمّد بن قاسم ناصر بوحجام.

– وقال كذلك عنه المفكِّر أنور الجندي عند تناوله كتابه (تاريخ المغرب الكبير): " تُعدُّ موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدلالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حيث يقوم مؤرِّخ باحث كالأستاذ محمّد علي دبّوز بكتابة أكثر من ألف و خمسمائة وعشرين صفحة، مستعرضاً فيها تاريخ هذه الأجيال مراجعاً كلّ ما كتب في هذا الصدد كاشفاً عن عشرات من الحقائق التي شوَّهها المؤرِّخون والكُتاب"[2]، ويضيف "...والحق أن الأستاذ محمّد علي دبوز عالم مجاهد يشق طريقاً وعرا، وينشئ عملا غير مسبوق، ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل جمع معلوماته... فجاء كتابه شاهداً بالجهد الضخم الذي بذله، في سبيل الكشف عن هذا الدور الذي قام به المفكرون في

[1] – تادّارت: مركز الدراسات الإباضية. www.taddart.arg

[2] – مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، (د.ت)، ص248.

الجزائر..."[1]. وهذا أول كتاب يطبع بعد استقلال الجزائر[2]. وبهذا فقد أفصح عن حقيقة تاريخ الأمة الجزائرية والمغرب الكبير وأزال عنه كل التّشويهات التي تَسبّب فيها المستعمرون والمغرضون وأعداء الإسلام.

5/ علاقات الشيّخ دبّوز بالشّخصيات العلميّة والتّاريخيّة والوطنيّة:

- إن أولى الشخصيات التي تعلق بها الشّيخ محمّد علي دبوز هي أستاذه الشّيخ بيوض يقول ابنه إبراهيم بيوض: "وكان أحسن وسيلة وأسلحها للتأثير فيهم أخلاقياً هي شخصيته القوية الفذة: التي يشعر التلميذ أنه يغشاه بها في كل نواجيه "[3]، بالإضافة إلى المكانة التي كان يحظى بها الشيخ بيّوض في قلب الشيخ محمد علي دبوز[4]، وكذلك كانت لديه علاقة وطيدة بمعلِّميه الشّيخ بيّوض والشّيخ عدون والشّيخ الحاج محمّد بن حمو بن الناصر، وغيرهم. ويقول الشّيخ محمّد علي دبوز عن الشّيخ عدون: "لولا وجود الشيخ عدون في معهد الحياة لتثاقل سيره أو عصفت به عواصف تؤدي به".

- إخوان الصفاء يقول محمّد علي عن هاته الرابطة:

(ربط بيننا الجندي الله، وامتزجت بيننا الميول الواحدة والفطرة السليمة

---

[1] - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمّد علي دبوز، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص93.

[2] - مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، (د.ت)، ص248.

[3] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، ص58.

[4] - أعلام الإصلاح في الجزائر: محمّد علي دبّوز، ج4، ص90.

والحب الشديد للعلم والطموح فيه، وتعشق الأدب والاشتغال به، فأصبحنا إخوان الصفاء حقا، يشعر كل واحد منا بالآخر أنه هو...)[1].

- و أبرز إخوان الصفاء هم السادة: أحمد بن عمر الشّيخ أحمد، ومحمد بن إبراهيم مرموري وعيسى بن الحاج عمر بوحجام، وسعيد عبد الله الشّيخ دحمان، ومحمد بن الحاج الناصر جهلان، ومحمد بن بكير جهلان، وعلي بن عيسى تاوريرت، والحاج إبراهيم بن أحمد خياط[2].

- علاقته بتلامذته كان يحث و يراعي أشدّ الرعاية جو الصفاء والوئام، بين التلاميذ في فصله، ولم يكن يُقرهم أنه المسؤول عنهم حيث تخرج على يد شخصيات عظيمة كأمثال الدكتور "محمد ناصر".

ومن أقوال العلماء في الشّيخ محمّد علي دبّوز وتراثه:

- الشّيخ علي يحي معمر النفوسي في بحث مطوّل بمجلة الأزهر، يبيّن فيه قيمة كتاب "تاريخ المغرب الكبير " يقول: "... ثانيا: لمعرفتي للمؤلف، وأساليبه في البحث وتعمقه في الدراسة، واعتماده على التحليل النفسي للمجتمعات في إصدار الأحكام ... بأسلوب أدبي، وبحث فلسفي، معللاً كل الأحداث وهو مالا تجده في كتاب آخر غيره"[3]، فقد حرص كل الحرص واجتهد لكشف حقائق الأحداث والغوص في لُبِّها.

---

[1] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، المرجع السابق، ص31.

[2] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، ص32.

[3] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، المرجع نفسه، ص87.

- ويقول الشّيخ أنور الجندي في مجلة الأديب في 1 أبريل 1965م حول دراسة تحليلية لكتاب "نهضة الجزائر الحديثة" : "... والحق أن الأستاذ محمد علي دبوز عالم مجاهد، يشق طريقاً واعرا، وينشئ عملاً غير مسبوق. ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل جمع معلوماته... فجاء كتابه شاهداً بالجهد الضخم الذي بذله، في سبيل الكشف عن هذا الدور الذي قام به المفكرون في الجزائر..."[1].

- الشّيخ محمّد عطية الأبراشي: "...والحق إنّ الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة لمن يقدمه، فمادته غنية كل الغنى، تدل على سعة الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة...وإني واثق بأن هذا الكتاب بأسفاره الثلاثة الضخمة سيجد مكانة في كل بيت عربي وكل مدرسة عربية، وسيصبح مصدراً للمعاهد العلمية في المغرب..."[2].

- ويقول الدكتور محمد ناصر بوحجام: "إن شيخنا حسب رأي قد وفق إلى حد بعيد في رسم الطريق لمن يأتي بعده كي يسير في نهجه... ويربط الأجيال بالناصع من تاريخهم، حتى يعتزوا بشخصيتهم التي حاول الاستعمار طمسها "[3].

والحق أن الشّيخ دبوز مؤرخ فذ، أولى اهتماماً كبيراً للتاريخ

---

[1] - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: محمّد علي دبّوز، ج1، ص93.

[2] - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمّد علي دبوز، ج1، المرجع نفسه، ص94.

[3] - مفهوم التاريخ عند محمّد علي دبوز، محمّد بن قاسم ناصر بوحجام، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، (د.ت)، ص26.

الإسلامي جَمْعَاً وتدريساً وفي هذا الصدد تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): "... والحق أن الأستاذ (تقصد محمّد علي دبّوز) استطاع أن يجلو لنا هذا الجانب بأوفى ما يكون من إيضاح وتفصيل، وجمع لنا الحشد الكثير من أخبار ومرويات مبعثرة في مئات من المصادر قليل منها معروف متداول وأكثرها مما لا سبيل إليه بمشقة لا يحتملها سوى الخاصة من الباحثين "[1]، ومعنى هذا أن الشيخ محمد علي دبّوز كافح وناضل من أجل تصحيح وتوضيح تاريخ الأمة الجزائرية.

6/ معالم شخصية الشّيخ محمد علي دبوز وخصائصها: الجدّ والحرص والانضباط والنّظام والحزم والصّرامة و...:

يُعدُّ الشّيخ محمد علي دبوز قدوة ومثالاً يقتدى به في تقوى الله والورع وعمارة المسجد، فقد نشأ على حب العلم والرغبة الشديد في تحصيله وحب العمل و الإخلاص فيه، كما اتّسم بعدة صفات وهي كالآتي:

أولاً:الحزم: كان رحمه الله شديد الحزم على هذه الخصيصة وبالمقابل يُقبح التراخي، فالحزم صفة ذات أهمية بالغة لطالب العلم، وبالتالي يصبح معتمدا على نفسه، ومنظما ومنضبطاً في أموره وأوقاته الدراسية. ومثال ذلك كان يطلب من تلاميذه أن يكونوا حازمين حتى

[1] – مشايخي كما عرفتهم، محمّد صالح ناصر، دار الريام، الجزائر، (د.ط)، 2008م، ص195.

في مشيتهم وسيرهم في الطريق.

ثانيا: الانضباط: كان مثالا في الانضباط في الوقت، حيث كان صارما مع تلامذته، فقد أصبح محطة إعجاب لكل من عرفه في جديته للعمل وتقديره للوقت ومحاسبة نفسه على كل ثانية من عمره.

فقد حثّ تلامذته إلى استغلال وقت السحر للتحصيل والكتابة[1]، والمطالعة والعمل الجدي، ويكون الذهن خالي من ضوضاء الحياة اليومية وأنشط على التفكير والإبداع، ففي وقت السحر يكون المرء لا يسمع إلاّ أنفاسه وحفيف أوراقه فظل يوصي به (عليكم بالفرس الأدهم)[2].

ثالثا: لنظافة: كان يحرص ويوصي تلامذته على نظافة الجسم والملبس والمكان.

رابعا: الجدّ: كان مجدا مثابرا في دروسه، مجتهدا حريصا فيها.

خامساً: الصرامة: كان صارما في طلب العلم والعمل بكل جد...، وإضافة إلى الثبات والحرص والحماس والصدق والوضوح والموضوعية والخيال والعاطفة كلها سمات امتاز بها الشيخ محمد علي دبوز -رحمه الله-

7/ الشّيخ دبوز همومه في طباعة الكتاب ونشره:

عرف الشّيخ محمد علي دبوز بروحه الدعابة والمرنة مع جل الظروف والأوضاع، فقد كان فكره وهمه التأليف في التاريخ

[1] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، ص46.

[2] - حياة وآثار الشيخ محمّد علي دبّوز: إبراهيم بيّوض، ج1، المرجع نفسه، ص46.

الجزائري وإنتاج فكري يليق بمثقفينا ونافع ومفيد للأجيال القادمة، ويكون المؤلف على الأسلوب الذي ينبغي، وعلى المنهاج الذي يحقق النتائج التربوية من التاريخ[1]. ومرجع ومصدر للجامعات والمدرسين، ويكشف خبايا المستعمر وسمومه، ويكون مرآة عاكسة لنواياه المُشينة وفضح حقيقته وسعيه لتشتيت وتفرقة المغرب العربي الكبير، فكانت كتابة تاريخ المغرب الكبير بأسلوب جديد.

صعوبة التحقيق:

يقول الشيخ محمّد علي دبّوز حول الصعوبات التي تلقاها في سبيل تحقيق كتابه "تاريخ المغرب العربي الكبير": "إن تاريخ الجزائر الحديث سيّما ما كتباه لا يوجد في الكتب فيسهل للإطلاع عليه ولكن في صدور مشايخنا الثقاة الحافظين، وفي الوثائق المخطوطة القديمة وفي الصحف العربية الجزائرية الأولى التى أصبحت مفقودة لا توجد إلاّ في الخزائن الخاصة إلى بصعب الوصول إليها، لهذا كان الموضوع صعباً، وقد تجشمنا مشاقهُ وصبرنا فيه، ويسّتر الله لي مشايخي الكرام الحافظين وأصدقائي المخلصين فاستطعت أن اظفر بالمادة التاريخية المطلوبة "[2].

وعن هذه المشقة الكبيرة يقول المفكر أنور الجندي: "وصوّر

---

[1] – تاريخ المغرب الكبير: محمّد علي دبّوز، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ص28.

[2] – في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمّد علي دبّوز: يوسف الو اهج، جريدة الحوار، عدد 720، يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م، ص20.

للمؤلف كيف كان هذا العمل صعبا كل الصعوبة، وكان الطريق في هذه العمود مطموساً والسبيل غير معبد، وأغلب من كتبوا في تاريخ المغرب من المحدثين قد اغتروا بالمصادر "الملكية " فرددوا أغلاط المؤرخين القدماء، فكان عليه أن يكتب فصولاً جديدة معتمداً فيها على المصادر الصحيحة، وأن يسلك طريقاً غير معبدة، وأن يأتي بشئ لم يسبق إليه "[1].ويشير الشّيخ محمّد علي دبوز إلى استغلال المستعمِر للدعايات الملكية وتشويه صورة المغرب حيث يقول في هذا الصدد: "...وترى أولئك المستعمرين يستغلون تلك الأكاذيب الملكية ليسودواْ صفحة مغربنا المشرقة..."[2].

ففي سنة (**1951** و**1952** و **1953**م) كتب مُسَودَة الأجزاء الثلاثة الأولى من تاريخ المغرب الكبير، ثم قام بجولة داخل الوطن وخارجه للإطلاع على كتب التاريخ والمخطوطات القديمة إضافة إلى خزائن المخطوطات التي بجنوب الجزائر والتي وجد بها الوثائق التاريخية الكثيرة، وكذا جمع المادة الخبرية، من المكتبات العامة والخاصة، ومن أفواه العلماء بصفة خاصة. كما قام أيضاً بزيارة مكاتب تونس الخضراء، ودار الكتب العربية بالقاهرة، والتي استفاد منها الكثير، وسعى إلى طبع كتابه بالقاهرة. ثم عاد إلى أرض الوطن الجزائر وقد كانت قيامة الثورة الجزائرية، " فصارت مسودة الأجزاء

[1] - مفكرون وأدباء من خلال آثارهم: أنور الجندي، ص241.

[2] - تاريخ المغرب الكبير، ج2، محمّد علي دبوز، ص07.

الثلاثة مناط أملي، وأعزّ شيء لدي"[1]. فأصبحت دور المثقفين ورجال العلم مهددة بالتفتيش، ونزع كل مخطوط عربي والقضاء عليه إن لم يعجبهم أمره، واعتقال صاحبه، ولهذا عمل الشّيخ محمد علي دبوز على حفظ مسودة كتابه في الصندوق خشبي لا مسامير فيه حتى لا تكشفه آلاتهم التي تدل على الحديد، وقد ردمه في الحديقة، حيث بقي بها زمناً، فخاف أن تصله الأنداء فيضيع، فذهب به إلى أحد أصدقائه لا يلفت أنظار الاستعمار. وكان خوفه شديد عليه كلما هُجمت القرارة فيتم تفتيش بعض نواحيها يتضرع إلى الله أن يحفظ دار الصديق ومسودة الكتاب. كما أنَّ دار الصديق تعرضت لتفتيش عدة مرات، لكن الله خير حافظ فلم يصلوا الصندوق ولم يلمسوه حتى، فالله كان معه، لأنه ألفه بنية حسنة وأراد بها نفع إخواننا في الأقطار العربية والإسلامية وخدمة الدين والعربية في المغرب الكبير.

وهذا ما زاد عزيمته وإصراره أنّ يخرجه إلى النور مباشرة في أول سنة من الاستقلال وكان أحبّ، فقد شرع في إعداد الجزء الثّاني للطبع بعدما عاد إلى القاهرة في منتصف سبتمبر سنة 1962م، وبدأ بطباعة الجزء الثّاني والثالث وهذا بسبب تشويه تاريخ المغرب بالأكاذيب من قِبل الملوك القدماء وصنائعهم من المؤرخين المسلمين الذين ينخدع بهم أبناؤنا وإخواننا في المشرق، فيقعون في أخطاء فاحشة تسيء إلى المغرب.

[1] – تاريخ المغرب الكبير: محمّد علي دبّوز، المرجع السابق، ج2، ص30.

وفي مجال التأليف، من أعماله:

أوّلاً: مشاركته بقلمه الأصيل في نشر عدَّة مقالات في جريدة البصائر، لاسيما مابين **1948- 1955**م. وقد نشر الدكتور محمّد ناصر نماذج من هذه المقالات في كتابه: "الشيخ محمّد علي دبّوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ ".

ثانيّا: عكف على كتابة تاريخ المغرب الكبير، بأسلوب جديد، وقام بجولات عبر الوطن وخارجه لجمع المادة الخبرية، من المكتبات العامة والخاصة، ومن أفواه العلماء بصفة خاصة.

وفي سنة **1962**م – وبعد الاستقلال مباشرة – بدأ في نشر كتبه، فتلاحقت هذه المجموعات الضخمة:

1/ " تاريخ المغرب الكبير "، في ثلاثة أجزاء. وهو أول كتاب يصدر في التاريخ باللغة العربية في الجزائر بعد الاستقلال.

2/ " نهضة الجزائر الحديثة "، في ثلاثة أجزاء.

3/ أعلام الإصلاح في الجزائر،في خمسة أجزاء.

كما أنه ترك مكتبة ثرية، غنية بمختلف الوثائق المصوّرة والمسجّلة، حافلة بالدراسات والمقالات.

وبقي الشّيخ محمّد علي دبّوز في معهد الحياة ينشئ الأجيال، ومؤلِفاً يخلِّد تاريخ الجزائر وتاريخ أبطالها الأمجاد، حتى ألم به مرض عضال فأقعده الفراش، فاعتزل الحياة العامة وقضى أيّاماً في المستشفى بالعاصمة، نقل بعدها إلى مسقط رأسه حيث وافته المنيّة

مساء يوم الجمعة **15** محرم **1402**هـ، الموافق ليوم **14** نوفمبر **1981**م، حضر جنازته جمهور من البلدة وضيوف من مختلف الجهات، وكان لنبأ وفاته وقع كبير في مزاب والجزائر والعالم الإسلامي.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة لشخصية الشّيخ محمّد علي دبوز حياته وآثاره توصلنا إلى النتائج التالية وهي كالآتي:

أولاً: نتائج

- يُعدُّ الجو الديني والثقافي الذي نشأ فيه الشّيخ محمّد علي دبوز من الروافد التي كونت شخصيته، فضلاً على ذلك تعلقه بمشايخه الأجلاء.

- إنّ الشّيخ محمّد علي دبوز شخصية فذة؛ ضحى بالنفس والنفيس من أجل الوطن والأجيال القادمة، فترك آثاراً ذات بصمة في ميادين الفكر والأدب، ومجال التاريخ والتراث، إضافة إلى مجال التّربيّة والتّعليم.

- واجه الشّيخ محمّد علي دبوز مشاكل مختلفة في سبيل وصوله إلى كتابة الحقيقة التاريخية.

- يُعدُّ معهد الحياة بالنسبة لمحمّد علي دبوز نقطة تحول كبرى في مساره العلمي والعملي.

- ترك الشّيخ محمّد علي دبّوز مكتبة ثرية، غنية بمختلف الوثائق

المصوّرة والمسجّلة، إضافة إلى المقالات لأجل أجيال المستقبل في تحقيقها وإبرازها للوجود.

- صحح الشّيخ محمّد علي دبوز ضمن مؤلفاته العديد من القضايا والإدعاءات المغرضة بطريقة موضوعية.

- و يبقى الشّيخ محمّد علي دبّوز -رحمه الله - محفوراً في ذاكرة التاريخ، و أحد المؤرخين الجزائريين المجتهدين وروادها البارزين الذين سعوا بكل عزم وحزم، وبفكرهم لكتابة حقائق تاريخ الجزائر وتاريخ المغرب العربي الكبير.

ثانياً: توصيات

- إدراج المادة العلمية والأدبيّة للشيخ محمّد علي دبوز ضمن البرامج التّعليميّة والمقرّرات المدرسية والجامعية.

- العمل على توجيه الطلبة الخرّجين (ليسانس/ ماستر/دكتوراه) إلى تناول تراث الشّيخ محمّد علي دبوز المخطوط والمطبوع في موضوعات مذكراتهم الجامعية.

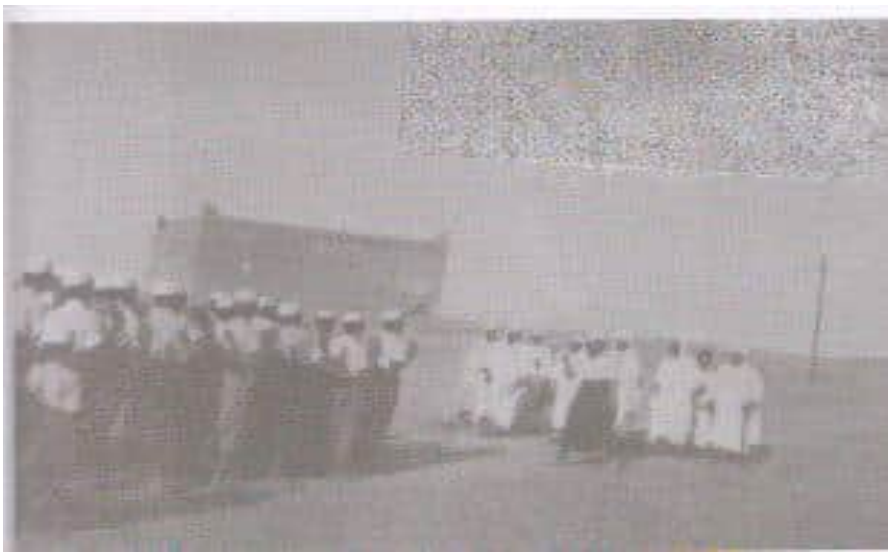
- السعي إلى ترجمة مؤلفات الشّيخ محمّد علي دبوز إلى مختلف اللّغات العالمية.

ملحق رقم :01



الشيخ محمد علي دبوز مع والده الحاج علي بن عيسى دبوز.

ملحق رقم: 02





حفل تاريخي في القرارة لاستقبال الشيخ محمد علي دبوز لما رجع من القاهرة كأول طالب من معهد الحياة يتخرج من الجامعة وقع التصوير في 07 رمضان1367 هـ.

سرد المصادر والمراجع:

- أعلام الاصلاح في الجزائر؛ من عام 1340هـ/ 1921م إلى عام 1395هـ/ 1975م: محمد علي دبّوز، ج1، عالم المعرفة ، الجزائر، ط1، 2013م.

- تاريخ المغرب الكبير: محمّد علي دبّوز، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.

- حياة وآثار الشّيخ محمّد علي دبّوز: ابراهيم بيّوض، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.

- مشايخي كما عرفتهم: محمّد صالح ناصر، دار الريام، الجزائر، (د.ط)، 2008م.

- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم: أنور الجندي، دار الارشاد، بيروت، ط1، (د.ت).

- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: محمّد علي دبّوز، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.

***/ المعاجم:**

- معجم أعلام الإباضية؛ من القرن الأوّل الهجري إلى العصر

الحاضر: محمّد بن موسى بابا عمي وآخرون، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، (د.ط)، 2009م.

- معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس: خير الدين شترة، من منشورات الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، (د.ط)، 2015م.

- تكملة معجم المؤلفين، وفيات 1397- 1415هـ/ 1977- 1995م: محمّد خير الدين رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ- 1997م.

*/ **المقالات**:

-في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمّد علي دبّوز: يوسف الواهج، جريدة الحوار، عدد 720، يوم الثلاثاء، 28 ديسمبر 2010م.

*/ **المواقع الالكترونية**:

www.taddart.arg : تادّارات: مركز الدراسات الإباضية.

معالم شخصية الشيخ محمد علي دبوز

أ. عمر شطة
جامعة عمار ثليجي - الأغواط

ملخص البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم جوانب من معالم وخصائص شخصية الشيخ" محمد علي دبوز" المؤرخ والأديب والمربي، أحد أهمّ الشخصيات الوطنية التي تركت بصماتها في شتّى المجالات الأدبية والفكرية، والتراثية والتاريخية ، وفي الساحة التربوية التعليمية.

مقدمة:

1- مولده ونشأته: (باختصار لأنّ هناك من السادة الباحثين من تعّرض بالتفصيل لحياة الشيخ).

هو الشيخ محمد بن علي بن عيسى دبوز، ولد في آت ايبرْقان '' بريان ''سنة 1337 هـ / 1919 م، وهي إحدى قرى "مزاب" بالجنوب الجزائري . وهو وحيد أبويه الذين نذراه للعلم وهو ما زال جنينا، فنشأ وترعرع وتربى تربية إسلامية صحيحة قائمة على حب العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والروح الدينية والوطنية. و التحق بالمدرسة القرآنية " مدرسة الفتح" عند افتتاحها في سنة 1928، وعمره لا يتجاوز التسع سنوات، أين درس على يد الشيخ "صالح بن يوسف أبسيس" في بريان، وفي سنة 1934 توجه إلى "القرارة" لمواصلة الدراسة فتتلمذ

على يد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض.

2-عوامل تكوين شخصيته ونبوغه:

من أهمّ العوامل التي كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصية الشيخ "محمد علي دبوز" هي الأسرة، وعلى رأسها والده الذي كان يحب العلم والعلماء إلى درجة جعلته ينذر ولده للعلم وهو جنين في بطن أمه..، فغرس فيه حبّ العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والروح الدينية والوطنية.

ثم تأتي بعدها البيئة العلمية التي صقلت شخصيته متمثلة في التحاقه بمعهد "الحياة" وأثر شيخه وأستاذه "إبراهيم بن عمر بيوض" فكان أديبا راقيا وشاعرا ومؤرخا (حسب الأستاذ جهلان أحمد بن محمد) ، وكان لمجلة "الشباب" التي يصدرها المعهد أثرا قويا في نشره لمقالاته و من بعدها إعجاب الشيخ البشير الإبراهيمي بكتاباته ونشرها في مجلة البصائر. ويعدّ الشيخ من الأوائل الذين كتبوا في القصة القصيرة بالأربعينات.1945.

والفضل الأكبر يعود أيضا إلى الفترة الزيتونية ورحلته إلى القاهرة ، حيث تعرف على كثير من المشايخ و المفكرين والعلماء.

3-رحلته إلى طلب العلم:

عرفت الجزائر بداية القرن العشرين، وجهة علمية ثقافية، من قبل العلماء والطلبة الجزائريين قصد التزوّد بالعلوم والمعارف، فكانت تشدّ الرحال خاصة إلى المناطق المجاورة كجامع الزيتونة في تونس

والقرويين في المغرب و جامع الأزهر بالقاهرة، كضرورة ملحة وكعمل نضالي في الحقل التربوي والتعليمي، وهذا ما شجعت ودعت إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عندما كتب الشيخ البشير الإبراهيمي.

"كما كان من آثار ذلك التعليم المثمر الذي خاضته جمعية العلماء أن أنشأت الرغبة بشباب الأمة في الاندفاع الى العلم والرحلة في طلبه حيث ما كان فرحل المئات منهم... وجمعية العلماء هي التي أنشأت هذه الرغبة المتأججة في نفوس الشباب.."[1]

يقول عبد الله ركيبي:" إنّ دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل، بل أجيالٌ قبلنا تهدف إلى أن نتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية. "[2]

3-1- سفره إلى تونس:

نجح الشيخ "بيوض" في إرسال أفواج عديدة من طلبته إلى تونس الخضراء ، في فترة كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها ونيرانها مستعرة، وقد غلقت الحكومة الفرنسية كافة الحدود الجزائرية، سيما التونسية لكثرة التنقل منها وإليها، ولا تسمح بالسفر إلاّ برخصة رسمية. ولم تكن مفروضة على الجزائريين إلى خارج الوطن، بل حتى في داخله، وتشدد في منحها ولا تعطيها إلا بعد وقت طويل

[1]-خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة-1900-1956، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص299.

[2]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة-1900-1956، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص298.

ولمن تشاء.[1]

وكان من بين الطلبة المتخرجين من معهد الحياة الشيخ محمد علي دبوز، صاحب العزيمة والإرادة، الذي قرر المضي قدما صوب جامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون، رغم قبول والده لهذه الرحلة بشق الأنفس، وكان تردده في سفره ابنه الوحيد مرده ظروف و قساوة الحرب العالمية الثانية .

ولكن استطاع أستاذه الشيخ بيوض ومن كان معه، إقناع والده، والدفع بذلك الشاب الطموح. إلى تونس الخضراء فكانت الرحلة بقيادة أبى اليقظان ، تضم مجموعة من الطلبة من بينهم محمد علي دبوز وإبراهيم اطفيش ومفدي زكريا ورمضان حمود ومحمد الثميني، الذين سافروا من دون جواز سفر على طريق الجبال الصعبة، ومن الطرق البعيدة الملتوية التي تقل فيها الرقابة، فوصل تونس الخضراء وتكوّنت نواة البعثة البيوضية بوصولهم إلى الخضراء في شهر سبتمبر 1942.[2] وإن لم تكن بهيكلها وإدارتها وقانونها كما أصبحت فيما بعد لما كثر التلاميذ الوافدون من معهد الحياة. وفي شهر جوان 1943م وصل صديقه عيسى بن الحاج عمر بوحجام من دون جواز سفر كذلك، وفي سبتمبر من نفس السنة وصل كذلك الحاج محمد بن إبراهيم مرموري. ودخلوا جامعة الزيتونة ومعهد ابن خلدون، وأسرعوا

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971، ص164.

[2]- المرجع نفسه، ص165.

إلى مكتبات تونس العامرة، سيما المكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين.

و عكف الشيخ محمد علي دبوز كعادته بنشاطه ومواظبته على مكتباتها العامة خاصة مكتبة العطَّارين، فدرس فيها الكثير من الكتب القيِّمة في كثير من الفنون كالأدب والشريعة والفلسفة.

وقد قدّر له ولزملائه أن يتبوؤوا مكانة مرموقة في الحياة الفكرية والثقافية في المشرق والمغرب.

ودام الشيخ محمد علي في الدراسة والتحصيل ثلاث سنوات بين معاهدها ومكتباتها إلى سنة 1944.[1]

3-2- رحلته إلى مصر:

تعلقت همته بالتوجه إلى مصر، كنانة الله في أرضه، وحاضرة الثقافة العربية والإسلامية في ذلك العصر لما تتوفر فيها من جامعات ومعاهد وتحتويها من عباقرة الأدب العربي والفكر الإسلامي، فانتقل إليها في شعبان من سنة 1946م إلى مصر برًّا، متنكرا مستخفيا عن الاستعمار الغاشم، يقطع الصحاري ويصعد الجبال وهو لا يحمل جواز سفر في حين كانت نيران الحرب العالمية الثانية مشتعلة، حتى بلغ مصر بعد ستَّة وعشرين يوما سيرا على الأقدام، وبعد دخوله مصر توجَّه إلى كلية الآداب من جامعة القاهرة ورحب به الدكتور عبد الوهاب عزام عميد الجامعة واستقبله أحر استقبال وفيها درس على كبار أساتذتها الأدب وتاريخه، والتاريخ الإسلامي والفلسفة، كما انكبَّ على أمَّهات

[1]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص165.

الكتب في دار الكتب المصرية، فدرس كتبا قيمة في الأدب، والتاريخ، وعلم النفس، والتربية والعلوم الاجتماعية، وأصول الفقه وفلسفة التشريع، والفقه والحديث.

فانكبابه على الاغتراف وشغفه الكبير بالعلم جعلاه أوَّل الداخلين إلى دار الكتب أيام مطالعاته وآخر الخارجين منها.وبقي في القاهرة حتى سنة 1948م إذ رجع إلى الجزائر بعد أن نال بغيته من العلم هناك.

وإثر قفوله من القاهرة أقيم له حفل مشهود في وادي مزاب وفي القرارة خاصة، وفرح برجوعه أستاذه الشيخ بيوض إذ استقبله بمعية عزابة ومشائخ وطلبة القرارة عند وادي زقرير قبل الدخول إلى القرارة، لأنه أول من يتخرج بشهادة جامعية من تلامذة المعهد، وأول تلميذ منه يدرس في جامعة القاهرة، وفي القرارة نظم له حفل رسمي بهذه المناسبة، وبعد أن قدّم الشيخ بيوض كلمته نادى طالبه محمد علي وقبله أمام الملإ على جبينه قبلة اعتراف واحترام وتقدير.

4-من أبرز معالم شخصية الشيخ محمد علي دبوز:

قال فيه الشيخ الأستاذ محمد صالح ناصر في كتابه "ذكرياتي ومذكراتي":

" لو كتبت مجلدا كاملا في حق شيخي وأستاذي محمد علي دبوز ما وفيت حقه عليَّ وعلى زملائي طلاب معهد الحياة. والشيخ محمد علي شخصية متميزة من بين أساتذة المعهد في أخلاقه، ونظامه وأناقته، ودقة مواعيده وانضباطه، وحبه للعلم والعلماء. أنا الآن أبحث

عن كلمة جامعة مانعة أصف بها شيخي محمد علي ولا أجدها لأنه يستعصي عليَّ الكلمات و يتفوق على التشابيه والصفات." [1]

4-1-الانضباط والعزيمة:

اتصف بالانضباط في عمله سواء كان طالبا أو أستاذا، ودقتّه في المواعيد وضرورة احترامها، ويُحكى أنَّه أولم وليمة وحدَّد لها موعدا، فما أن فات الوقت المحدَّد حتى أغلق بابه، فجاء بعض المدعوين متأخرين، فانتظروا حتى فتح لهم الباب ونبَّههم إلى ضرورة المحافظة على المواعيد، وقرناؤه يعرفون ضبطه لمواعيد ولا يجرؤ أحد أن يتأخَّر عن موعد حدَّده له[2].

وأيضا عرف بقوة تحمّله وصبره في طلب العلم وفي التأليف..، وإيمانه الشديد بمكانة وقيمة العلم ودوره في توجيه أبناء الجزائر وبالنهوض بالوطن.. وكان رجلا حازما ومخلصا ، ذو عزيمة وإرادة خصّص حياته لخدمة العلم فهو يقول "أنا خلقت للعلم وللكتاب. " [3] وصاحب بداهة عجيبة وذو خيال واسع...يحب التدقيق والتفصيل في توضيح الأمور دون ملل أو كلل.. وكان همّ الشيخ كلّه

---

[1]-محمد صالح ناصر، ذكرياتي ومذكراتي (1938-2014)، دار الناصرللنشر والتوزيع ، ج1، ص145.

[2]- سويسي الهام، حورية كريوط، محمد علي دبوز وإسهاماته التاريخية، مذكرة ماستر، جامعة قسنطينة 2018/2017.

[3]- الدكتور محمد ناصر ،محمد على دبوز على درب الصالحين، يوم: الخميس 2013/09/26، يوتوب. على الانترنيت.

هو التأليف و المواظبة على إتمام عمله، فكان يتحمل الأعباء المادية من مال وحمل لآلة التسجيل الثقيلة من مكان لآخر، و تكاليف السفر خارج الوطن وداخله بحثا عن المادة العلمية، وتكاليف الطبع و كان يرى ذلك جهادا ونضالا في سبيل العلم.

4-2- الطرافة:

كما أنّ شخصيته لا تخلو من الطرافة من حين لآخر في بعض المواقف مع طلبته. وجد مرة أحد طلابه متكئا، فأشار إليه قائلا:" القربة المتكية عمرها ولا تتعمر". وأيضا عندما ردّ على أحدهم بقوله: " أنا لا أردّ عليه هو فخّار وأنا دبوز".

ومن الطرائق والاستراتيجيات التي يتبعها في العملية التعليمية التعلمية هو تجسيده أحيانا للدروس على شكل صور كاريكاتورية، في قالب من المرح والحب والودّ، له المقدرة على المزج بين اللطافة و الحزم، و على الصبر و الكرم، فهذا المزيج أنتج إنساناً يحبه طلبته و يشتاقه أصدقاؤه.

4-3- الإخلاص:

إنّ معهد "الحياة" كان بمثابة القلب الذي به يعيش ويتنفس، فهو حياته كلّها، فقد ظلّ مدرسا بالمعهد وفيّا له وكان مخلصا في رسالته التعليمية التربوية ، يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الآخرين، الوقت عنده هو الحياة، كلّ شيء عنده محسوب بالدقائق والثواني حتى لا يُضيِّع من حق الطلبة لحظة، يراقب تلاميذه داخل المعهد

وخارجه، في سيرتهم وأخلاقهم وأعمالهم الدراسية، وحتى نظافة أجسادهم وألبستهم، يحبُّ طلبته والنكتة معهم، يخلص في تعليمهم وتهذيبهم وتربيتهم، هذا بالإضافة إلى زمالته الحسنة وتقديره الكبير للأساتذة. وقضى حياته في تربية النشء وتكوين الأجيال ما يقارب ثلث قرن، أي حتى آخر صائفة جوان 1981 أين وافته المنية.

4-4- تقربه من طلابه:

فهو الأستاذ المربّي والأب في آن واحد، فلقد بنى علاقة أبوة وصداقة وهو يلبس ثوب الأستاذية مازجا بين الأسلوبين ، تجده الأستاذ الحريص على تقديم المعارف، بتنمية عقول طلابه وتارة تجده مهتما مشغولا بمظهر ونظافة طلابه جسما و هنداما، و يحرص على تدوين ذلك على دفتر السيرة بإعطاء قيمة عددية و تربوية للطالب. وكان يهتم أيضا بحياتهم الاجتماعية ويتفقد حالتهم النفسية ، فيسأل عن حياتهم ويحدّد مواطن القصور والتقلبات التي تصاحبهم فيعمل بجدّ على علاجها. و يسعى جاهدا إلى مدّ يد العون لهم و إلى نصحهم و توجيههم وإرشادهم. ففي كثير من الأحيان كان يشجعهم على العلم وضرورة السير في دربه.

4-5- حبه لوطنه:

يشير "محمد علي دبوز" في حديثه مع ابن الرافعي إلى مسألة موقع الوطن من العلم والثقافة، واهتمام أهله بالعلماء العرب الكبار، وقضيه محافظة الجزائر على دينها، وعربيتها، وقوميتها، رغم وقوعها

تحت سيطرة الاحتلال، وهي إشارة إلى جهل المشارقة آنذاك بالحركة الثقافية في الجزائر، ومحاولته تصحيح نظرتهم إليها بأنها منعزلة عن العالم العربي، وبأن شعبها لا يقرأ العربية، ولا يلقي بالا لكتابها، ولعل السبب في ذلك الحصار، والرقابة المفروضان على وسائل الاتصال بين المشارقة وإخوانهم المغاربة من قبل المحتل الفرنسي، قال محمد علي دبوز:" وقد أطْلعت الدكتور على ما لم يعلمه من شخصية الجزائر والمغرب، وأعلمته بتشبث الجزائري بشخصيته العربية الإسلامية وتمسكه بالتقاليد الدينية.. وأخبرته بمكانة أبيه في الجزائر، وبجلاله في النفوس. ".(الرحلة، البصائر، ع.347 / محمد علي دبوز، وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، جريدة البصائر، الجزائر، سلسلة 2، سبع حلقات، من العدد 334 الصادر في 6 صفر 1375هـ الموافق لـ 23 سبتمبر 1955م إلى العدد 347 الصادر في 14 جمادى الأولى الموافق لـ 30 ديسمبر 1955م)[1].

4-6- تمجيده للعلم:

كانت للشيخ "محمد على دبوز" رؤية استشرافية لمستقبل الجزائر، والمتمثلة في نهج سبيل العلم و التكنولوجيا الحديثة والأخذ بأسبابها لضمان التطور والنمو والرقي الحضاري على مختلف الأصعدة والميادين، على ضوء القيم العربية الأصيلة و القيم الإنسانية

[1]-سميرة أنساعد، مضامين الهوية وتجليات الأنا والآخر في خطاب الرحلة الجزائرية المعاصرة، دراسة تطبيقية على رحلات أحمد منور إلى أوربا، مجلة الأثر،ورقلة، 2014/12/21.

النبيلة وتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ووطنيتنا المجيدة. و أنّ تمجيد العلم لا يتم إلاّ بالدعوة إليه، وأن نقوّم أنفسنا بالعلم ، فالجزائر بحاجة إلى الرجال المثقفين، فلقد انتهت معركة السلاح وبدأت معركة الإصلاح، فالجزائر عليها أن تتجه نحو العلم، ونحو " تربية النّشء وبناء شخصيّته وإعداده للحياة الكريمة العزيزة المثمرة بالتّاريخ" [1]

4-7- خطابته:

كان خطيبا مصقعا بليغا، يقف على قدميه الساعات الطوال، يزأر كالأسد يحاضر ويخطب بلغته الأدبية الجميلة الغنية بالنكت الخفيفة والدعابات المرحة، يخوض في شتىَّ المواضيع يدعو إلى الإسلام وإلى معرفة تاريخه، والمحافظة على التقاليد والعادات الإسلامية التي تميِّز المجتمع المزابي، كما يتناول بالتحليل الدقيق الظواهر الاجتماعية ويبحث في القضايا العامة، ويتميز بدعوته إلى الاهتمام بالفلاحة والعناية بالنخلة خاصة، وبترغيب الشباب للعمل في التجارة التي يعتبرها مدرسة لتكوين وتربية الأجيال الناشئة. كما يعتبر الأب الروحي للأسابيع الثقافية السنوية ببريان، بمحاضراته التاريخية المفيدة وخطبه الأدبية الرائعة.

الخلاصة:

[1]- محمد ناصر بو حجام، رئيس جمعية التراث، موضوع عن الشيخ محمد دبوز، صفحة الفيس بوك، Bouhedjam.m/posts/3440490919364211 بتاريخ 2020/11/13.

إنّ معالم هذه الشخصية الفذة، شخصية الشيخ الجليل محمد علي دبوز، هذه القامة من القامات العظيمة، التي تركت آثارا طيّبة على نفوسنا وعقولنا، بأخلاقها وعلمها و عملها، تركت لنا رسالة واضحة بارزة في ميادين شتى ، منها الفكر والأدب، والتاريخ والتراث، ومجال التربية والتعليم.. وأنّي لم أحسب يوماً أن قلمي سينال شرف الحديث عن هذا الأستاذ الجليل، واستخلاص من مسيرته هذه العناصر أو المبادئ التي كان قد رسمها لنفسه للوصول إلى ما وصل إليه من رفعة وعلو المقام، فهو حقيقة رمز من رموزنا الوطنية، أشعر بالفخر والاعتزاز لأنّي تعرفت على هذه الشخصية التاريخية، والتي استفدت منها مايلي:

1- دور البعثات والرحلات العلمية خارج الوطن على الفرد وأثرها على المستوى العلمي والتربوي والشخصي والاجتماعي والحضاري والتعليمي والإصلاحي .

2- قوة العزيمة والإرادة تدفع إلى تحقيق الأهداف الخاصة والعامة، خدمة للوطن بالدرجة الأولى وتطويرا وتنمية وتقوية لشخصية صاحبها.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة سلوا قلبي:

وما نيـل المطالب بالتمنـــي *** ولكن تؤخذ الدنيا غلابـــا

وما استعصى على قوم منال *** إذا الإقدام كان لهم ركابا

3- تمجيد العلم و العمل به في مختلف المجالات، وتحفيز العلماء والطلبة والمعاهد .

4- تشجيع الكفاءات الجزائرية، والسعي إلى تطوير وإنشاء المخابر العلمية في مختلف العلوم.

5- التنسيق بين الجامعات في إطار البحوث العلمية والاستفادة منها فيما يخدم الوطن ويرفع من قيمتها في مختلف الميادين(الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجيا ....).

6-الاهتمام بالمدراس وبالناشئة، بتطوير المناهج الدراسية وفق استراتجيات تعليمية حديثة.

7-تكوين الأساتذة في مختلف المراحل التعليمية (ابتدائي، متوسط، ثانوي) في طرائق التدريس الحديثة، وفي علم النفس التربوي، والتاريخ الجزائري، والتشريع المدرسي....

8- ربط أبنائنا بقيم وطنهم وتاريخ أمجادهم، كحب الوطن...

9- بث وبعث الرغبة في الشباب للاندفاع إلى العلم.

10- تشجيع الأطفال على حفظ القرآن الكريم.

11-التحلي بالأخلاق السامية والسلوكات الحضارية، كالمحافظة على الوقت واحترام المواعيد والجدية في العمل، والمواظبة...

12- احترام الأساتذة والشيوخ والعلماء، فللعلماء مكانة في الدين لا تنكر، وفضل كبير لا يكاد يحصر.

قوله تعالى: " شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (سورة آل عمران :18)

والعلماء هم من انطبقت عليهم الخيرية التي حددها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في قوله من حديث مُعَاوِيَةَ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. »

13-الأستاذ مربٍّ قبل كل شيئ، والأستاذ الناجح من يتقرب من تلامذته ويعرف أحوالهم، ويحسن تربيتهم، ويزودهم بالعلم، وبالأخلاق، ويجعلهم ذخرا لهذا الوطن.

14-طاعة الوالدين سر نجاح الأبناء.

قال تعالى :"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ". (الاسراء: 23).

15- دعاء الوالدين لأبنائهم بالصلاح و بالعلم.

16- الابتعاد عن كل ما يشغل عن تحصيل العلم، من ملهيات الحياة...

17-أهمية أن يكون الأستاذ ذا كفاءة علمية وخبرة.

18- أهمية المطالعة والإقبال على المكتبات والنّهم من الكتب القيّمة.

قال المتنبي:

أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ *** وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ

19-مكارم الأخلاق خير من العلم.ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد.

قال الشاعر حافظ إبراهيم:

لاتحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدهُ *** ما لمْ يتوّجْ ربُّهُ بخَلاقِ

20- التشجيع على الكتابة و التأليف، بأسلوب أدبي جميل ولغة سهلة مفهومة، بعبارات عذبة وتحليل علمي نزيه، والتحلي بالموضوعية وبالدقة وبالصدق.

21- الرغبة في التلقي وتحصيل العلم دون ملل أو كلل.

قال تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق: 1 – 5)، وقال تعالى لنبيه ورسوله: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"(سورة طه: 114).

22- اختيار الصحبة الصالحة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الجليس الصَّالِح والجَليس السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » . متفق عليه.

قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل *** وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى *** حليماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء *** إذا ما المرء ماشاه

و للشيء من الشيء *** مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب *** دليل حين يلقاه

23- المشاركة في الندوات والملتقيات العلمية والتربوية.

الشيخ محمد علي دبوز والرحلة في طلب العلم بين القرارة وتونس والقاهرة

أ. عبد السلام علاوي
د. يمينة بن الصغير
جامعة غرداية

الملخص:

لم يكن الجنوب الجزائري في معزل عن التغيرات السياسية والعلمية التي كان يشهدها الوطن خلال القرن العشرين، والدليل على ذلك مساهمته في الأحداث التي كانت تمر بها البلاد وبما أن التغيير والتخلص من الاستعمار الفرنسي لن يتم إلا بتغير الدهنيات، ومواكبة المجتمع لما يحدث في العالم، كان من الطبيعي أن يظهر بين الحين والآخر رجالا حملوا مشعل التغيير وعملوا على محاربة الاستعمار بسلاح الفكر الذي سيعمل طال الزمن أو قصر على تغيير المجتمع، فبرزت بالجنوب أسماء كان لها الفضل الكبير في ذلك، وتعد شخصية الشيخ محمد علي دبوز ابن مدينة بريان إحداها، ومنه يمكن طرح الإشكالية التالية ما الجهود التي بذلها الشيخ من أجل تلقي العلم، وما أثر ذلك على تركيب شخصيته، وجهاده ضد الجهل والاستعمار ؟ هذا ما سنعمل للإجابة عنه من خلال هذه المداخلة.

الكلمات المفتاحية: الشيخ علي دبوز، الجنوب الجزائري، الاستعمار، التغيير، بريان.

Summary

The Algerian south was not isolated from the political and scientific changes that the country witnessed during the twentieth century, and the evidence for that is its contribution to the events that the country was experiencing, since change and the elimination of French colonization will take place only with the change of mishandles, and in keeping with society what is happening in the world. It was natural that from time to time there would appear men who carried the torch of change, and worked on fighting colonization with the weapon of thought that would work for a long time or limit to changing society, so names appeared in the south that had great credit, and Sheikh Mohammad Ali Dibouz, the son of Brian City, is one of them. The following problem can be raised: What efforts did the sheikh replace to receive the flag, and what affected the structure of his personality, and his struggle against ignorance and

colonization? This is what we will do to answer with this barge

Key words: Sheikh Ali Dabouz, South Algeria, colonization, Change, Brian

مقدمة:

حظي تاريخ الجزائر والمغرب العربي باهتمام الكثير من المؤرخين والباحثين خلال فتراته التاريخية حيث سعى كل مؤرخ لفرض نفسه بتقديمه للقارئ مجموعة الحقائق التاريخية الصحيحة نظرا لما تعرض له التاريخ الجزائري والمغربي إلى الكثير من محاولات التشويه والتزييف خصوصا من قِبَل الفرنسيين، وقد عرفت الجزائر حركة تدوين واسعة وبرز مؤرخون في مختلف التوجهات والتخصصات، حملوا على عاتقهم عبء كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير قبل الاستقلال وبعده، ومن هؤلاء المؤرخين نذكر محمد علي دبوز الذي آمن بأن بناء الحاضر والمستقبل لا يتم إلا بالاهتمام بالماضي وجعله منصة انطلاق.

أولا: المحيط الاجتماعي والثقافي :

1- المحيط الاجتماعي:

نشأ محمد دبوز في مجتمع محافظ، قائم على أنظمة دينية ومدنية - حلقة العزابة - تسهر على مراقبة الأمور وتسييرها وحل مختلف المشكلات التي تعكر صفو المجتمع، وأهم ما ميز هذه

البيئة الصراع بين فئتين في المجتمع:

الأولى: سعت إلى إحداث تغييرات في كافة المجالات الدينية والعلمية والتربوية وحتى الاقتصادية تحت شعار الإصلاح لرفع الجهل والظلم ومحاربة الآفات الاجتماعية والفساد الخلقي الناتج عن السياسة الاستعمارية، وذلك بإنشاء جمعيات خيرية تعمل على هاته الأهداف.[1]

الثانية: فهي رافضة للإصلاح غارقة في الرجعية، تدعو إلى التمسك بالماضي وعدم المساس بكرامة المسجد في إشارة إلى فصل المسجد عن العمل السياسي، لذلك قامت هذه الفئة بالتصدي لإنشاء المدارس العصرية ودعت بعدم الأخذ بعلومها لأنها حسب رأيهم تضر بالمحاضر ووجدت السلطات الفرنسية في هذه الفئة ضالتها لضرب الحركة الإصلاحية، ورجال الإصلاح باعتبارهم مصدر تشويش ومارست ضدهم مختلف أنواع الظلم والتعذيب[2].

2- المحيط الثقافي:

أصبحت الحالة الثقافية هي الأخرى في وضع سيء نتيجة تواصل سياسة القهر الاستعماري ووجود الفئة المساندة للسياسة

---

[1] عبد القادر قوبع: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر،2008/2007 ص26.

[2] أولاد داود إلياس: محمد علي دبوز وإسهاماته التاريخية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، حديث ومعاصر، جامعة غرداية،2017/2016م، ص26.

الفرنسية، فشجع هذا الوضع على بروز الحركات الإصلاحية، - جمعية علماء المسلمين - التي تزعمها ثلة من المصلحين سعوا لرفع الظلم والجهل وإصلاح المجتمع وفي إطار ذلك، كان للسياسة الفرنسية أثر واضح على التعليم في واد مزاب خاصة وأنها كانت بمثابة مركز علمي لكثير من الجاليات الإباضية في ليبيا، تونس وسلطنة عمان، كان التعليم في هذه الفترة يزاول في المحاضر التابعة للمساجد، بحيث يتلقى فيها التلاميذ مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، يتولى التدريس فيها أعضاء من العزابة، تطوعا لوجه الله ثم ينتقل الطالب إلى دور التلاميذ فيدرس فيها القرآن والمنظومة الأجرومية، وكذا عقيدة التوحيد... وغيرها من العلوم[1] ومن أجل تثبيت وجودها في الجزائر ركزت فرنسا على ضرب قطاع التعليم، وذلك بتحويل المساجد والمدارس رموز الشخصية الجزائرية إلى كنائس وإصطبلات، ففي 18 أكتوبر 1892م صدر القانون الفرنسي وهو امتداد لقانون 1852م المتعلق بنشر التعليم الفرنسي بالجزائر كلها الذي نص على إنشاء مدارس فرنسية رسمية في كل قرى وادي مزاب، وقد كان التعليم الفرنسي قد بدأ في غرداية منذ 1887م ثم مدرسة العطف في بني يزقن، حتى انتشر في معظم قرى وادي مزاب، وقد لقيت هذه المدارس معارضة من قبل السكان وصار الكثير منهم يلجؤون نحو مدن الشمال بأبنائهم من أجل إنقاذهم من التعليم

[1] عبد القادر قوبع: المرجع السابق، ص ص 32-33.

الفرنسي[1] وقد برزت محاولات أثناء الحرب العالمية الثانية لإصلاح قطاع التعليم وتطويره لتحسين الوضع الثقافي، وذلك بإدخال وسائل عصرية فشهد بذلك القطاع إقبالاً واسعاً لطلبة العلم في أغلب مدن وادي مزاب وأنشئت الجمعيات الخيرية بصفة رسمية بعد صدور قانون الجمعيات في جويلية 1902م وقد كانت قبل ذلك تنشط بطريقة سرية[2].

3- محمد علي دبوز المولد والنشأة

نسبه ومولده:

هو محمد بن الحاج علي بن عيسى بن حمو بن داود بن امحمد بن داود بن منصور بن إبراهيم دبوز، وداود الثاني هو الذي هاجر من جنوب المغرب الأقصى وحط الرحال في جبل عمور جبال بني راشد ومنها إلى غرداية، والمعروف عن أجداده أنهم من كبار بلدة بريان وهم رؤساء عشيرتهم النشاشبة وأولاد يونس[3] ولد الشيخ محمد علي دبوز ببريان في فيفري 1337هج/ 1919م[4] وفي

[1] عبد القادر قوبع: المرجع السابق، ص 34.

[2] إبراهيم بيوض ابن محمد علي دبوز: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص16.

[3] نفسه: ص25.

[4] خير الدين شترة: معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، ج 3، منشو ارت الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015م، ص 462.

رواية أخرى سنة 1918[1].

والده الحاج علي عرف عنه أنه أول معلم له في الحياة فقد سهر على الاعتناء به وغرس العادات الجميلة وحثه على طلب العلم والدين منذ نعومة أظافره، أما والدته السيدة عائشة بنت يحي فقد كان يضرب بها المثل في الجد والحزم، وورث منها ابنها هذه الخصال لاسيما الحزم وكان لها دور كبير في توجيه سلوك ابنها[2].

ثانيا: مسيرته العلمية داخل وخارج الوطن:

1- في الجزائر:

نشأ الشيخ محمد علي دبوز بمسقط رأسه ببلدة بريان في أحضان أسرة محبة للعلم والعلماء والدين، وكبقية أهل مزاب حرص والده الحاج علي على غرس القيم الدينية والإسلامية الفاضلة في ابنه وأورثه حب العلم والعلماء، فعند بلوغه الخامسة من عمره أخذ مبادئ دراسته الأولى وعلى رأسها القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد السيد الحاج إسماعيل أحد عزابة المسجد الذي عينه له والده، وفي جوان 1928م، التحق بالمدرسة الوحيدة في البلدة، وفيها أخذ مبادئ العلوم الدينية والعربية على يد الشيخ صالح بن يوسف أبسيس، وتوسم في محمد علي دبوز بوادر النبوغ والذكاء فأولى الشيخ صالح اهتماما كبيرا به، ودام تلميذا بين يديه إلى غاية

[1] محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص09.

[2] خير الدين شترة: المرجع السابق، ص462.

سنة 1934م، أين شد رحاله إلى معهد الشيخ بيوض[1] ولأن القرآن هو أساس كل العلوم الدينية واللغوية وشرط أساسي لدخول معهد الشيخ بيوض، انكب الشيخ محمد علي دبوز على حفظه فاستظهره وعمره ثلاثة عشر سنة وبحلول سنة 1934م، مكنه تحصيله العلمي من أن يلتحق بمعهد الحياة في القرارة[2] وفيه درس على يد الشيخ بيوض الذي تعلق بشخصيته وصار مثله الأعلى هو وطلبة المعهد وذلك لقوة شخصيته وشدة تأثيره العلمي والروحي والخلقي في الطلبة كما درس على يد الشيخ عدون والحاج محمد بن حمو الناصر، وكان مثالا للطالب المجد فدرس علوم التفسير، الحديث وشرحه، أصول الفقه والأدب العربي، والنحو والبلاغة...[3]

2-في تونس:

ومع تعلقه بطلب العلم ارتحل الشيخ محمد علي دبوز إلى تونس سنة 1942م، لكي يستزيد في طلب العلم ويواصل دراسته في الزيتونة والمعهد الخلدوني والمدرسة الصادقية فقد كانت تونس مقصدا لطلبة العلم لنهضتها وتنوع أساليب التربية والتعليم فيها، وذلك بتأييد من الشيخ بيوض رغم رفض والده لذلك، غامر الشيخ دبوز مع جماعة من الطلبة بالسفر إلى تونس دون جواز سفر، وكان

---

[1] نفسه، ص 462.

[2] محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 387.

[3] خير الدين شترة: المرجع السابق، ص462.

أول تلميذ من معهد الحياة يصل تونس، ثم توافدت عليها البعثات العلمية المزابية من معهد الحياة، مكث في تونس سنتين بين معاهدها ومكتباتها خصوصا المكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين، فنهل من كتبها في مختلف العلوم كالفلسفة والشريعة والأدب[1]

3- في مصر:

لشدة تعلقه بالعلم والرغبة في مواصلة مساره الدراسي وتحصيله العلمي وتنمية زاده المعرفي، سافر الشيخ محمد علي دبوز إلى مصر حاضرة الثقافة آنذاك ومقصد العلماء وطلاب العلم، لما فيها من جامعات ومعاهد وما تحتويه من كبار الأساتذة والمفكرين من أمثال: طه حسين، زكي مبارك، أحمد أمين عباس محمود العقاد أنور الجندي وغيرهم...[2] ، رغم ما يمر به العالم في تلك الفترة فقد كانت الحرب العالمية الثانية قائمة سنة 1944م، التحق الشيخ دبوز بجامعة القاهرة، ورابط بدار الكتب المصرية قارئا ووجد فيها مبتغاه وتخصص في علم النفس، والتاريخ والأدب ونال كفايته منها، بعد مرحلة التكوين الجيد أنهى الشيخ دبوز رحلته العلمية التي سعى فيها لتطوير معارفه العلمية وتوسيعها، عاد إلى مسقط رأسه أين حظي باستقبال عظيم وأقيم له حفل كبير وفرح به أهله وأصدقاؤه خصوصا

[1] عبد الرازق عطلاوي: أعمال المؤتمر الدولي التاسع حول إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين 1900م إلى 1954البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة أنموذجا، الجزائر،2013م، ص09.

[2] بيوض إبراهيم ابن محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص35.

أستاذه الشيخ بيوض كونه من الأوائل ممن نال شهادة جامعية، وما فتئ أن عين الشيخ دبوز مدرسا لمادتي الأدب والتاريخ، وساهم بقسط وفير في تطوير البرامج الدراسية بالمعهد بإضافة مواد علم النفس والتربية والمنطق وتاريخ، فكان نعم الأستاذ ونعم الوالد لتلاميذه مخلصا في رسالته يحرص تلاميذه على طلب العلم، كما كان يراقبهم داخل وخارج المعهد ويهتم بأخلاقهم وحتى هندامهم، وقضى في تربية النشء وتكوين الأجيال إلى أن توفي رحمه الله آخر شهر جوان 1981م[1]

ثالثا: إنجازات محمد علي دبوز:

1- الأعمال المنشورة:

كتاب "تاريخ المغرب الكبير" وهو موسوعة تاريخية، من ثلاثة أجزاء تقع في أكثر من 1600صفحة، تناول في الجزء الأول جغرافية المغرب من العصر الحجري إلى الفتح الإسلامي من خلال ذكر الدول والممالك والحضارات التي توالت على حكم بلاد المغرب، أما الجزء الثاني فقد تحدث فيه عن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب وأهم الصعوبات التي اعترضت الفاتحين وغيرها من القضايا، أما الجزء الثالث فتحدث فيه عن العصر العباسي وخص الدولة الرستمية بجزء كبير باعتبارها الدولة الإباضية، فحاول دراستها

[1] محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر،2008م، ص ص-160. 159

بعمق عبر مختلف مراحلها من التأسيس إلى السقوط[1].

كتاب "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" هو ثاني كتاب ألفه الشيخ دبوز يحتوي على أكثر من 900 ص، أرخ فيه لنهضة الجزائر وأدوارها في مختلف العصور ونتائجها، إضافة إلى ذلك فقد تطرق إلى تاريخ بعض أعلام الإصلاح في الجزائر، ممن كان لهم دور في محاربة المستعمر والدفاع عن القضية الجزائرية[2] كتاب "أعلام الإصلاح في الجزائر" سلسلة من الكتب من خمسة أجزاء تقع في أكثر 1300ص أرخ فيها الشيخ دبوز إلى أهم أعلام الإصلاح في الجزائر عامة والجنوب خاصة، أمثال العربي التبسي مبارك الميلي، أبو اليقظان، وإبراهيم بيوض كما تطرق إلى العوامل التربوية التي ساهمت في بناء شخصية مصلحي الجزائر، والتي كان لها دور كبير في بلورة أفكارهم فاستطاعوا بأقلامهم وأفكارهم الدفاع عن الجزائر ضد المستعمر الذي سعى جاهدا لطمس الهوية الوطنية

2- الأعمال التي لم تنشر:

الإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس، حياة المجاهد المخلص الدكتور محمد بن العربي، جانب من تاريخ الحاج بكير العنق، حالة مزاب وجنوب الجزائر قبل النهضة جمعية قدماء التلاميذ ... وغيرهم[3]

---

[1] محمد علي دبوز: حياته آثاره، ج1،عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص 05.

[2] محمد علي دبوز حياته وآثاره، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص284.

[3] إبراهيم بيوض ابن محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 53.

مقالاته الأدبية:

الحسد ودوره في المجتمع"، "انتصار الحق على الباطل في وادي مزاب"، "أسباب رقي الأمة ونجاح القائد"[1].

آثاره التربوية:

المنهج التربوي للتدريس: تطرق إلى كيفية تدريس المواد المقررة في معهد الحياة المبادئ العامة في منهج التعليم: يتضمن المبادئ العامة التي يجب على المدرس الأخذ بها في منهج التعليم، توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإدارتنا، نظام تدريس الأدب في معهد الحياة[2].

3- منهجيه محمد علي دبوز في الكتابة التاريخية:

إن معرفة المنهج التاريخي للشيخ دبوز مهم جدا للباحث، وهذا ما سأحاول الكشف عنه من خلال ذكر المنهج المتبع في كتاباته ومعالجته للأحداث التاريخية ومختلف القضايا التاريخية اعتمد الشيخ في منهجه على الأسلوب الأدبي والفلسفي البسيط زاوج فيه بين الأدب والتاريخ فنزعته التاريخية الوطنية جعلته يتطلع لأن يكون التاريخ عامل وحدة تجمع بين شعوب الأمة[3] كذا تأثره بشيوخه في معهد الحياة، إضافة إلى دراسته في تونس ومصر واحتكاكه بأدبائها، استفاد منها في تكوين منهجية علمية أكاديمية

---

[1] نفسه، ص ص 56-59.

[2] نفسه ص 59

[3] محمد ناصر: المرجع السابق، ص33.

اعتمد فيها على المنهج العلمي التحليلي الفلسفي لمعالجة الأحداث التاريخية، تركيزه على استخلاص النتائج من الوقائع والحوادث لتنبيه أذهان الطلاب، ومعايشة الأحداث والإحاطة بكل جوانبها واستخلاص العبرة من كل حادث ومشهد وأيضا الإسهاب في عرض التاريخ والتفصيل فيه، ليعطي فكرة واضحة لمن يكتب عنه أو يقرأ له، يقول :"ولا يدرون أن كتابة التاريخ عمل صعب كل الصعوبة رواية وتدوينا، وتحقيقا وتأليفا، فلو كان الإيجاز جائزا فيه لكنت من المؤثرين له، لأستريح من عناء طويل، يرهق الأبدان، ويذيب المخ والعيون « فركز في كتاباته على إعادة كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير من أجل محاربة المدرسة الاستعمارية وأكاذيبها اعتبر الشيخ دبوز أن الكتابة وسيلة تربوية سامية وهدف تثقيفي نبيل، تهدف إلى تعزيز الشخصية الوطنية في النشء المسلم في مختلف الجوانب الدينية والعلمية[1].

4- الإضافات المعرفية للكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز:

شكلت كتابات الشيخ محمد علي دبوز إرثا فكريا ضخما ومرجعا هامة بالنسبة للتاريخ الجزائري، لأنه أرخ فيها للصفحات الخالدة في التاريخ بإعادة تصفيتها من الشوائب، بأسلوب أدبي راقٍ وممتع، ملتزما بالموضوعية التاريخية متجردا من الذاتية مع التعدد في الطرح للعديد من القضايا التاريخية، ونذكر بعض الآراء التي

[1] محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، المرجع السابق، ص139.

قيلت عن كتابته يقول محمد ناصر: «ستظل هذه المؤلفات إلى جانب مادتها الغزيرة معينا ثريا من الأدب العربي الغض والأسلوب السلس المبين، فهو من القلة القليلة من المؤرخين المعاصرين الذين يكتبون التاريخ بأسلوب أدبي راقي ويستنطقون حوادثه، متفاعلين معها مستنبطين أبعادها معايشين لها بكل جوارحهم»[1].

ويقول محمد ناصر بوحجام: « إن شيخنا حسب رأيي قد وفق إلى حد بعيد في رسم معالم الطريق لمن يأتي بعده كي يسير على نهجه ويربط الأجيال بالناصع من تاريخهم، حتى يعتزوا بشخصيتهم التي حاول الاحتلال طمسها[2]«.

والحق أن الشيخ محمد علي دبوز مؤرخ فذ، أولى اهتماما كبيرا للتاريخ الإسلامي جمعا وتدريسا وفي هذا الصدد تقول عائشة عبد الرحمن: « والحق أن الأستاذ استطاع أن يوضح لنا هذا الجانب بأوفى ما يكون من إيضاح وتفصيل، وجمع لنا الحشد الكثير من أخبار ومرويات مبعثرة في مئات من المصادر قليل منها معروف ومتداول وأكثرها مما لا سبيل إليه إلا بمشقة لا يحتملها سوى الخاصة من الباحثين »[3] ويقول أنور الجندي » تعد موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدالة على قدرة الجزائريين في

---

[1] محمد ناصر: المرجع السابق، ص07.

[2] محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ص26.

[3] محمد صالح ناصر: المرجع السابق، ص195.

ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حيث يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ الدبوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد كاشفا عن عشرات الحقائق التي شوهها بعض المؤرخون والكتاب [1]. «

ويقول محمد عطية الأبرشي: «والحق أن الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة لمن يقدمه، فمادته غنية كل الغنى، تدل على سعة الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة وإني واثق بأن هذا الكتاب بأسفاره الثلاثة الضخمة سيجد مكانة في كل بيت عربي وكل مدرسة عربية، وسيصبح مصدرا للمعاهد العلمية في المغرب >[2].

كما أثنى نور الدين حاطوم عن الشيخ دبوز باتخاذه هذه الخطوة الجريئة بتأريخه لبلاد المغرب الكبير يقول: » ولعل ما يقال في الأستاذ دبوز أنه كان من السباقين الأوائل إلى عرض تاريخ المغرب الكبير كوحدة تامة لها ظروفها ومقومات حياتها فإن أقل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن الأستاذ دبوز كان شجاعا في تأليفه وانطلاقه وهو يستحق كل ثناء وتقدير على هذا الفتح الذي فتحه في تاريخ المغرب العربي وتعريف أبناء العروبة والإسلام >[3]

وحول كتابه نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة يضيف: « وفي

---

[1] أنور الجندي: مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد، بيروت لبنان، ص248.

[2] نفسه: ص94.

[3] نور الدين حاطوم: تاريخ الجزائر على ضوء جديد>>، مجلة الجندي، العدد 754-755الثلاثاء 12تموز1966 م، ص22.

اعتقادنا أن هذا العمل عظيم يعالج الكثير من جنبات الحياة الجزائرية التي مازلنا نجهلها أو لا نعرف عنها إلا القليل، فلقد سد به ثغرة وأنار سبيلا وأوضح مجهولا >[1]

[1] نفسه، ص23.

قائمة المصادر والمراجع:

1. عبد القادر قوبع: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و1954، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر،2008/2007.
2. أولاد داود إلياس: محمد علي دبوز وإسهاماته التاريخية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، حديث ومعاصر، جامعة غرداية،2016/2017م.
3. إبراهيم بيوض ابن محمد علي دبوز: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
4. خير الدين شترة: معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، ج03، منشو ارت الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015م.
5. محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.
6. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.
7. عبد الرازق عطلاوي: أعمال المؤتمر الدولي التاسع حول إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين 1900م إلى 1954البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة أنموذجا، الجزائر،2013م.
8. محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر،2008م.
9. محمد علي دبوز: حياته آثاره، ج01 عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
10. محمد علي دبوز حياته وآثاره، ج03، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
11. محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج03،

وفاته

توفي الشيخ محمد دبوز يوم الجمعة 13نوفمبر 1981م، في بريان وعمره 63 سنة، فهو لم يتوقف عن العطاء حتى وافته المنية بعد اشتداد مرض عضال أقعده الفراش فكانت وفاته رزية عظمى لمزاب والجزائر والعالم الإسلامي كله، ووُري التراب يوم السبت بحضور جمع غفير حضره العلماء والمشايخ وتلاميذه والسلطات المحلية وبكاه أصدقاؤه وطلبته

الخاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه في هذا الموضوع المتعلق بالكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي:

- ❖ البيئة التي نشأ فيها محمد علي دبوز والاهتمام الذي خصته به عائلته خصوصا والداه فقد كانوا بمثابة المدرسة التي تغذى منها فكريا وأخلاقيا وتربويا.
- ❖ شكل المناخ الثقافي والديني الذي شب فيه محمد علي دبوز أحد أهم الروافد التي كونت شخصيته، فإلى جانب دراسته في معهد الحياة الذي تعلق به وبمؤسسه إبراهيم بيوض فقد درس في تونس ومصر وتشرب من المعارف في المدارس

12. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر.
13. أنور الجندي: مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد، بيروت لبنان.
14. نور الدين حاطوم: تاريخ الجزائر على ضوء جديد، مجلة الجندي، العدد 754-755 الثلاثاء 12تموز 1966م.

والمعاهد، التي أكسبته ثقافة واسعة.

- ❖ كان معهد الحياة بالنسبة لمحمد علي دبوز نقطة تحول نحو كتابة التاريخ، فحمل على عاتقه إعادة كتابة التاريخ وتصحيحه.
- ❖ تحمل الشيخ محمد علي دبوز كل المتاعب في سبيل الوصول إلى الحقيقة التاريخية فرغم معاناته المادية والمعنوية الشاقة، فلم يكن ذلك عائقا أمامه للبحث عن الحقيقة.
- ❖ كان الشيخ دبوز من الذين نادوا بإعادة كتابة التاريخ بموضوعية، وتصحيحه من المغالطات التي تشوبه، وبعث التاريخ الصحيح للأمة لأحياء أمجادها في نفوس الناشئة.
- ❖ ظهر الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا طويل النفس فنذر حياته لكتابة التاريخ الصحيح وهو ما برز في مؤلفاته التي حملت في طياتها الكثير من الحقائق التاريخية.
- ❖ لقد أثرى الشيخ محمد دبوز المكتبة الجزائرية والعربية بالعديد من المؤلفات القيمة التي لازالت تشكل مرجعا هامة للمؤرخين في مختلف الفترات التاريخية.
- ❖ لقد أولى الشيخ محمد علي دبوز اهتماما كبيرا بإعادة كتابة تاريخ المغرب الكبير الذي طالما طالته الأباطيل الكاذبة، فأخرج لنا بذلك عملا ضخما يعد مرجعا أساسيا لتاريخ بلاد المغرب.

❖ شكل التاريخ اهتماما كبيرا لدى الشيخ دبوز، وتميز مفهوم التاريخ عنده بكونه وسيله تربوية تساعد على تربية الناشئة ووسيلة للاتعاظ تساهم في تقديم التاريخ الصحيح للأبناء...

رحلة الشيخ محمّد علي دبّور العلمية ومحطّات حياته

أ. بن حرمة هجيرة
أ .د. خالد بوزيان
جامعة عمار ثليجي – الأغواط

مقدمة:

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على البشير النذير، خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله الفصحاء الأطهار وصحبه البلغاء الأخيار وبعد:

تعتبر الكتابة التاريخية مسرحًا فسيحا توقفت على منصاته الكلمات، وأبحرت فيه سفن الأقلام، باعتباره أنموذجا حيا ذا دلالات واضحة المعالم على تاريخ الشعوب، وذلك من خلال تسليط الباحثين والمهتمين الضوء على أهم المراحل التاريخية التي تمرّ بها الأمم بمختلف تطوراتها ونكباتها هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنها تمثل جزءً كبيرًا من حاضر الأمة ومستقبلها، فكلّما كانت الكتابة في هذا المجال ضعيفة ضاع جزءٌ كبير من ماضي الأمة، وبالتالي ينشأ جيل جاهل بماضيه يخضع لجميع المؤثرات الخارجية.

وإذا أشرنا إلى الكتابة التاريخية في الجزائر فنجدها ضعيفة

مقارنة بالكتابات الأخرى وذلك عائد إلى عدّة عوامل أهمها الحالة الاجتماعية والثقافية للمجتمع في العهد العثماني، وفترة الاحتلال الفرنسي. لكن بالرغم من هذه العقبات التي تحدّ القلم والكتابة كصلة وثيقة بين الماضي والحاضر، نجد مؤرخين جزائريين اشتهر صيتهم بإسهاماتهم في هذا النوع من الكتابة ، أمثال: "عبد الرحمن الجيلالي" و " **الشيخ محمد علي دبوز**" الذي حمل على عاتقه عبء كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير قبل الاستقلال وبعده.

إن اهتمامي بهذا النموذج الفذ " **الشيخ محمد علي دبوز**" سيُبيّن بعضا من آثاره وإسهاماته في حفظ تاريخ الأمة، بالإضافة إلى أهمية مادته ومؤلفاته سواء الأدبية منها أو التاريخية حول ميزاب والجزائر وأعلامها بوجه خاص، والعالم الإسلامي عموما، والذي يستحق العناية و الدراسة في الجامعات الجزائرية وغيرها. ولكون البحث حول شخصية معروفة فإن مكان الدّراسة محلّ مولده ونشأته والتي كان لها الدور الكبير والمهم وهي: "بريان" مسقط رأسه، بالإشارة إلى القرارة، إضافة إلى أين حلّ وارتحل، فمزاب والجزائر لم تسعه ولم تشف غليله العلمي، فانتقل إلى تونس ومصر، وسنكون على موعد لبيان دوافع ذلك ونتائجه في طيات هذا البحث.

ومن خلال تتبعنا لمسيرة حياة الشيخ دبوز بما تحمله من زوايا، اقتضى الأمر أن نعتمد **المنهج الوصفي التحليلي**. باحثين ومتصفحين لعدة مصادر نذكر منها: محمد علي دبوز في كتبه:" أعلام الإصلاح

بالجزائر في الفترة الممتدة من سنة 1921م-1975م" بالإضافة إلى: "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" و "تاريخ المغرب الكبير"..، وجملة من المراجع كإبراهيم بيوض في كتابه: " حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز" وكتاب يوسف الواهج: "من أعلام الإصلاح بالجزائر"الشيخ محمد علي دبوز".. وغيرهم

إنّ محاولة التعرف على السمة الخاصة التي اتسم بها هذا المؤرخ في كتابته للتاريخ جعلتنا نتصدى لإشكالية كان مفادها كالآتي: من هو الشيخ دبوز؟ نسبًا ونشأةً وتكوينًا؟ كيف كانت محطات حياته؟.

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية، كان لابدّ لنا من طرح أسئلة فرعية جاءت على النحو الآتي: ما هو مساره التعليمي؟ ماهي أهم إسهاماته التاريخية؟ وماهي الدوافع التي جعلت الشيخ محمد علي دبوز يتوجه للكتابة التاريخية؟ ماهو الأسلوب والمنهج الذي اتخذه في كتابته؟

أولا: الشيخ دبوز ومحطات حياته:

1. نسبه:

هو الشيخ: "محمد بن الحاج بن علي بن عيسى بن كاسي بن عيسى بن حمو بن داود بن أمحمد بن داود بن منصور بن إبراهيم دبوز، وداود الفثاني هو الذي انتقل من جنوب المغرب الأقصى، ثم

استقرّ حينا في جبل الاعمور جبال بني راشد ثم انتقل منها إلى غرداية."[1]

وعلى حسب ما جاء في الكتب التي تناولت حياته فإن من أولاد الحاج داود، والمعروف بالشيخ بالحاج داود، أحد مشائخ غرداية القدامى والذي له مقام يزار كل عام في مقبرة الولاية وتنسب له كرامات كما يفعل ذلك الكثير من سكانها. وأول من انتقل إلى بريان من أجداده هو (حمو بن داود) وهو الذي لقب بـ(دبوز) حينما كان في غرداية، نسبة إلى الغابة التي وقعت فيها الواقعة البطولية التي سمي من أجلها "دبوز" وهي لاتزال موجودة إلى اليوم، وتدعى "غابة الدبوز" وحمو بن داود هو جدّه الرابع[2].

كان كل أجداده من كبار أعيان بريّان، وهم رؤساء عشيرتهم "النشاشبة وأولاد يونس"، وهم الذين عرفوا بالفلاحة فكانت مكسبا لهم عدا جدّه (أبو الحاج علي) فقد اشتغل بالتجارة في قسنطينة، و"هو من أحد أفراد الثلة التي أسست الجمعية الخيرية سنة (1927م)، وقامت بفتح مدرستها العصرية وكان أمينا لمالها وعضوا فعالا فيها حتى سنة (1380هـ/1961م) حتى طلب الإعفاء منها لما أثقلت الشيخوخة كاهله وأذهبت بصره وأثقلت سمعه"[3].

ولقد ساند الجمعية وكان عضوا فعالا فيها سيما في مراحلها

---

[1]- دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، ط1، مكتبة الصفاء، بريان-غرداية، ب س، ص:16.

[2]- نفسه، ص:17.

[3]- ينظر: نفس المرجع، نقلا عن: مشايخ غرداية مخطوط، ص: 16.

الأولى التي كانت أصعب مراحلها بحكم الظروف الصعبة آنذاك، تكاتف معها بماله الخاص وبفكره وتشهد له ذلك الوثائق للجمعية ومحاضرها. وكان مثالا للتضحية وخدمة الجماعة وعمارة المسجد وحب العلم والعلماء ما جعله ينال قسطه من تنكيل الاستدمار لكنه لم يبالي به.

كما أنه كان مؤمنا كل الإيمان بالحركة الإصلاحية، وهو من مناصري الشيخ " بيوض" وحركته، رزقه الله- على حدّ ما نقل لنا – بالعديد من الأبناء قبل "محمد" ولكنه لم يكتب لهم العيش ودفعه حبه العظيم للعلم والعلماء أن ينذر نذرا إن رزقه الله ولدا أن يهبه للعلم والدين، "وكان منه هذا النذر لما زار معهد:" الحاج عمر بن يحي المليكي" في القرارة."[1]

نعم، حقق الله عز وجل أمنيته ورزقه ولدا ذكرا سماه "محمدا" تيمنا بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

2. مولــده:

ولد بـ (بريان)، "إحدى قرى مزاب بالجنوب الجزائري ولاية غرداية سنة (1337 هـ/ الموافق لفبراير سنة 1919م)، خلق في رحم أم كانت مثالا للجد والحزم والعمل الدؤوب وهي السيدة" عائشة بنت يحي دبوز" فقد ورث منها ابنها هاته الخصال الحميدة سيما الحزم،

[1]- ينظر، نفس المرجع، ص:16.

وكانت لا تعرف الكلل من العمل حتى في آخر عمرها إذ توفيت سنة(1973م)"[1].

. وفيها نشأ وترعرع تحت رعاية أبوين اعتنيا به وربياه تربية فاضلة إسلامية صحيحة منذ نعومة أظافره. فغرسا فيه حب العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والروح الدينية والوطنية. سيما العقدية، ونمو فيه حب العمل وخدمة الجماعة وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

3. البيئة التي ولد فيها:

يقال : "الإنسان ابن بيئته" ولذلك حين نريد معرفة كيان شخصية ما لابدّ علينا أن نعرف نبذة موجزة حول بيئته. ها هو "الشيخ دبوز" والذي سنلقي الضوء على البيئة التي كان يعيش فيها، والتي ولد وترعرع ونشأ في أحضانها، والتي حتما كان لها الأثر الكبير في نفسه وفي تكوينه العلمي واتجاهاته.

وارتأيت أن أقسّم هاته البيئة إلى:

✓ **البيئة السياسية:**

تمتع وادي مزاب في تاريخه القديم بالاستقلال، قرابة تسعة قرون من الزمن، سيما السياسي والاجتماعي منذ أن تأسست أولى قراه

[1]- ينظر: يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح بالجزائر "الشيخ محمد علي دبوز"، ب ط، بريان، الجزائر، 1881، ص:1.

(العطف) في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي (402هـ/1012م) إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وبقي يتمتع بهذه الميزة حتى عندما عقدت معها الحكومة الفرنسية المعاهدة يوم:(29أفريل1853م) . من طرف القائد (كومندان دبيري) باسم والي عموم الجزائر (الماريشالراندون). تعهدت فيها للميزابيين بحفظ بلادهم، واحترام معتقداتهم، وصيانة عوائدهم، ولا تتدخل في أمورهم الداخلية.[1]

ولكن ما أسرع أن نقضت الحكومة الفرنسية هاته المعاهدة . والنقض ديدنها وجبلة فيها. وفي (26أكتوبر1882م) تلقى الجنرال(دولاتور) برقية من الوالي العام (لويس تيرمان) يأمره فيها باحتلال مزاب وإلحاقه بفرنسا، بحجة تزويد وادي مزاب الثوار بالمؤن، واتخاذهم لها مخبأ تقيهم غارات الاستعمار. ثم إعلان إلحاق وادي مزاب بفرنسا رسميا يوم:(30 نوفمبر 1882).[2]

هكذا وقع وادي مزاب في مخالب الاستعمار الغاشم، وفقد ما كان يتمتع به من حرية واستقلال في تسيير دفة أموره الداخلية، وتعاقب عليها حكام عسكريون فرنسيون، كلهم مستبدون ذوو غطرسة وفظاظة، عزموا على سلخ الجزائر من دينها وتاريخها وأصالتها وكشفوا عن حقيقتهم الصليبية، وكان أخبتهم على الميزابيين وأشدهم تنكيلا بهم، وبعلمائهم، قائدان هما: (فيقوروس) ونائبه وتلميذه: (

[1]- ينظر: مذكرات ووثائق عن وادي مزاب، مكتبة الصفاء، ص:06.
[2]- نفس المرجع، ص:114.

قوتي).

وقد بدأ "فيقوروس"الحكم على وادي مزاب في أوائل العشرينيات من القرن العشرين، إبان الحركة الإصلاحية التي تزعمها العلامة الشيخ بيوض – رحمه الله – وكان فظا غليظا على الميزابيين عموما، وعلى الحركة الإصلاحية خصوصا.

"وقد بلـغ به معاداته للشيخ بيوض أن أقسم لأذنابه، أن لا يعتزل وظيفته في مزاب، حتى ينفي الشيخ بيوض؛ أو يسجنه؛ أو يحكم عليه بالإعدام".[1]

ولما نقل إلى (وارجلان) خلفه نائبه (قوتي) وكان في الظلم والغطرسة، وشدة معاداته للإصلاح والعلماء، كسابقه وأستاذه، ودام حاكما لمزاب إلى أن زال الحكم العسكري في الخمسينات من القرن العشرين.

ومن أكثر ما عانى به وادي مزاب من جراء الاستعمار هو التجنيد الإجباري الذي قرر يوم: (30 فيفري 1912م)، وقد وقع على الميزابيين وقعا أليما مريرا، لأنه يجعلهم وجها لوجه أمام من ليس لهم معه معاداة، وهو مالا يسمح به لهم دينهم الذي يحرم دماء المسلمين، وما تأباه وطنيتهم وأصالتهم . وقاطعوا هذا التجنيد وتصدوا له بكل

[1]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج4، ط1، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، 1974، ص:43.

ما أوتوا من طاقة وقوة ووسيلة ، ولم يذعنوا للقرار رغم بداية تطبيقه قسرا في سنة (1918م) وداموا على محاربته، حتى أصدر مرسوم بإلغاء التجنيد الإجباري للجزائريين يوم: (6 فيفري 1946م) ، حينها تنفس الميزابيون الصعداء.

✓ **البيئة العلمية:**

بعد أن نشأت النهضة العلمية الإسلامية الحديثة في وادي مزاب، ورفع لواءها عاليا وتزعمها الإمام العلامة قطب الأئمة الشيخ: "الحاج أمحمد طفيش- رحمه الله – " وهي أسبق نشأة من النهضة العلمية في الشمال. كان الفرنسيون قد احتلّوا المنطقة آنذاك.

فقد عُرف التعليم العربي الإسلامي بقسميه الابتدائي للصغار، والثانوي للكبار حرا منذ تأسيس وادي مزاب في القرن الحادي عشر الميلادي إلى ما بعد احتلاله.

كان التعليم الابتدائي يزاول في المحاضر الملحقة بالمسجد أي الزوايا ، يتولاه ثلاثة أعضاء من حلقة العزابة، تطوعا لوجه الله من غير أجرة، وليس لمن يقصد المحاضر للتعليم تحديد لسنه. وكان وقت التعليم فيها بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبين السحر وطلوع الشمس في الشتاء، إذ يتعلمون فيها الكتابة.. والرسم.. وحفظ القرآن... ومبادئ الفرائض الدينية، وخاصة العقيدة.. والوضوء... والصلاة... .

أما التعليم الثانوي فقد كان العلماء في وادي مزاب منذ القرون الأولى، يتخذون من دورهم مدارس، يؤمّها الراغبون في التفقّه وتلقي العلوم العربية، ولا حد لهم فيها للسن كذلك فمن بلوغ الحلم إلى السبعين والثمانين...

وكان حفظ القرآن الكريم من أول الشروط للالتحاق بها ولا حد لسنوات الدراسة فيه. وكان من الطلبة من يمكث سنتين أو ثلاث سنوات، أو أربعينًا فيكتفي بما أخذه، ثم يترك المدرسة للاشتغال بالكسب، ومنهم من يطول مكثه حتى يأخذ حظا وافرا من العلوم العالية في أصول الفقه والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة وغير ذلك...

وهؤلاء هم الذين يعدّون أنفسهم للتصدي للتعليم في بلدانهم ليخلفوا مشائخهم.

في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، قبل احتلال مزاب بسنين، تنبه الناس لقصر مهمة التعليم في المحاضر التابعة للمسجد، ولم تكن كافية لتكوين أبنائهم؛ من حيث المنهجية، أو عدد المعلمين وتكوينهم المنهجي سيما وقت الدراسة القصير، فشرعوا في فتح دورا خاصة للتعليم العربي القرآني توازي المحاضر في مهمته وجلبوا لها معلمين أكفاء، ومن يومها حددت الأجرة للمعلمين لأنهم يتفرغون لمهمتهم ويعلمون في أوقات الكسب، وهاته الأجرة غالبا ما تكون

مؤونة وقد تكون نقدا.

" وعند احتلال وادي مزاب دام التعليم فيها حرا، متمثلا في المحاضر أو الدور المخصصة له أو في دور العلماء، وبقي على هذا الحال عشر سنوات من سنة(1882م إلى يوم 18أكتوبر1892م). حين صدر القانون الفرنسي الآمر بإنشاء مدارس فرنسية رسمية في كل قرى وادي مزاب، ثم أنه ينص في فصله (55) أن يمنع الصبيان الذين لهم عمر مدرسي من ست سنين كاملة، إلى ثلاث عشرة سنة كاملة أن يقبل في المحضرة أو المدرسة الحرة، أوقات المدارس الفرنسية، ولكن الميزابيين قاطعوا هاته المدارس الفرنسية ورأوا أن الدراسة فيها كفر وإلحاد، وأن الذين يعملون فيها أنجاس أنكاد.

ولم تجد السلطة الحاكمة إلا أن تأخذ إليها الصبيان أخذا جبرا، وتجرهم جرا وهم يبكون مما حدا بالأولياء إلى أن يهرّبوا أولادهم إلى مدن التل كلما اقترب موعد فتح المدارس الرسمية. وكلما اقترب موعد فتح المدارس الرسيمة، وقع تغريم وسجن وتعذيب لمعارضيها."[1] ويشتد أكثر على المعلمين الذين يعملون في الصباح.

وبهذا واصلت المدارس الحرة في القرى البعيدة عن مقر الحكم العسكري بوادي مزاب المستقر بغرداية في أداء مهمتها سرا في الصباح، ومسؤولوها كلهم عيون تراقب حركات المسؤولين الفرنسيين

[1]- ينظر : محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة التعاونية، 1965. ص: 136.

وإدارتهم، وبمجرد علم مسؤولي المدارس المزابية بتوجهها إلى ناحيتهم يأمرون التلاميذ بالانصراف وعدم القدوم إلى حين رجوع هؤلاء المسؤولين الفرنسيين. ما يعكس نوعا آخر من المجاهدة في التعليم.

كما أن هذه المدارس الحرة كانت تعاني من نقص في الوسائل العصرية وأجهزتها، والثانوي يفتقر إلى نظام الطبقات (السنوات)، حيث كان التلاميذ الجدد والقدم مختلطين في حلقة درس واحدة لايميز بينهم، فالقدامى يستمعون لدروس النحو الابتدائي من الأجرومية الخاص للجدد وكذلك هؤلاء يستمعون لدروس النحو الخاص بالقدامى أي أنها تفتقر لنظام وبرنامج خاص .

دام التعليم على هذا المنوال إلى نشوب الحرب العالمية الثانية سنة (1939م) وفي أثنائها تمّ إصلاحه بقسميه الابتدائي والثانوي.

إذ شرع دعاة الإصلاح التربوي والاجتماعي بإدخال الوسائل العصرية للابتدائي، وتطبيق نظام الطبقات أي تحديد (السنوات) في الثانوي، ما أدى إلى زيادة في عدد المتعلمين

وكان بدء نظام الطبقات في سنة (1915م)، حيث صنف الشيخ:" الحاج عمر بن يحي المليكي"-رحمه الله- طلبته إلى طبقات وأصناف، حسب ما هو جارفي معاهد العالم الكبيرة كالزيتونة، فأوجد في النحو مثلا طبقة الأجرومية، وطبقة الشيخ خالد، وطبقة القطر، وطبقة ابن

عقيل، وطبقة الأثموني... ..وهكذا[1].

في تلك الحقبة كثرت مسؤولياتهم وتفرعت قضايا التربية والتعليم، ففكر المصلحون في إنشاء جمعيات خيرية تتولى أمر التربية والتعليم وتقوم بشؤونه المتعددة، وبدؤوا في إنشائها، ولكنها لم تكن علنية بل سرية، وتشدد في سريتها، " لأن القانون

الفرنسي الصادر في جويلية (1901م) يمنع تأسيس أي جمعية، مهما تكن إلا برخصة فرنسية وتفادت الجمعيات المؤسسة طلبها؛ خوفا من تدخل السلطة الحاكمة في شؤونها، بما لها من حق في المراقبة والتفتيش، لأن أهداف هاته الجمعيات السرية لا تقتصر على التربية والتعليم فقط، بل تهتم بالعديد من أمور الإصلاح في البلدة، وتجمع في يدها زمام الأمور كما كانت عليه جمعية الحياة في القرارة قبل ترسيمها سنة (1937م)، وهي الجمعية التي كان يرأسها الشيخ الحاج بكير العنق والشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي، ولقد استطاعت جمعية الإصلاح أن ترسم نفسها منذ تأسيسها لوجودها في مقر الحكم العسكري في مزاب."[2]

أما جمعية الفتح فقبل أن تسمى بهذا الاسم سنة(1946م)، كانت جمعية خيرية نشأت في (02 صفر 1346هـ/01 أوت 1927م) ودامت في جهادها التربوي الإصلاحي إلى أن تحتم عليها استخراج الرخصة

[1]- نفسه، ص: 138.
[2]- ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المرجع السابق، ص: 132.

سنة(1365هـ/ 1946م). وتسمت بـ" الفتح"[1]

- **الحركة التعليمية في بريان:**

في العشرية الأولى والثانية من هذا القرن لم يكن التعليم في بريان إلى الدرجة الموجودة في القرارة وغرداية من حيث الاهتمام به وتأطيره لأسباب:

أولها: كانت محاضر المساجد غير كافية من جميع جوانبها لأداء رسالة التربية والتعليم في البلدة على النمط المرجو منها.

ثانيها: هناك من يفتحون دورهم لهذه الرسالة، ولذلك فهم بحاجة إلى هيئة تهتم بأمورها، وتدير شؤونها؛ وتحميهم من عوادي المعارضين للتعليم خارج المحاضر واعتداءاتهم الصارخة.

وهذا ما حتم على" الشيخ محمد بن الحاج ابراهيم الطرابلسي أن يزم حقائبه ويرحل إلى القرارة ليؤدي رسالته التربوية فيها سنة 1912م ولم يمض له بهاته المهمة في بريان إلا شهورا معدودة من سنة(1911م) لأنه لم يجد الهيئة التي تحميه وتقوم بإدارة شؤون التعليم وشؤون الطلبة"[2].

وهذا ما حدث كذلك مع الشيخ (عمر بن صالح آت داود)

---

[1]- نفس المرجع، ص:26.
[2]- ينظر، تاريخ الشيخ الطرابلسي، مخطوط.

حين استقدمه إلى بريان الشيخ (الحاج إبراهيم فخار سنة 1926م)، ولم يمكث طويلا في التدريس حتى رجع على أعقابه إلى غرداية، من أجل المشكل الذي رحل من أجله الشيخ الطرابلسي إلى القرارة.

وأمام هاته العوامل تبين لأعيان بريان قبل أن يفتحوا مدرسة، ويجلبوا لها معلما كفئا أخلاقيا وعلميا عليهم ان يرسوا قواعد الجمعية الخيرية التي تتكفل بالمهمة التربوية، ووجودها الحل الأوكد لمعالجة أزمة التعليم في بلدهم.

" فشمروا لتأسيس هذه الجمعية، وكانت كما يريدونها سرية، وتحققت بغيتهم يوم (01أوت 1927م) بإرشاد من الشيخ (أبي اليقظان) ومساعدة (الشيخ بيوض)، وفتحوا أول مدرسة عصرية في بريان في: (محرم1347هـ/جوان1928م) وحضر **الشيخ بيوض** يوم افتتاحها وتولى تدشينها، وكان يوما مشهودا في تاريخ البلدة.. وكان معلمها الشيخ (صالح بن يوسف أبسيس) ذا كفاءة عالية في التكوين. وابتدأت هذه المدرسة بستة عشر تلميذا كان محمد علي دبوز أحدهم"[1].

وقد بذلت الجمعية الخيرية قصارى جهودها لتطوير هذه المدرسة فبنت لها مقرا جديدا خاصا بها، يتكون من عدة أقسام جهزتها بالأجهزة العصرية مثل المقاعد والسبورات، وأضافت لها معلمين أكفاء يؤازرون الشيخ صالح أبسيس في مهمته منهم الشيخ (صالح بن يحي الطالب،

[1]- سليمان بن الناصر حسني، تاريخ الحركة الإصلاحية في بريان، مخطوط.

باحمد والشيخ عبد الرحمان بن عمر بكلي وغيرهما، رحمهم الله جميعا.)[1]

ومما تأذت به بعض الجوانب العلمية في الجزائر في ظل الاستعمار، هو ما قام به هذا الأخير من تشويه وتحقير وتزييف للشخصية الإسلامية الجزائرية الأصيلة، حتى تنفر منها نفوس أبناء الجزائر ويصدقون أكذوبتها الفادحة أنهم فرنسيون. وقامت بتشويه بليغ بدءا من التاريخ الجزائري الإسلامي إلى تاريخ الدول الإسلامية في شمال إفريقيا.

ولقد تركت بصماتها السوداء واضحة في تاريخ الجزائر وآمن بآرائها الزائفة كثير من أبناء الجزائر الذين درسوا في المدارس الفرنسية الرسمية.

- ✓ **البيئة الاجتماعية:**

كانت البيئة الميزابية في العشرينات والثلاثينات تمتاز بالصراع المرير بين الفئتين وهما:

الفئة الأولى: وهي التي حملت مشعل الإصلاح آنذاك في جميع المجالات، الدينية منها أو العلمية أو التربوية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وهي التي قامت بإنشاء الجمعيات الخيرية لتجسيد ما تصبوإليه من إصلاح في ساحة الواقع، وسعت جهدها لتصحيح

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المرجع السابق، ص:134.

العقيدة الإسلامية، كما حاربت الآفات الاجتماعية التي شاعت في وادي مزاب تحت مظلة الاستعمار. تزعم هذه الفئة الشيخ بيوض-رحمه الله.

الفئة الثانية: كانت تناوؤ ما تقوم به الأولى من إصلاح على أساس أنه يمس كرامة المسجد ويحطّ مما كان يذهب إليهم مشائخهم القدماء، فتصدّوا بضراوة للمدارس العصرية لأنهم رأوا أنها تضر المحاضر وعلومها، ويُقال أنّهم أشاعوا وقتها بأن هذه المدارس بدعة لا أساس لها من الدين. ولكن الحركة الإصلاحية كانت تؤدي سيرتها بثبات وصدق وعزيمة، غير مبالية بمثل هذه العقبات. ومن هنا انقسم الناس بين مؤيدين ومعارضين، يتخبطون بين مدّ وجزر.

- ✓ **البيئة الاقتصادية:**

كانت الفلاحة هي المصدر الأول للعيش بالنسبة للمزابيين، وباعتبار وادي مزاب همزة وصل في طريق القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وسوقا استراتيجية لها، فقد بدأوا يزاولون حرفة التجارة في الأسواق كمدن الشمال أو خارج الجزائر، مثل تونس وسوسة...حتى غدت المورد الأساسي للربح إلى جانب الزراعة التي بقيت موردا مستقرا للكفاف.

لقد كان والد محمد علي دبوز تاجرا موسرا في قسنطينة، فاستطاع أن يهيئ لابنه الظروف المادية الملائمة لمتابعة دراسته على أكمل وجه وبهذا استطاع محمد أن يطبع كتابه الكبير في مصر والذي

كلّفه طبعه كثيرا.

ومعروف في وادي مزاب إلى جانب التجارة والزراعة، الصناعات التقليدية المتمثلة في الألبسة الصوفية سيما (الحايك والبرنوس.. والقشابية... والمفروشات مثل: الزربية التي امتازت بها، كما امتازت بريان بجودة الألبسة الصوفية. وكان الاتكال على المرأة المزابية في ذلك. لأنها تجدها مصدر رزق لا بأس به، تساعد به زوجها في القيام بشؤون أسرتها.

4. الشيخ دبوز وتلقيه للعلم :

بدأ الشيخ محمد علي دبوز تعلمه في المدرسة القرآنية في بريان حيث تعلّم على يد الشيخ " موسى بن صالح موسلمال" -إمام البلدة رحمه الله- مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزء وافرا من القرآن الكريم، ثم واصل تعلمه على يد الشيخ "صالح بن يوسف ابسيس" بحيث درس على يديه العلوم الدينية والعربية إذ تفرس فيه مخائل النجابة والذكاء واهتم به أيّما اهتمام ، وبقي تلميذا له في سنة (1934م) حيث شدّ الرحال نحو **معهد الحياة** في القرارة، حين نقله والده إلى القرارة فتتلمذ على يد العالم الجليل الشيخ (إبراهيم بن عمر بيوض)، والأستاذ الشيخ (عدون "شريفي سعيد") -رحمهما الله- وغيرهما . إذ كان حلمه فتعلّق به قلبه، لما كان يسمع عنه ولِما عرفه من خصال الشيخ بيوض وشخصيته العظيمة.

وفيها حفظ كتاب الله العزيز واستظهره في شهر أوت سنة (1935م)، ثم عكف على دراسة العلوم العربية والشرعية والأدبية، وقد كان شديد الرغبة في التلقي حريصا على التحصيل محافظا على أوقاته ذا قلم سيال، ومازالت مجلة الشباب التي كان يصدرها معهد "الحياة" يومئذ، تشهد على ذلك وتحفظ لنا الكثير من مقالاته المطوَّلة وفصوله الأدبية الرفيعة ومناظراته ومعاركه الأدبية، خاصة مع الأستاذ المرحوم "علي يحي معمر".

4. حكايته مع تونس الخضراء:

وفي شهر شعبان من سنة(1944م) بعد تخرُّجه من معهد الحياة أرسله والده وأستاذه الشيخ بيوض إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون، بعد محاولات عديدة من طرف الشيخ بيوض لإقناع والده الذي رفض رفضا قاطعا سفر ابنه إلى تونس خوفا عليه.

" كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها ونيرانها مستعرة، وقد غلقت الحكومة الفرنسية كافة الحدود الجزائرية، سيما التونسية لكثرة التنقل منها وإليها، ولا تسمح بالسفر إلا برخصة رسمية. ولم تكن مفروضة على الجزائريين إلى خارج الوطن، بل حتى في داخله، وتشدد في منحها ولا تعطيها إلا بعد وقت طويل ولمن تشاء".[1]

وبالرغم من كل هذه العقبات والتشدد غامرت جماعة من طلبة

[1]- ينظر، محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المرجع السابق، ص :164.

العلم إلى تونس فسافرت من دون جواز سفر على طريق الجبال الصعبة، ومن الطرق البعيدة الملتوية التي تقل فيها الرقابة، ومن هؤلاء المغامرين إلى تونس (محمد علي دبوز)، سافر إليها من دون جواز سفر، حفظه الله في طريقه الطويل الملتوي، فوصل تونس الخضراء، وكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل إليها. فيكوّن نواة البعثة البيوضية التي استمرت بعد ذلك وبارك الله فيها. كان سفره إلى الخضراء في شهر سبتمبر (1942م).[1]

وبعد سنة مباشرة التحق به كل من صديقيه : (عيسى بن الحاج عمر بوحجام و الحاج محمد بن إبراهيم مرموري) فتكونت بهم البعثة البيوضية. وهناك دخلوا إلى جامعة الزيتونة ومعهد ابن خلدون وأسرعوا إلى مكتبات تونس العامرة كالمكتبة الخلدونية والعطارين... وغيرهما، فنهلوا منها العلم نهلا دامت هذه المدة بالنسبة لمحمد علي ثلاث سنوات.

5. دراسته العليا في مصر ومغامرته إليها:

تعلقت همته بالسفر إلى مصر، كنانة الله في أرضه، وحاضرة الثقافة العربية والإسلامية في ذلك العصر، لما تتوفر فيها من جامعات ومعاهد وتحتويها من عباقرة الأدب العربي وعلماء العصر وعمدة النهضة الاسلامية، أمثال الدكتور" طه حسين والدكتور... زكي

[1]- نفس المرجع، ص:165.

مبارك... والدكتور أحمد أمين ...عباس محمود العقاد وأنور الجندي" وغيرهم الكثير الذين لا يشملهم حصر، ولما تتوفر فيها من الكتب والمجلات النادرة التي لاتصل إلى تونس إلا لماما، لسبب ظروف الحرب، ولما تحتويها أيضا من خزائن عامرة بالمخطوطات في جميع الفنون الثقافية.

دفعته إرادته أن يسافر إلى مصر متنكرا مستخفيا في زي الأعراب مرافقا إحدى القوافل المارّة عبر الصحراء الليبية حتى مصر، ومما يحكى عما فعله لأجل ذلك:

(وبما أن سحنة وجهه لاتمت إلى سحنات الأعراب، إذ هو أبيض مشوب بحمرة. فقد جلس على شاطئ البحر التونسي أياما حتى لفحته أشعة الشمس، ولما تم له التنكير، وجد في جبهته آثار القبعة التي لبسها في شاطئ البحر، وعاد إليه معرضا إياها للأشعة مرة ثانية)[1].

وهذا ما يؤكّد عزمه وحزمه على الإقدام على فعل ذلك، وقد صرّح بلسانه في قوله: " يجب أن نكون كما عودنا أستاذنا الشيخ بيوض في الإقدام دوما مهما كانت الصعاب وطالب العلم لا يعرف الإحجام أبدا، وهو مثل الدبابة الحربية لاتحجمها الوهاد ولا التلال ولا كل مسلك وعر أو أية عقبة كؤود، وهكذا يجب علي أن أكون،

[1] - دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص:24.

حسبي الله ونعم الوكيل... ."[1]

عن الاستعمار الغاشم يقطع الصحاري ويصعد الجبال، وهو لا يحمل جواز سفر في حين كانت نيران الحرب العالمية الثانية مشتعلة، حتى بلغ مصر بعد ستَّ وعشرين يوما سيرا على الأقدام، ذلك ما أكّده (أنور الجندي) في كتابه: " مفكرون وأدباء من خلال آثارهم" في قوله: "... كان أوّل من قدم القاهرة عام (1944) من المغرب سائرا على قدميه، قاطعا حدود تونس وليبيا حتى وصل مصر إبّان الحرب العالمية ونزول الحلفاء في صقلية. ولم يكن من اليسير أن يسمح له بالسّفر في هذه الفترة... "[2].

وبعد دخوله مصر توجَّه إلى كلية الآداب من جامعة القاهرة ورحب به الدكتور عبد الوهاب عزام عميد الجامعة واستقبله أحر استقبال.

وفيها درس على كبار أساتذتها الأدب وتاريخه، والتاريخ الإسلامي والفلسفة، كما انكبَّ على أمَّهات الكتب في دار الكتب المصرية، فدرس كتبا قيمة في الأدب، والتاريخ، وعلم النفس، والتربية والعلوم الاجتماعية، وأصول الفقه وفلسفة التشريع، والفقه والحديث.

فانكبابه على الاغتراف وشغفه الكبير بالعلم جعلاه أوَّل الداخلين

---

[1]- د. محمد صالح ناصر، الشيخ محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ب ط، دار البحث الطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ب س، ص:65.

[2]- ينظر: أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، ط1، دار الإرشاد، بيروت، ب س، ص:246.

إلى دار الكتب أيام مطالعاته وآخر الخارجين منها. وبقي في القاهرة حتى سنة(1948م) إذ رجع إلى الجزائر بعد أن نال بُغيته من العلم هناك.

حين عاد من القاهرة أقيم له حفل مشهود في وادي مزاب وفي القرارة خاصة، فقد استقبله شيخه (بيوض) رفقة عزابة ومشايخ وطلبة القرارة عند وادي زقرير قبل الدخول إلى القرارة، لأنه أول تلميذ يدرس في جامعة القاهرة و يتخرّج بشهادة جامعية من تلامذته، وحينها قدّم الشيخ بيوض كلمته نادى طالبه محمد علي وقبّله على جبينه أمام الملأ، قُبلة اعتراف واحترام وتقدير[1]

ثانيا: عودته للجزائر و اشتغاله بالتربية والتعليم :

بعد رجوعه من القاهرة إلى الجزائر وبالضبط إلى وادي مزاب (1367ه/1948م)، اختاره معهد الحياة مدرِّسا فيه لمادتي التاريخ والأدب العربي، ثم أضاف إليهما التربية وعلم النفس، وقد كانتا مجهولتين لا يعرفهما المعهد قبل ذلك وقضى في تربية النشء وتكوين الأجيال ما يقارب ثلث قرن، أي حتى آخر(1981م). وقد سعى سعيا حثيثا للتعريف بالمعهد داخل الوطن وخارجه، وكابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتمَّ له ذلك بعد عدَّة محاولات مضنية في شهر جانفي (1963).

[1]- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1921م إلى عام 1975م)، ج05، عالم المعرفة، ط1، 2013 المحمدية، الجزائر، ص:07.

تخرَّجت على يده أفواج من الطلبة والباحثين، ممَّن كان له شأن كبير في المجالات الفكرية والسياسية، خارج الوطن وداخله، أمثال:" الدكتور مُحَمَّد ناصر، والأستاذ بابهون بكير، الدكتور محمَّد ناصر بوحجام... .

1. أسباب اهتمامه بالتاريخ:

على حسب الدراسات والبحوث التي تناولت حياته فقد بدا أن الشيخ دبوز اهتم اهتماما بالغا بالتاريخ الإسلامي وما قبله عن بداية مهمته التربوية، كما أولى له عناية فائقة، جمعا وتدريسا وتصحيحا. وتقديمه للناشئة، وفق قواعد ومنهج إسلامي تربوي نفسي. وليؤدي وظيفته ودوره الكبير في معالجة النفوس وتهذيبها. ودليل ذلك تداوله لبعض النصوص وتكرارها، مثل:

" إنّ التاريخ أكبر وسيلة للتربية العقلية والخلقية" " إن التاريخ للتربية الصحيحة، ولبث الروح القوية..." " إن التاريخ أجدى في التربية من دروس الأخلاق النظرية... هو من الوسائل الكبرى في التربية الحسنة."" إن التاريخ أكبر عامل في التربية الخلقية وأقوى سبب يخلق الأخلاق العظيمة في النفوس، والأخلاق العظيمة هي أساس رقي الإنسان في عقله، وفي جسمه، فهي التي تستتبع كل المزايا، وتقتضي

تفوقنا في كل النواحي..."[1]

سيما التاريخ الحديث وعلى الأخص تاريخ الدولة العثمانية، واهتم بتاريخ المغرب الكبير قبل الفتح الإسلامي وبعده، ثم الدولة الرستمية، لما وقع لها من إجحاف في حقها . وكان خلف ذلك دافعان هما:

السبب الأول:

المغالطات التاريخية التي تكتظ بها المصادر القديمة، وما فيها من تعصب بيّن في هذه المؤلفات، التي كان أغلبها يكتب استجابة لنزعة قبلية أو أجنبية أو مذهبية أو ملكية أو دينية، فقد كان وراء العديد منها الملوك والحكام الذين كانوا يحاربون معارضيهم بتشويه تاريخهم، وإلباسهم لبوس الخروج عن الجماعة الإسلامية، وهذا ما ارتكب في حق الإباضية أهل الدعوة والاستقامة.

هذا من جهة ومن جهة ثانية: ما قام به الاستعمار الفرنسي من تشويه للتاريخ الجزائري لأغراض دنيئة في نفوسهم، منها سعيهم لجعل الجزائر أرضا فرنسية محضة، إذ لا يتم لهم هذا إلا باستئصال جذور أصالتها الإسلامية، ودك أسس شخصيتها العربية والأمازيغية.

وقام مؤرخوهم بإيعاز منهم بتزوير العديد من الحقائق التاريخية، حتى تحدث للجزائريين عقدا نفسية سيئة ضد تاريخ بلادهم المجيد.

---

[1]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ط1، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ب س، ص: 30- 31.

ولقد أثبتوا للجزائريين سيما البربر أن الفتح الإسلامي، بمنزلة الاستعمار العربي للجزائر، وأنهم كانوا في ظل الاستعمار منذ القرن الأول الهجري من لدن عقبة بن نافع الفهري إلى القرن الثاني عشر الهجري، وأنها -أي فرنسا- هي التي حررت الجزائر من هذا الاستعمار في العصر الحديث الذي دام ثلاثة عشر قرنا.[1]

السبب الثاني:

اصطدم من جهة أخرى بالأسلوب العلمي الجاف، الذي يقدم المعلومات في قوالب حجرية جامدة لا تستثير عاطفة، ولا تحرك إحساسا، أو هي تستطرد في متاهات من التفاصيل، التي تشوش الذهن، أو تنأى عن الحقائق إلى جزيئات هامشية لا غناء وراءها.

إلى جانب هذين السببين؛ ساءه أن لا يجد كتابا دراسيا في تاريخ المغرب، يليق للثانوي على الروح التي يريدها، وعلى الأسلوب الذي ينبغي، وعلى المنهاج الذي يحقق النتائج التربوية من التاريخ، فكان عقب كل محاضرة يكتب نصوصها وخلاصتها للتلاميذ، بأسلوب أدبي رائق يزيد للتاريخ وضوحا، ويكسبه طلاوة، تحببه إلى النفوس، وبروح مؤثرة تجعله ذا آثار بالغة في النفس، وكان إقبال التلاميذ على تلك الخلاصات وانتشاؤهم بدراستها، ورغبتهم فيها، وتأثرهم بها أكثر مما كان ينتظر، وأبلغ مما رجا.

---

[1]- ينظر : الدكتور تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:192.

واستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس، فتكون منها كتاب هو الذي أقره المعهد في تاريخ المغرب الكبير.

2. الشيخ دبوز وإنتاجه الفكري:

يطول الحديث عند محاولة حصر أعمال الشيخ دبوز ونتاجه التاريخي والأدبي. هذه الأخيرة موجودة في معظم مكتبات الجامعات والمساجد ودور الثقافة ... وزعها عليهم هو بنفسه، لتكون إلى أيدي الباحثين والطلبة أقرب.

كتب العديد من المقالات في مجلة البصائر لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقد نشر الدكتور محمَّد ناصر نماذج من هذه المقالات في كتابه: «الشيخ محمَّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ». كما كانت له مراسلات مع أعضائها ومنهم الأستاذ (أحمد توفيق المدني) إلى جانب ذلك. وبالإضافة إلى التدريس، فقد عكف على التأليف في التاريخ الجزائري فكانت كتابة تاريخ المغرب الكبير، بأسلوب جديد، وقام لأجل ذلك بجولات عبر الوطن وخارجه لجمع المادَّة الخبرية، من المكتبات العامة والخاصة، ومن أفواه العلماء بصفة خاصَّة. وفي سنة 1962م – وبعد الاستقلال مباشرة – بدأ في نشر كتبه.

لقد حمل الشيخ على كاهله عبئًا ثقيلاً، تمثّل في محاولة جادّة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير، وإنقاذه من الضّياع

والتّشويه. فبعد مرحلة التّحصيل انكبّ على التّأليف، وأعطى كلّ نفسه ووقته، بل وضحّى براحته وصحّته في هذه السّبيل، يبحث وينقّب ويكتب، هدفه الوحيد تبصير الأجيال بتاريخهم المجيد، وإزالة الغشاوة التي رانت وترين عليه.

كان عمله شاقًّا، لأنّ المصادر كانت شبه منعدمة، وما كُتِب عن المغرب الكبير كان بأقلام مغرضة، وبأساليب ملتوية، مشوّهة للحقائق، لأنّ كتّابه كانوا إمّا مستعمرين أو مستشرقين حقودين على الإسلام والعرب، أو جاهلين للتّاريخ. يقول الأستاذ أنور الجندي: "...وقد صوّر المؤلّف كيف كان هذا العمل صعبًا كلّ الصّعوبة، وكان طريق هذه العهود مطموسًا، والسّبل غير معبّدة، وأغلب من كتبوا في تاريخ المغرب من المحدثين قد اغترّوا بالمصادر المزيّفة، فردّدوا أغلاط المؤرّخين القدماء، فكان عليه أن يكتب فصولاً جديدة، معتمدًا في ذلك المصادر الصّحيحة، وإن كان يسلك طريقًا غير معبّدة".

هكذا وجد الأستاذ محمد عليّ دبّوز نفسه أمام مسؤولية عظيمة، وعمل مُضنٍ. كان عليه أن يشمّر عن ساعد الجدّ، ويكثر التّرحال والتّجوال، بالرغم من صعوبة التنقل آنذاك، كما أنه يطيل المكوث في المكتبات، ويديم الجلوس إلى الأساتذة والمشايخ، ومن عاصر الأحداث، أو شارك فيها. وقد كانت مصادره بشريّة في كثير ممّا جمع من المادّة التّاريخيّة.

أمضى مدّة طويلة، متنقّلاً بين المكتبات العامّة والخاصّة، في كلّ من الجزائر وتونس ومصر وغيرها، باحثًا ومنقّبًا في المخطوطات والمطبوعات، ومقارنًا بنفسيّة المؤرّخ الباحث المدقّق، حتّى تمكّن من إخراج كتابه القيّم:" **تاريخ المغرب الكبير**" ، (والذي أشرنا إليه في أعماله إشارة طفيفة باعتباره من أهم مؤلفاته).

بحيث كان لهذا الأخير صدًى كبير في الأوساط العامّة والخاصّة، وقد استُقبل أحسن استقبال، إذ كتبت عنه الصّحف والمجلاّت في مختلف أقطار الوطن العربي، وتحدّثت عنه الإذاعات، وقرّظته ونوّهت به وبأهمّيته، وعدّته موسوعة، كما ارتأى تسميته بذلك كلّ من الأستاذين: (محمد عطية الأبراشي وأنور الجندي). ويكفيه شرفًا **أنّه أوّل كتاب عربي جزائري يطبع بعد استقلال الجزائر...**

والسبب الذي دعا المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب يذكره في مقدمته للجزء الثاني فيقول: "عزمت أن أكتب شيئا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه يليق لمطالعة مثقفينا ويكون مرجعا لجامعتنا ومدارسنا ويصفِّي أبواب تاريخ المغرب التي كدَّرتها ودنَّستها أكاذيب السياسة القديمة ودعايات المستعمرين وسمومهم فصارت خطرا على المغرب ومنبعا للسموم التي تكدِّر صفاءه وتفرِّق جماعته وتمكِّن الحسَّاد والدسَّاسين من بثِّ

الفرقة والشقاق في مغربنا الحبيب."[1]

ويقول الشيخ دبوز في ذلك أيضا: " هذا هو أول كتاب جزائري يطبع بعد استقلالها وارتفاع علم العروبة فيها، عسى إخواننا في الشرق العربي يرَون فيه محيًا للجزائر العربية وتاريخ المغرب صافيا نقيا من دعايات السياسة القديمة... ."[2]

تنحصر آثاره – رحمه الله – في: التاريخية، والأدبية. التي لم ينشر شيئا منها واكتفى بما نشر في المجلات. وأغلبها تناول منهاج التربية والتعليم في معهد الحياة وتبين المبادئ الأساسية التي يجب أن تتوفر في المدرس، ويسير في منهجها. وسنذكر التي أعدها للطبع ثم عدل عنها إيثارا للإيجاز فهي تنقسم إلى قسمين:

- ✓ **القسم الأول**: ما حذفه (من الآثار) ولم يطبعها وهذه إشارة طفيفة إلى نماذج من هذه الأعمال فقط:

- الآثار التي حذفها: " الإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس" و " حياة المجاهد المخلص الدكتور محمد بن العربي" و " جانب من تاريخ الحاج بكير العنق"و " حالة ميزاب وجنوب الجزائر قبل النهضة "و " فصل عن تاريخ البعثة البيوضية في القرارة."... الخ .

- ✓ **القسم الثاني**: ما قام باختصار بعض أبوابها للنشر

[1]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير،ج2،ب ط، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، 2010، ص:5.

[2]- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، ب ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص:248.

وحذف الباقي منها وهو الأغلب.

- الأبواب والفصول التي اختصرها: " عهود الظلام في الجزائر" و" العلامة الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى لبريكي" و" الشيخ الحاج الناصرالدغور (كروشي)"... الخ من الشخصيات.

3. آثاره التاريخية التي كان يدرسها:

✓ تاريخ الجزائر: يتناول تاريخ الجزائر قبل الإسلام بين الدول البربرية، ثم تطرق إلى الفتح الإسلامي إلى ولاية موسى بن نصير77 هـ.

✓ تاريخ الفينيقيين: يتناول تاريخ الفينيقيين وحضارات البربر قبل الإسلام.

✓ التاريخ الإباضي: يدرس التاريخ الإباضي من لدن نشأته، إلى زمن تأسيس مدينة تيهرت.

✓ تاريخ المغرب الإسلامي: يتناول التاريخ الإسلامي في المغرب، من ولاية محمد بن الأشعث إلى ولاية روح بن حاتم.

✓ تاريخ الدول الإسلامية في المغرب الكبير: يدرس تاريخ الدول الإسلامية في المغرب الكبير، وهي: الأغلبية و الإدريسية؛ والعبدية وبني حمدون؛ والصنهاجية؛ وبني حماد؛ والمرابطين.

✓ تاريخ المغرب الإسلامي: يدرس تاريخ المغرب من

الفتح الإسلامي سنة28هـ؛ إلى ثورة البربر على الحكام الأمويين والعباسيين، ثم تاريخ الدولة الرستمية، من النشأة إلى ولاية محمد بن أفلح.

- ✓ الدول الموحدية و الحفصية وبني زيان.
- ✓ تاريخ الدولة العثمانية: (وهو يقع في جزأين ولقد عانى الشيخ محمد علي - على حدّ قول ابنه- في كتابته لقلة المصادر التاريخية، وهو صالح للنشر): ويدرس فيه جميع أدوار الدولة العثمانية، من نشأتها إلى سقوطها.

4. الشيخ دبوز وأعماله المطبوعة:

لقد حمل المرحوم على كاهله عبئًا ثقيلاً، تمثّل في محاولة جادّة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير، وإنقاذه من الضّياع والتّشويه. فبعد مرحلة التّحصيل انكبّ على التّأليف، وأعطى كلّ نفسه ووقته، بل وضحّى براحته وصحّته في هذه السّبيل، يبحث وينقّب ويكتب، هدفه الوحيد تبصير الأجيال بتاريخهم المجيد، وإزالة الغشاوات التي رانت وترين عليه.

كان عمله شاقّا مضنيا، يقول الأستاذ أنور الجندي بخصوص ذلك: "...قد صوّر المؤلّف كيف كان هذا العمل صعبًا كلّ الصّعوبة، وكان طريق هذه العهود مطموسًا، والسّبل غير معبّدة، وأغلب من كتبوا في تاريخ المغرب من المحدثين قد اغترّوا بالمصادر المزيّفة، فردّدوا أغلاط المؤرّخين القدماء، فكان عليه أن يكتب فصولاً جديدة، معتمدًا

في ذلك المصادر الصّحيحة، وإن كان يسلك طريقًا غير معبّدة".[1]

4. 1- تاريخ المغرب الكبير:

وهو موسوعة تاريخية من ثلاثة أجزاء، عدد صفحاته (1520صفحة)، من العصر الحجري إلى الدول الإسلامية المستقلة في المغرب الكبير، وصف فيه تاريخ المغرب نظيفا من الأكاذيب السياسية.

الكتاب تناول تاريخ المغرب كلّه بأقطاره الأربعة: ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى. الجزء الأوّل: شمل العصر الحجري إلى الفتح الإسلامي. والجزء الثّاني: كان عن الفتح الإسلامي والعهد الأموي في المغرب. والجزء الثّالث: خصّصه للعهد العبّاسي والدّول الإسلامية المغربية المستقلّة.

4. 2- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة:

وهو ثاني كتاب ألفه الشيخ دبوز، في ثلاثة أجزاء (890 صفحة). أرّخ فيه للنهضة الجزائريّة، تناول فيها أسباب النّهضة وعواملها وأهمّ رجالها. وعرض مظاهرها، المتمثّلة في حركات إصلاحيّة ومدارس ومعاهد تعليميّة، وزوايا دينيّة، وجمعيّات خيريّة ثقافيّة، ونوادٍ أدبيّة، ومؤسّسات اجتماعيّة، وغير ذلك. والأجزاء الثّلاثة تمثّل الأدوار الثّلاثة التي مرّت بها النّهضة الجزائريّة، حسب رأي المؤلّف.

---

[1]- أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، المرجع السابق، ص:311.

3.4- أعلام الإصلاح في الجزائر من (1921 إلى 1974):

في خمسة أجزاء (1321 صفحة)..، ترجم فيها لبعض زعماء الإصلاح في الجزائر، أمثال: " العربي التبسي، مبارك الميلي، أبو اليقظان..." ممّن كانت لهم إسهامات مهمّة، بل أدوار كبيرة في النّهضة والإصلاح. تتبّع حياتهم بشيء من التّفصيل والتّحليل العميق لأعمالهم، في كلّ المجالات والأصعدة التي نشطوا فيها، مسجّلا بطريقة مطوّلة ومستفيضة الأطوار التي مرّت بها حياتهم، معلّقًا على الظّروف التي تقلّبوا فيها: من اجتماعيّة واقتصاديّة ونفسيّة... شارحًا مواقفهم المشرّفة، ودورهم في الجزائر والعالم الإسلامي...

5. آثاره الأدبية:

تمثلت في:

-**الجهاد الأكبر**: مسرحية أدبية تاريخيّة، بتسع فصول تجسد الإصلاح الاجتماعي الذي قام به المجاهدون الأوّلون الذين أيقظوا الجزائر، ونفحوا فيها العزة والكرامة فثارت وتحررت، كتبها في شهر ذي الحجة ومحرم من سنة 1383م على حد ما صرّح به في كتابه:" الشيخ محمد علي دبوز: تاريخي – شخصيتي- جهادي –آثاري".

-**الشيخ الحاج عمر بن يحي**: مسرحية تاريخية هي الأخرى من اثني عشر فصلا، وتبيّن الجهاد التربوي والتعليمي والإصلاحي الذي قام به الشيخ الحاج عمر بن يحي، وتقع في سبع وثمانين صفحة.

-**الأبناء الثلاثة**: مسرحية أدبية اجتماعية يسودها جو الفذلكة،

وتقع في أربعة فصول في تسع وستين صفحة.

- بعض من آثاره الأدبية الأخرى:

- وهناك مسرحيتان بدون عنوان، يطرحان قضايا اجتماعية تعالج الإصلاح الميزابي عموما وقت اندلاع الثورة.

- (الفلاحة وأثرها في بناء الأخلاق العظيمة) و (الفلاح ومنزلته العظيمة في الأمة):

محاضرة مكتوبة ألقاها ليلة الخميس (12 رمضان 1379ه/ 10مارس) في دار عشيرة كاسي والناصر في القرارة، وحضرها طلبة المعهد والعزابة من بينهم الشيخ بيوض وعلق عليها وقال: " إنها تحفة شعرية، ولكن أخذ عليه تركيزه على الفلاحة على حساب التجارة، وبيّن له الدافع على ذلك.[1]

- فلسفة العلم:

عبارة عن خطبة أعدّها للاحتفال بمناسبة زيارة قيادة الولاية السادسة للقرارة وتقع في أربع عشرة صفحة.

- مقالاته الأدبية: مقالاته الأدبية كثر جدا ولا يسعنا في هذه العجالة أن نحصرها كاملة ، سنشير إلى بعضها فقط:

- **الحسد ودوره في المجتمع:** مقال انتهى من تحريره يوم: (الخميس30ربيع الآخر /15ديسمبر 1955م) كتبه بمناسبة مقاطعة أقيمت ضد الميزابيين لأسباب غير موضوعية ولا تمتّ إلى الدين بصله، فلم

[1]- ينظر : دبوز بيوض إبراهيم بن محمد، الشيخ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص: 42.

تنشره مجلّة البصائر.

-**انتصار الحق على الباطل في وادي مزاب**: مقال من خمس صفحات لم تطبعه مجلة البصائر.

-**الأخلاق الفاضلة**: من ثماني صفحات، يدرس الأخلاق الفاضلة...

-**الأمنية الغربية**: قصة تقع في أربع وعشرين صفحة كتبها وهو في تونس طالبا. ...إلى غيرها من الأعمال الأخرى التي لم يسعنا المجال لذكرها بالتفصيل.

-**مقلاته التي نشرت في مجلة الشباب**: حوالي: " 74 مقال" كان تاريخ نشرها ما بين سنتي: (1935_1940) نذكر منها:

1. تحليل الأبيات.
2. شبه حكاية خيالية.
3. زفرة المصاب.
4. الهجرة.
5. إلى الرفيق الأعلى
6- قلت لنفسي.
7- الغصن الغريب.
8- من أحاديث جدي (من الشعر الملحون).
9- آمال تتبخر.
10- من نفثات قلبي بالرفاء والبنين.

- منهج الشيخ محمد علي دبوز:

كان الشيخ محمد يكتب بطريقة أدبية، يُحلّل ويناقش مختلف الحوادث بطريقة فلسفية، فهو يسرد الحوادث وينقل الوقائع والأخبار

بطريقة مبسطة ومعمقة، ويُعالج مختلف المواضيع بذوق الفنان الحساس وبأسلوب الأديب المبدع. ويمكن أن أنسبب ذلك يعود لكونه أستاذا في الأدب العربي[1].

انفرد الشيخ دبوز في أسلوبه الأدبي الجذاب والتعليل والتحليل لمختلف الحوادث والوقائع، عن غيره من المؤرخين، إضافة إلى تحليله لموقف ما بحسب العوامل النفسية ويفصل في ذلك بطريقة فلسفية. ومما لوحظ كذلك من خلال مؤلفاته تعمّقه في الفكرة بشكل واضح ولافت للانتباه، بحيث نجده يطيل الحديث عن تلك الفترة ويتناولها من جميع جوانبها، ولعلّ غرض هذا التكرار، التأكيد على المعلومة، بالإضافة إلى انتقاله من فكرة إلى أخرى، ثم نجده يعود إلى تلك الفكرة الأولى ويواصل الحديث عنها من جهة. ومن جهة أخرى فإنه يتناولها من جميع جوانبها فيفصل في الحديث عنها ويتعمّق في الطرح ما يؤدي به إلى الإطالة في المعلومة من حيث الشرح والتعمق فيذكر أشياء تكون غير مهمة.

لقد حاول جاهدا أن يصل ويكشف الأسرار الخفية لمختلف الأحداث التاريخية الذي ظلّ بعضها مجهولا، وما يميزه أيضا هو احترامه وتقديره في مختلف مؤلفاته لعظماء الإسلام ودفاعه عن الخلافة الإسلامية، لهذا نجده يعتمد بالدرجة الأولى على" **المنهج**

[1]- ينظر: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ط1، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ب س، ص: 17.

الإسلامي في كتابته للتاريخ. وبهذا يتضح لنا بأن الشيخ عمِل على تقديم المادة التاريخية بثوب جديد، في شكل خلاصات مركزة وبأسلوب أدبي راقٍ، يزيد التاريخ وضوحا" [1]، ويضفي عليه أكثر جمالية ما يجلب الطلاب إليه ولاسيما لمادة التاريخ فيشعرهم بحب المواصلة والتطلّع للمزيد ويرغبهم فيها أكثر.

وبهذا يمكن القول بأن المنهج الاسلامي الذي اعتمد عليه الشيخ دبوز في مختلف مؤلفاته، له علاقة مباشرة بتربية الناشئة الإسلامية، فهو يسعى بذلك إلى طموح أسمى وهدف أرقى، بحيث يتطلع بأن يجعل التاريخ عامل وحدة تجمع بين الأمة الإسلامية.

- وفـــــاته:

بقي الأستاذ في معهد الحياة ينشئ الأجيال، ومؤلِّفا يخلِّد تاريخ الجزائر وتاريخ أبطالها الأمجاد، حتى ألمَّ به مرض عضال فأقعده في صيف سنة (1981م)، فاعتزل الحياة العامَّة وقضى أيَّاما في المستشفى بالعاصمة، نُقل بعدها إلى مسقط رأسه بريان حيث وافته المنيَّة مساء يوم: (الجمعة 16 محرم 1402 ه /الموافق ليوم 13 نوفمبر 1981م)، بعد حوالي ثلث قرن من العمل المتواصل في ميداني التربية والتأليف.

انتظم له حفل جنائزي رهيب ببريان، يوم: (السبت 17 محرم

[1] - ينظر: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص:18.

1402 هـ/ الموافق ليوم 14 نوفمبر 1981م) ، حضره جمهور من البلدة وضيوف عديدون من مختف الجهات. وكان لنبأ وفاته وقع كبير في مزاب والجزائر والعالم الإسلامي كلِّه، فبكاه تلاميذه وأصدقاؤه حزنا على فراق هذه الشخصية الفذة التي

تركت مكتبة ثرية غنية بالوثائق المصورة والمسجلة حافلة بأمهات الكتب.

و تقديرا له، سمي باسمه مسجد الشيخ الدبوز بتيقْرار " القرارة "، كما أقيم مهرجان حافل يوم: (1982/01/19) إحياء لذكرى وفاته بمدينة القرارة، تبارى في الإشادة بأعماله العظيمة ونشاطاته التاريخية وصفاته الحميدة الأدباء والبلغاء والشعراء، قدموا إليها من كل حدب وصوب.

كان رحمه الله أبا لثلاث بنات وثمانية أبناء رباهم تربية حسنة صالحة مستقيمة. تغمَّد الله الفقيد برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه، وقيَّض للأمَّة من يخلفه في جهاده التربوي وأعماله وسيرته الحسنة...

آمين يارب العالمين، وصلّ اللهم على الحبيب المصطفى.

خـــاتمة

بعدما توغلت في ثنايا حياة الشيخ دبوز ، وقرأت ما بين السطور في حياته. استشعرت حقيقة ما معنى أن يكون الشخص مصلحا ومؤرخا وأديبا في آن واحد، ولاسيما في الحقبة التي عاش

فيها دبوز أي فترة الاستدمار، ما تبيّن من خلال دراسة حياته وزبدة تفكيره التاريخي، أنّه متميّز في شخصيته و وفي تأليفه، بالرغم من تناولي جانبا ضيقا من مآثره. ومع ذلك فقد استخلصت جُملة من النتائج جاءت كالآتي:

❖ أن ميلاد محمد علي دبوز ونشأته كان ما بين سنة 1919 وسنة 1944م. أي أنه عايش وتعايش مع الاستدمار الذي قمع وطمس الكثير من أمثاله ولم ينجح معه.

❖ البيئة التي ترعرع فيها محمد علي دبوز والاهتمام الذي خصّته به عائلته خصوصا والداه، فقد كانوا بمثابة المدرسة التي تغذّى منها فكريًا وأخلاقيًا وتربويًا، بالإضافة إلى اهتمام والده الخاص به كونه وحيده، صنع منه رجلا ذا مكانة مرموقة وشأن في مجتمعه وبلده والوطن العربي.

❖ شكّل المناخ الثقافي والديني الذي شبّ فيه محمد علي دبوز أحد أهم الروافد التي كوّنت شخصيته فالمدارس والمعاهد والبلدان التي سافر إليها أكسبته ثقافة واسعة وهو ما برز في خوضه غمار التأليف.

❖ اعتبر معهد الحياة بالنسبة للشيخ دبوز نقطة تحوّل نحو كتابة التاريخ ، نظرا لما اصطدم به من مغالطات تاريخية ، فحمل على عاتقه إعادة كتابة التاريخ وتصحيحه بالوتيرة التي اختارها هو.

❖ لقد تأثر الشيخ دبوز في بداية تعلمه بثلة من المشايخ أمثال : "الحاج موسى بن صالح موسلمال والشيخ صالح بن يوسف ابسيس ... وبيوض... وغيرهم. ما دفعوه قُدما نحو حب العلم وفحولة قلمه وكبر اطّلاعه.

❖ عُرف الشيخ دبوز مؤرخا طويل النفس، نذر نفسه لكتابة التاريخ بطريقة صحيحة وهو ما برز في مؤلفاته التي حملت الكثير من الحقائق التاريخية.

❖ لقد كان الشيخ محمد علي دبوز من السباقين لكتابة تاريخ النهضة وأعلام الإصلاح معتمدا على الروايات الشفوية للثقاة ممن عايشوا الأحداث.

❖ أولى الشيخ دبوز اهتماما كبيرا بإعادة كتابة تاريخ المغرب الكبير الذي طالما طالته الأباطيل الكاذبة، فأنتج لنا بذلك عملا ضخما يُعدّ مرجعا أساسيا لتاريخ المغرب.

❖ عُرف الشيخ دبوز بمنهجه الجديد الذي تميّز به عن غيره من المؤرخين، حيث زاوج فيه بين الأسلوب الأدبي والتاريخي وهذا ما برز بشكل كبير في مؤلفاته.

❖ إضافة إلى الآثار التاريخية والأدبية التي تركها الشيخ دبوز، فقط ترك أيضا تلاميذ في أقطار الجزائر شمالا وجنوبا وحتى خارج الوطن، يسيرون على نهجه ومتمسكين بتعاليمه ما دفعهم اليوم إلى التعريف بشخصيته وبإسهاماته التاريخية.

وبذلك كان الشيخ محمد علي دبوز ولايزال أحد المؤرخين الجزائريين المجتهدين بالفعل وروادها البارزين الذين سعوا بكل عزم وحزم، بفكرهم ووقتهم لكتابة تاريخ الجزائر والمغرب العربي الكبير من خلال حرصه على تصحيح المغالطات وبعض الأخطاء حول تاريخ المغرب، وسعيه لتقديمه للأجيال الصاعدة وذلك من أجل التعرّف على حقائق أجدادهم وتاريخهم العريق من أجل الاقتداء بهم.

وفي النهاية، نأمل أن نكون قد وفقنا في صياغة عناصر الإجابة عن الإشكالية المطروحة حتى وإن كان الحديث في هذا المجال لا تكفيه الصفحات ولا تغنيه الأقلام، فإن وُفّقنا في الوصول إلى بعض النقاط المهمة في الطرح، فذلك بتأييد وسداد من المولى عز وجل. وإن قصّرنا فمن أنفسنا ومن الشيطان الرجيم الذي نستعيذ به. والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

مـلخص باللغة العربية

لشيخ محمد بن علي بن عيسى دبوز، ابن أبرز مؤسِّسي الجمعية الخيرية في " بريّان". عاش ما بين سنة: (1919- 1944م)، وهو وحيد أبويه اللّذان نذراه للعلم. درس بمدارس ولاية غرداية، إلى أن سافر إلى تونس والتحق بجامعة الزيتونة ومعهد ابن خلدون، وبعدها إلى

القاهرة سيرًا على الأقدام، ما جعلاه يعود إلى الجزائر محملا بزادٍ علميٍ كبير، لِيُصبح مدرّسا في معهد الحياة إضافة إلى التأليف، حيث أنتج أحد عشر كتابًا أهمها " تاريخ المغرب الكبير" الذي يُعدّ موسوعة تاريخية.

الكلمات المفتاحية: (الشيخ دبوز – نشأته - علمه – آثاره – المنهج الأدبي التاريخي - تاريخ المغرب)

Abstract

Cheikh Mohamed Ben Ali Ben Aissa Debbouz, the son of the most /../ founder of the charicative association in "berrian", was born in 1919 and died in 1944. He was the only child of his parents who dedicated his time for knowledge and education. He studied in the schools of Ghardaia, until he moved to Tunis to pursue his higher studies in Ezzaytouna and the institute of Ibn Kheldoun, and after that to Cairo, to which he went on foot. He returned to Algeria with a great knowledge and wisdom, which led him to become a teacher in the "hayet" institute, in addition to writing. He is the author of 11 books, including " The history of the Great Maghreb", one that counts as a historical enceclopedia.

key words : (Cheikh Debbouz, his birth, his education, his work….).

دور الرّحلة في حياة الشّيخ محمّد علي دبّوز

د. أحلام عثامنية
أ. نهاد حسني
جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

ملخص:

عرف فن الرّحلة في الجزائر خلال العصر الحديث تطوّرا كبيرا، فاهتم بالإضافة إلى جانب الجغرافي والتاريخي برصد الانطباعات والمشاعر والتصوّرات، كما نقل قضايا إيديولوجية وثقافية وحضارية من وجهات نظر الكاتب، وتعددت الأغراض أيضا من دينية إلى تعليمية إلى تجوال وسياحة؛ وقد استجدت دواعي أخرى لذلك كحضور الملتقيات والمهرجانات والتظاهرات الثقافية وأداء مهام سياسية أو دبلوماسية.

اختلفت طرق تدوين هذه الرحلات فمنها ما استقل بكتب كاملة، ومنها ما أخذ حيزا في كتب أخرى ككتب السير أو المذكرات، ومنها ما ظلّ حبيس الجرائد والمجلات.

استطاع هؤلاء الرّحالة ترك بصمتهم في هذا المجال، فقدّموا من خلال إسهاماتهم صورة عن ثقافة الآخر، فدوّنوا في نصوصهم الرّحلية كلّ ما وقعت عليه أعينهم، ووصل إلى مسامعهم عن حقائق المسالك والممالك والبشر، وما مارسوه من أنشطة مختلفة في مناسباتهم

وأعيادهم وما تحويه من عادات وأعراف وتقاليد شكّلت الإطار العام للمنحى الثقافي في حياة الأمم.

اتخذت الرّحلة من هذه الناحية أهمية كبيرة لدى الجزائريين، حيث حظيت أعمال الرّحالة بقدر كبير من الشهرة لما تتضمّنه من معلومات قيّمة ومفيدة في شتى المجالات.

ولهذا ارتأينا ونحن في هذا الصدد التطرّق إلى حياة الشيخ العلامة الرّحالة محمّد علي دبوز، وأبرز رحلاته، وأثرها على أدبه.

الكلمات المفتاحية: أدب الرّحلة، العصر الحديث، الشيخ محمّد علي دبّوز، الأدب.

مقدّمة:

باتت الرّحلة عنصراً ملازمًا في حياة الإنسان، وكانت في الغالب باتجاه المشرق لأغراض ومقاصد دينية علمية، ولكن الجزائريين المولعين بالرّحلة مارسوها داخل بلادهم أيضًا، فاختلفت أهدافهم باختلاف الدوافع، وأصبحت مقصدًا أساسيًا في نفوس العلماء للاستزادة من العلم والمعارف، فكان الشيوخ والرّحالة يعدّون الرّحلة علامةً على علم الرَّجُل، لمَّا لَمسُوه من فوائد الرّحلة وآثارها النافعة، وتنمية للمدارك العلمية، وتوسعة الآفاق الفكرية لهذا قيل "من لم يَرحَل فلاَ ثقةَ بِعلمه".

برز في الساحة الأدبية الجزائرية علماء أفذاذ تركوا بصماتهم في سماء الفكر والأدب، من بينهم الشّيخ محمّد علي دبّوز الذي عمل على النهوض بالعلم والتربية في الجزائر، فعُرِف بفكره الفياض وأدبه

الشيّق، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن دور الرّحلة في حياة الشّيخ محمّد علي الدبّوز، وما مدى تأثيرها في تنمية أدبه؟

أ/ الرّحلة في اللغة:

الرّحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الإشْخَاص والإزْعَاج. يقال رَحَلَ الرَجلُ إذا سَار[1] أي أنّ الرّحلة هي السّير والانتقال من مكان إلى مكان. والرُحلة بالضم الوجهُ الذي تريده، والرِحلة بالكسر هي الارتحال[2]، ورحل وارتحل بمعنى انتقل، ورحلة تعنى سفرة[3]، كلّ هذه المفردات تصب في معنى واحد هو الانتقال والضرب في الأرض، والسير في مناكبها.

ب/ الرّحلة في الاصطلاح:

هي فن من الفنون النثرية تتعلق بحياة الأفراد والأمم التي زارها الرّحالة، حيث تتعرض بشيء من التفصيل لجميع نواحي حياتهم ومعيشتهم بأسلوب أدبي شائق يغرى القارئ بمواصلة القراءة من أول سطر إلى آخر سطر من دون ملل أو كلل.

احتوى أدب الرّحلات على مادة وفيرة وغزيرة؛ تاريخية

---

[1] تهذيب اللغة، الأزهري أبي منصور محمد بن أحمد ((370، تح: عبد الله دردیش، مراجعة: محمد علي النجار، (د، ت)، 5/5.

[2] الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، 1707/4.

[3] تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، 5/ 109-110.

وجغرافية واجتماعية واقتصادية وأدبية ودينية، كما تضمن الحكايات والأساطير:" قد لا ترتقي إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة، أو الشعر، أو المسرحية، أو المقالة الأدبية مثلا، ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن تخضع لمقاييسها "[1].

هذا التعدد في موضوعات أدب الرّحلات هو أحد أهم ركائزها وخصائصها الفنّية، وهذا ما يزيدها حلاوة، بحيث تجد قارئ الرّحلات لا يَمَلُّ من قراءتها، بل تجده متطلّعاً لمعرفة المزيد من الأخبار والحكايات عن الشعوب والبلدان.

ويؤكد بعض الدارسين انتساب " **أدب الرحلة** " إلى حقل السرد: " باعتبارها كتابة أدبية تتوافر على مكونات سردية وآليات كتابية تسمح للتصنيف أن يأخذ مشروعيته في خانة الأدبي"[2]. يُعْتَبَرُ السرد السمة البارزة في أدب الرّحلات، لأنّ الرّحالة بصدد الإخبار عما صادفه من أمور وأحداث في أثناء رحلته لأحد الأماكن، لذا يعدُّ النصّ الرّحلي نصّاً سردياً لأنّ المشهد القصصي فيه مستمر من بداية الرّحلة إلى نهايتها، أي أنّ الرّحلة تجمع بين عنصر القص (الحكي)، والموضوعات

---

[1] أدب الرّحلة عند العرب، حسني محمود حسين، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص9.

[2] الرحلة في الأدب العربي " التجنيس، آليات الكتابة، خطاب متخيل "، شعيب الحليفي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص40.

المتعددة المتطرقة لجوانب مختلفة.

وهناك من يُعرِّف الرّحلة على أنّها: " ذلك اللون من التأليف الذي يجمع بين الدّافع الوجداني العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأناة ودقة، والبحث عن الأسباب والنتائج ببصيرة واعية "[1].

اختلفت دوافع الرّحيل، وتنوّعت مادة الرّحلة، ولعلّ الدافع الأول إليها هو دافع ديني قبل كل شيء، فتوجهوا برحلاتهم صوب المشاعر المقدّسة بمكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، معتمرين أو حاجّين إلى بيت الله الحرام، وزائرين إلى مسجد رسّول الله محمّد صلى الله عليه وسلّم بالمدينة المنوّرة، فالحجّ كان ولا يزال رحلة يتشوق لأدائها كلّ مسلم، ورغبة ملحة تساور النّفوس في الخروج من أوطانهم لتأدية فريضة الحجّ، التي هي الرُّكن الخامس من أركان الإسلام، وفريضة واجبة الأداء على كلّ مسلم شرط الاستطاعة لقوله تعالى: ﴿ ﻫ ﻫ ﻉ ﻉ ﻉ ﻉ ﻉ ﻉ ﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ

[1] فن الرحلة في الأدب المغربي القديم (أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم)، زردومي إسماعيل، جامعة الحاج الأخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، (رسالة الكترونية)، ص12.

[2] سورة آل عمران، الآية 97.

فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾[1].
وقوله عزّ وجلّ: ﴿ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﴾[2].

كان الحجّ إلى الدّيار المقدّسة من قبل الجزائريين من أعظم دوافع الرّحلة، بحيث اتجهوا إلى الأراضي المقدّسة لتقديم الفريضة، وزيارة قبر الرّسول الكريم، وعند عودتهم إلى ديارهم أخبروا قومهم، وأهل وطنهم عن الطرق التي سلكوها، وعن الأقوام التي شاهدوها واختلطوا بها. فدوّن بعض الحجّاج ما شاهدوه وعملوا على أن ينتفع غيرهم بمشاهداتهم وتجاربهم، ويُطلق على هذا النوع من الرّحلات الرّحلة الحجازية.

كما خرج الجزائريون من أوطانهم، أيضاً، طلبا للعلم والاستزادة منه، ومقابلة الشّيوخ، وفي هذا الصدد قال ابن خلدون في مقدمته الشهيرة:" **الرِّحْلَةُ لاَبُدَّ مِنْهَا فِي طَلَبِ العِلْمِ لاكْتِسَابِ الفَوَائِد وَالكَمَالِ بِلِقَاءِ المَشَايِخِ وَمُبَاشَرَة الرِّجَالِ**"[3]. فالرّحلة تتيح الفرصة للقاء أهل العلم بالمشايخ على اختلاف وجهاتهم ومشاربهم، فابن خلدون هنا أكد أنّ العلم لا يكون إلاّ بالرّحلة، والسعي وراء المشايخ، والإلمام

[1] سورة البقرة، الآية 197.

[2] سورة الحج، الآية 27 .

[3] مقدمة ابن خلدون (وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، 745/1.

بالعلوم المختلفة.

حثّ الله ورسوله الكريم على طلب العلم، الذي هو من النعم التي أنعمها علينا، وجعله الرّسول صلى الله عليه وسلّم باباً من أبواب الجنّة ومُوصلاً إليها فقال:" **مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ بِهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**"[1]، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحثُّ على الرّحلة في طلب العلم والاستزادة منه؛ حيث ضَرَبَ المولى عزّ وجلّ مثلاً من أروع الأمثلة في طلب العلم برحلة موسى مع الخضِر عليهما السلام ليتعلم منه في بضع آيات من سورة الكهف.

عرف علماء الجزائر هذا النوع من الرّحلات التي يقوم بها صاحبها لطلب العلم، ويصور فيها الحياة العلمية بصورة خاصة مثل رحلة ابن حمادوش في لسان المقال التي:" قام بها المؤلف لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس ثم عاد إلى الجزائر من تطوان وقد وصف ابن حمادوش الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب"[2].

الشيخ محمّد علي دبّوز:

مؤلف عالم وباحث درس في الجزائر وتونس والقاهرة، شغف

---

[1] صحيح البُخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بحاشية السندي، دار المعارف، بيروت، 1978، 24/1.

[2] رحلة ابن حمادوش الجزائري، عبد الرزاق بن حمادوش، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1983.

بدراسة التاريخ منذ شبابه، وهو محمد بن الحاج علي بن عيسى بن كاسي بن عيسى[1]، ولد بمدينة بريان[2]، بمدينة غرداية جنوب الجزائر في سنة 1337هـ الموافق لشهر فبراير من سنة 1919م[3].

نشأ الشيخ محمّد علي دبّوز وترعرع في الجزائر كان محبّاً للعلم، شغوفًا بالمعرفة، مُطلعًا على مناقب العلماء وأثارهم، وقد حرص والده الحاج علي غرس القيم الدينية والإسلامية الفاضلة في ابنه إيمانًا منه بأن يُصبح قدوة لأبناء عصره، وقد بث فيه من الصغر حب العمل وخدمة الجماعة، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة[4].

اتصف الشيخ علي دبّوز بسمات الفرادة والتميز، إذ كان مثالاً في التقوى والورع، حيث نشأ على حبّ العلم والعمل والإخلاص فيه، شديد الحرص على الوقت والمحافظة على المواعيد، ومما يحكى عنه أنه إذا أولم وليمة وحدد لها موعدًا فما إن فات الوقت المحدد لذلك حتى أغلق بابه، وكان أصدقاؤه يعرفون ضبطه لمواعيده فلا يجرؤ أحد منهم أن يتأخر عن موعد حدد له مع الشيخ محمّد

---

[1] من أعلام الإصلاح بالجزائر "الشيخ محمد علي الدبوز"، يوسف الواهج، بريان، الجزائر، 1881، ص01.

[2] منطقة بريان: هي أحد مدن وادي مزاب، تأسست سنة 1060ه كانت تتمتع بحياة علمية بوجود علماء أجلاء أنجبتهم ووفد إليها، ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ مزاب دراسة اجتماعية، واقتصادية، سياسية، الجزائر، 2007، ص229.

[3] مشايخي كما عرفتهم، محمد صالح ناصر، دار الريام الجزائر، 2008، ص159.

[4] من أعلام الإصلاح في الجزائر، يوسف الواهج، ص12.

علي دبّوز[1]، لم يكن الشيخ محمد علي دبّوز مجرد باحثٍ، وإنما عمد في مؤلفاته على التعريف بتاريخ المغرب الكبير الذي يُعَدُ بمثابة منارة يهتدي بها الباحث في مجال تخصصه.

رحلاته:

1/ داخل الوطن:

- **القرارة:** بعد أن أكمل الشيخ دبّوز تعليمه في منطقته شدّ الرّحال إلى القرارة، وبالضبط إلى معهد الشيخ بيوض بن عمر[2] الذي أطلق عليه في البداية اسم معهد الشباب ثمّ غيّر إلى اسم معهد الحياة.

تتلمذ على يد هذا الشيخ، وعلى يد غيره من المشايخ أمثال: الشيخ عدّون (شريفي سعيد)، والحاج محمّد بن حمو ابن ناصر. أخذ عنهم التفسير والحديث وشرحه وأصول الفقه وأصول الدين والأدب العربي والنحو والبلاغة والأخلاق[3].

كانت المراجع المعتمدة في ذلك الوقت: العدل والإنصاف للشماخي (في أصول الفقه)، ومسند الربيع بن حبيب مع شرحه لأبي ستة، والجامع الصحيح للبخاري، ودرس شرحه فتح الباري لابن

---

[1] الشيخ محمد علي الدبوز محرر تاريخ المغرب الكبير، محمد بن قاسم ناصر بوحجام، جريدة الرؤية العمانية، 24جمادى الأولى 1439هـ/ 11فبراير 2018، ص01.

[2] الشيخ محمد علي دبوز (تاريخه، شخصيته، آثاره)، بيوض إبراهيم دبوز، نشر بمكتبة الصفاء، بريان، الجزائر، د، ط، 1998، ص18.

[3] في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز، يوسف الواهج، جريدة الحوار، ع720، 1431هـ/2010م، ص20.

حجر العسقلاني، وهو المعتمد الأساسي في الحديث دام تدريسه أربع عشرة سنة منذ سنة 1931م إلى سنة 1945م، وعند ختمه أجرت القرارة احتفالا كبيرا في مسجد القرارة.

كما درس كتاب الأمالي لأبي على القالي في جزئين، وكتاب عصر المأمون لأحمد الرفاعي (3 مجلدات)، وكتاب جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي.

تميّز محمّد علي دبّوز بالرّغبة الجامحة والشديدة في تحصيل العلم، كان مثابرا ذكيا وحريصا ومنافسا لأقرانه من طلبة العلم الذين يُشهد لهم بالتميز والتفوق كالشيخ حمو فخار[1]، وفي خضم الحديث عما قيدته ذاكرته، نجده يصف لنا أجواء الصحب والخلان هناك فيقول «أحلف بالله! لقد ترقيت في عدّة أقطار راقية، واتخذت كثيرًا من الإخوان فيهم، ما منهم إلاّ وهو أديب، أو عالم، وخاصةً في قومه، وفاضلاً في زمانه، فما وجدت فيهم كل ميزات إخوان الصفاء، سيّما نقاء النفس وطهارة الدّخلة، والتجرد من الأنانية، والحب الخاص لله، ولا استطاعوا أن يسعدوني كإخوان الصفاء، إنّهم أبناء القرارة الأطهار»[2].

2/ خارج الوطن:

- إلى تونس:

[1] الشيخ محمد علي دبوز، بيوض إبراهيم دبوز، ص20.

[2] المرجع نفسه، ص21، 22.

ارتحل محمّد علي دبّوز من القرارة إلى تونس سنة 1942م بتأييد من الشيخ بيوض بعد أن تخرج من معهد الحياة بالقرارة، ليواصل دراسته بجامع الزيتونة، ومعهد ابن خلدون، فدرس فيهما كثير من الكتب القيّمة في مجالات مختلفة كالأدب والفلسفة والشريعة، ومترددا على مكتباتها كالعبدلية و الخلدونية، والعطارين[1] أقام فيها حتى أتم تحصيله سنة 1944م. كانت تونس قبلة للكُتاب ومحطة لإبداعهم، فنجد أغلب الرّحالة الجزائريين يتوجهون إليها لاستزادة وطلب العلم والمعرفة.

- إلى مصر:

ومن مدينة تونس شدّ محمد علي دبوز الرّحال إلى حاضرة العلم والثقافة، فكان أوّل من قدم القاهرة عام 1944م من المغرب سائرا على قدميه، قاطعا حدود تونس وليبيا حتى وصل مصر إبان الحرب العالمية، ونزول الحلفاء في صقلية، ولم يكن من اليسير أن يسمح له بالسفر في هذه الفترة إلا برخصة رسمية من السلطات الفرنسية، وهي متشددة في منحها. ثمّ إنّ القضية قضية علم، وهو يعني لدى فرنسا: التشويش وعقبة أمام سياستها.

لم تثنه هذه العراقيل، ولم تكن مثبطا له ولإرادته، بل سافر بدون جواز سفر إلى تونس أوّلا ثمّ إلى مصر ثانيا متنكرا ومتخفيا.

---

[1] المرجع نفسه، ص25.

وصل إلى مصر بعد مسيرة ستة وعشرين يوما مشيا على الأقدام، فلما دخلها توجه مباشرة إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة، حيث استقبله عميدها الدكتور عبد الوهاب عزام.

وهناك تلقى دروس من كبار أساتذة الأدب والتاريخ والفلسفة، كما انكب على دراسة أمهات الكتب في دار الكتب المصرية.

بقي في مصر حتى سنة 1948م ليرجع بعدها إلى وطنه الجزائر بعد أن أكمل تحصيله العلمي.

وبعد استقراره في بلاده اختار معهد الحياة مدرسا فيه لمادتي التاريخ والأدب" وتعد موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حين يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من خمسة ألاف صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال، مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد، كاشفا عن عشرات من الحقائق التي شوهها المؤرخون والكتاب"[1].

وما أن أعلن استقلال الجزائر حتى كان المؤلف قد ركب الطائرة إلى القاهرة، حيث بدأ في طبع كتابه واستكمال مراجعته في دار الكتب، حيث وضع له كرسيا يحمل رقما لا يتغير هو (61).

سطع نجم محمد علي دبّوز في سماء مصر، ولمع في جلّ الفنون الأدبية، إذ ساهم مساهمة فعّالة في تطوير مناهج الدراسة

[1] مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، د.ت، 248.

بالمعهد، وذلك بإضافة مواد علم النفس، والتربية والمنطق، وتاريخ المغرب الكبير[1]، فكانت أرض الكنانة منبعًا فياضًا في حياة المؤلف، إذ تزود بمختلف أصناف العلوم، وتتلمذ على يد شيوخ كان لهم الفضل في بروز موهبته الفنية، ويكفي أن تكون مصر ولادة لجيل ترك بصمته في تاريخ الأدب العربي على مرّ العصور.

أثاره ومناقبه:

لا ريب في أن اهتمام الأديب بالرّحلة العلمية على - وجه الخصوص - يرجع إلى غايات كثيرة ومتعددة، ما جعل الشيخ يرتحل لطلب المعرفة، فجاب البلاد والعباد، وقطع مسافات طويلة بحثًا عن غايته، فلم يجعل الدنيا مقصدًا له، ولا منبعاً لشهواته الدنيوية، بل علم أن محاسن ولذات الدنيا مجموعة في تلك المشاهد والعلوم التي رآها في رحلاته، فالرّحلة إذن مناط الثقة في العالم وعلمه، حتى قيل " من لم يرحل فلا ثقة بعلمه".

كان محمد علي دبّوز رائد النهضة الفكرية والثقافية، في الجزائر إذ وهب إبداعه لإنصاف تاريخ العرب، فاهتمّ بالتأليف والتدريس، فجادت قريحته بأعمال بقيت محفورة في الذاكرة الشعبية، لِمَا لها من أهمية تربوية، وتاريخية، وأدبية علمية. دخل عالم التأليف سنة 1950م، إذ بدأ كتابة فصوله في تاريخ المغرب العربي الكبير، فأخرج لنا ثلاثة عشر عامًا من العمل المتواصل، وهو موسوعة تاريخية رائعة تحمل

[1] مشايخي كما عرفتهم، محمد صالح ناصر، دار الريام، الجزائر، 2008، ص160/159.

تاريخ المغرب الكبير مفصلاً منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري[1]، يقول عن هذا الكتاب الأستاذ محمد عطية الأبراشي "هذا أول كتاب صفّى تاريخ المغرب من زيف السياسة القديمة، والاستعمار اللاتيني ونادى بالوحدة والتضامن والمحبة والتعاون بين أهل المغرب والعالم الإسلامي"[2].

وتجدر الإشارة بأن المؤلف وجد صعوبات كبيرة في سبيل إخراج هذا العمل الجبّار، فسافر إلى أغلب عواصم الشرق والمغرب العربيين لجمع المادة التاريخية من مصادر صحيحة رغبةً في تقصي الحقيقة وسبر أغوار المعرفة الدقيقة ما جعل الباحث يقوم بجولات واسعة لمطالعة المخطوطات الموجودة في الخزائن القديمة داخل الجزائر وخارجها.

ويذكر المؤلف في الجزء الثاني من كتابه عن الدافع الرئيسي وراء تأليفه فيقول: "عزمت أن أكتب شيئًا عن **تاريخ المغرب الكبير** بأسلوب أدبي، وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه، يليق لمطالعة مثقفينا، ويكون مرجعًا لجامعاتنا ومدارسنا، ويصف لنا أبواب تاريخ المغرب التي كدرتها ودنستها أكاذيب السياسة القديمة ودعايات المستعمرين وسمومهم فصارت خطرًا على المغرب ومنبعًا لسموم تكدر صفاءه وتفرق جماعته، وتمكن الحساد والدساسين من بث

[1] من أعلام الإصلاح في الجزائر، يوسف الواهج، ص07

[2] المرجع نفسه، ص07.

الفُرقة والشقاق في مغربنا الحبيب"[1]، كمّا تحدث في هذا الجزء عن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، في حين خُصص الجزء الثالث إلى الحديث عن العصر العباسي وخصّ الدولة الرستمية بجزء كبير باعتبارها الدولة الإباضية، فحاول دراستها بعمق عبر مختلف مراحلها من التأسيس إلى التأصيل[2].

أمّا مؤلفه الآخر كتاب "**نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**"، فخصص فيه ثلاث أجزاء تشتمل على 960 صفحة من الحجم الكبير، عُدّ هذا الكتاب بمثابة ثورة فكرية في الجزائر، تناول في الجزء الأول، ظاهرة الإبادة للشخصية الإسلامية في الجزائر من قِبل الاستعمار، كما تحدث عن تاريخ بعض رجال النهضة في شمال الجزائر وجنوبها، أمّا الجزء الثاني فعرج فيه إلى ذكر بعض علماء الجزائر وصُلاحها كعبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي، والشيخ الحاج عمر بن يحي، وأثر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الجزائرية، ولم يغفل في جزئه الأخير الحديث عن دور البعثات العلمية إلى الخارج في ازدهار الحياة العلمية في الجزائر[3].

أعلام الإصلاح في الجزائر: سلسلة تاريخية أصدر منها أربعة أجزاء تشتمل على 1184 صفحة من الحجم الكبير، أرّخَ فيها الشيخ دبّوز

---

[1] تاريخ المغرب الكبير ب: الشيخ محمد علي دبوز حياته وآثاره، محمد علي دبوز، عالم المعرفة، الجزائر، ج3، 2013، ص284

[2] من أعلام الإصلاح في الجزائر" الشيخ محمد علي دبوز"، يوسف الواهج، ص10.

[3] المرجع نفسه، ص12.

أبرز وجوه الإصلاح في الجزائر، وبخاصة في الجنوب الذي مثّل نقطة تحوّل في مسار الحركة الفكرية الجزائرية، ومن بين هؤلاء نجد الشيخ العربي التبسي، والشيخ بيوض، والشيخ أبو اليقظان وغيرهم من معاصريهم[1].

عرض الشيخ الدبّوز في أعماله مجموعة من المعلومات المهمّة عن تاريخ الجزائر، وما حفل به من حركة علمية وثقافية رائدة في مجال العلم والإبداع، وتُعَدُّ أعماله ثروة معرفية في الدين، والتاريخ، والأدب...إلخ، إذ جنح الكاتب من خلالها نحو عوالم ترسيخ الهوية الوطنية، ودعا المثقفين إلى كتابة التاريخ الوطني حين قال "إننا إذا لم نكتب تاريخ الجزائر الحديث من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال فيما بقي من العقد الذي نحن فيه للقرن العشرين، فإنه يضيع بوفاة مصادره أو عجزهم لأنه في حافظتهم، ليت كل المثقفين في كل أنحاء الجزائر والكُتاب منهم بالخصوص يعرفون الواجب المفروض عليهم لأمتهم، وأعقابهم ومجيء المعرفة في أنحاء الدنيا فيسارعوا إلى رواية تاريخنا الحديث من مصادره التي لازالت موجودة في نواحيهم، فيجمع أقصى ما يصل إليه من المادة التاريخية لناحيتيه، فيكتبه وينشره، فيتكون لنا ممّا ينشر عن كل النواحي تاريخ الجزائر الواسع الكامل الذي يحفظ لنا ما بقي من مادة"[2].

---

[1] نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دبوز محمد علي، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2013، ج1، ص 39.

[2] من أعلام الإصلاح في الجزائر" الشيخ محمد علي الدبوز"، يوسف الواهج، ص13.

ويشير إلى أنّ هذا ليس تعصبًا في أن يحصر المرء جهوده في ناحية ويكتب لنا كل ما يعرف عن تاريخها، بل هو واجب وليس إسرافًا أن يتوسع المرء في الكتابة عن ناحيته لأن ما يُعْلَمُ من تاريخها ليس مدونا فإذا لم يكتبه وينشره يضيع[1].

إنّ الحديث عن الآثار التاريخية والأدبية التي خلَّفها الشيخ علي الدبّوز، كثيرة ومتنوعة إذ عمد الكاتب في منهجه على الحديث عن العلم ودوره في ازدهار البلاد ورقيها، فاحتضنت أعماله مجموعة كبيرة من الأدباء الذين كان لهم دور عظيم في الحركة الفكرية الجزائرية، كالإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس، جانب من تاريخ الحاج بكير العنق، حياة المجاهد محمد بن العربي، حالة مزاب وجنوب الجزائر قبل النهضة، فصل من تاريخ البعثة البيوضية في القرارة، جمعية قدماء الجزائر...إلخ[2]

هذا إلى جانب بعض الفصول والعناوين التي اختصرها فيما يلي: عهود الظلام في الجزائر، الشيخ الحاج ناصر كروشي، العلامة الشيخ بن الحاج إبراهيم بن عيسى أبريكي، الشيخ الحاج بكير العنق...وغيرها.

أمّا الآثار التاريخية التي نالت قسطًا كبيرًا في دراساته فنجد منها ما يتعلّق بتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي، وتاريخ الفنيقيين

---

[1] المرجع نفسه، ص15.

[2] الشيخ محمد علي دبوز (تاريخه، شخصيته، آثاره)، بيوض إبراهيم دبوز، ص53.

والإباضين والمغرب الإسلامي بصفة عامة، فجاءت آثاره كالآتي:

- تاريخ الجزائر من قبل الإسلام إلى غاية الفتح الإسلامي.
- التاريخ الإباضي من النشأة إلى قيام الدولة الرستمية.
- تاريخ الفينيقيين والبربر قبل الإسلام.
- تاريخ الدولة الإسلامية في المغرب العربي: الأغلبية، الإدريسية، العبيدية، بني حمدون، الدولة الصنهاجية، بني حماد والمرابطين.
- تاريخ المغرب الإسلامي من ولاية محمد بن الأشعث إلى ولاية روح بن حاتم.

إن المتتبع للنهضة الفكرية، يجدها حافلة بكتب أدبية، تاريخية قيمة أثرت المكتبة الوطنية بنماذج أدبية زاخرة بمستواها الفني الكبير، ومن بين الآثار الأدبية تنوعت بين المسرحيات، والمقالات، ومن بين المسرحيات، الجهاد الأكبر، الشيخ الحاج عمر بن يحي، الأبناء الثلاثة، مسرحية اجتماعية تاريخية.

أمّا عن مقالاته فحملت عناوين كالآتي:

- أسباب رقي الأمة ونجاح القائد.
- الحسد ودوره في المجتمع.
- انتصار الحق على الباطل في وادي ميزاب[1].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى برزت شخصية الكاتب من خلال مساهمته في المنظومة التربوية التي أثراها بمناهج تربوية تُنم عن مدى

[1] الشيخ محمد علي دبوز (تاريخه، شخصيته، آثاره)، بيوض إبراهيم دبوز، ص56، 59.

حذق صاحبها في التعامل مع مبادئ التعليم فتضمنت مباحث عديدة منها:

- المنهج التربوي في التدريس.
- المبادئ العامة في منهج التعليم.
- معهد الحياة للتربية والتعليم.
- توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإداراتنا
- نظام تدريس الأدب في معهد الحياة.
- منهج المواد والتوجيهات.
- النظافة والحياة في المعهد[1].

اهتّم محمدعلي دبّوز بالتاريخ دون غيره من المواد الأخرى بالرغم من أن اهتمامه كان بارزًا في المجال الأدبي لكنه فضل التاريخ[2]، لأسباب عديدة من بينها:

- المغالطات التاريخية التي تكتظ بها المصادر القديمة، وما فيها من تعصب بين هذه المؤلفات التي كان أغلبها يكتب استجابة لنزعة قبلية أو أجنبية.
- الاستعمار الفرنسي وما قام به من تشويه للتاريخ الجزائري، وذلك لأغراضهم الخاصة، بالإضافة إلى أنه اصطدم بالأسلوب

[1] المرجع نفسه، ص59.

[2] مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، محمد بن قاسم ناصر، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1، ص27

العلمي الجاف[1]، الذي يُقدم معلومات في قوالب حجرية لا تثير عاصفة ولا تحرك إحساسًا، كما أن الشيخ محمد علي دبّوز لم يجد كتابًا دراسيًا، في التاريخ سواء في المغرب، أو الجزائر، يليق بالأدب ويزرع فيهم إحساسًا بهذا التاريخ على حد تعبير الشيخ محمد علي، لهذا كان يرجو وضع الأسلوب الذي ينبغي للمؤرخ أن يسير عليه وعلى المنهاج الذي يُحقق النتائج التربوية الصحيحة من التاريخ[2]، فالتاريخ في نظره هو وسيلة تربوية مهّمة وضرورية، حيث يقول: "إن التاريخ هو الفن العظيم الذي حرمنا الاستعمار البغيض منه وحرمه علينا، فيجب أن نبادر بعد استقلال المغرب، فنأخذ حظنا منه، وننتفع به في الأجيال القادمة، وبهذا يُبدي الشيخ تحسره من حرمان أجيال من مقوّم أساسي من مقوّمات الشخصية الوطنية ألاّ وهو التاريخ[3].

ويشيد بدور التاريخ في بناء الأمم ونهضة الشعوب، وهو من الوسائل الكبرى في التربية الحسنة، وبهذا يكون التاريخ نفعًا خالصًا للأمة وسبب وحدة ومحبة بين شعبها، تجعل أمتنا الكبرى كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا[4].

إن موقف الشيخ من التاريخ وإعطائه مكانة مهمّة وكبيرة جاء

---

[1] المرجع نفسه.، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ج2، ص16.

[4] المرجع السابق، ص18.

نتيجة إقناعه بجدوى التاريخ، وبدوره الفعال في التربية والتوجيه، وحرصه الشديد على تأصيل هذه الحقبة في النفوس لما لاحظه من عدم اكتراث الناس بالتاريخ ومعاينة الأخطاء التي ارتكبت في حق التربية بسبب الإعراض عن التاريخ، ثم وقوفه على صيغ الاستعمار في تشويه الشخصية الإسلامية وانحرافه بالمجتمع الإسلامي، في سلوكه، بتزين التاريخ، وكذلك مشاهدته لمجتمعه يتخبط، ويتعثر في وحل من الأخلاق الفاسدة والسلوك المشين، بسبب عدم الاستفادة من التاريخ، والاطلاع على مآثر الأجداد ومثاليتهم، وأخذ العبرة منها، بالإضافة إلى ما لاحظه من نقص وضعف في تقديم هذه الدروس[1].

تميّز الشيخ محمّد علي دبوز بخاصية مميزة في طريقة طرحه، وكتابته، إذ كان له قلم سيال يكتب بطريقة أدبية يحلل ويناقش مختلف الحوادث بطريقة فلسفية، فهو يسرد الحوادث وينقل الوقائع والأخبار بطريقة مبسطة ومعمقة، ويعالج المواضيع بذوق الفنان الحساس وبأسلوب الأديب المبدع وهذا راجع بالدرجة الأولى لكونه أستاذًا في الأدب[2].

اعتمد على المنهج الإسلامي في أعماله، وهذا راجع إلى تنشئته الإسلامية التي نشأ عليها، فهو يسعى إلى طموح أسمى وهدف أرقى، بحيث يتطلع إلى أن يجعل التاريخ عامل وحدة تجمع بين

[1] حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، إبراهيم بيوض، ص43.

[2] مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، محمد بن ناصر قاسم بوحجام، ص17.

الأمة الإسلامية، وهذا تذكيرًا بأمجادها الماضية من أجل العودة إلى عاداتها[1]، وله مقدرة في تحرير الفصول الأدبية وكتابة المقالات المطولة، وهذا يتضح بجلاء في كتاباته في مختلف الجرائد بحيث أسهم في مقالاته الأدبية التي تتميز بالنقد الهادف واللغة الراقية التي يعتمد عليها في طرح مختلف المواضيع[2].

والمتأمل في أسلوبه يجد تعمّقه في الفكرة بشكل واضح ولافت للانتباه، إذ يطيل الحديث عن تلك الفترة ويتناولها من جميع جوانبها، والغرض من ذلك التكرار هو التأكيد على المعلومة المقدمة، بالإضافة إلى انتقاله من فكرة إلى أخرى ثم نجده يعود إلى الفكرة الأولى ويتابع الحديث عنها، في حين نراه إذا تحدث عن شخصية ما فهو يتناولها من جميع جوانبها، ويتطرق إلى جميع مراحل نشأته وتكوينه، وهذا ما يؤدي إلى التعمّق في الشرح والتفسير.

الرّحلة في الأدب الجزائري الحديث:

اتخذت الرّحلة أهمية كبيرة لدى جلّ الأدباء الجزائريين، ونالت صيتًا وانتشارًا واسعاً، حاملة معها رؤىً وأفكارًا، وتجارب، وثقافات جديدة كُنّا نجهلها، فزخر هذا الفن بمؤلفات عدّة عرفها الأدب، وتركت بصْمتها فيه، فساهمت في إثراء هذا اللون النثري وارتقت به إلى مصاف الآداب الأخرى.

---

[1] المرجع نفسه، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص16

وقد عرف فن الرحلة كأثر مكتوب في الجزائر نشاطاً معتبراً في القرن التاسع عشر، وذلك في إطار المناخ الجديد الذي عرف ظهور المطبعة، فنشطت حركة الطبع والنشر، وهو نشاط عكسته نماذج معتبرة بمادتها ورجالها وقضاياها.

دوّن "الأمير عبد القادر" رحلته إلى الحجاز والشام وبغداد ضمن مذكراته التي تروي سيرته الذاتية والتي جمعها ونشرها بعض الباحثين فيما بعد(عبد القادر بن محي الدين، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون)[1]، وقد جاءت الأخبار عن رحلته موجزة في هذه السيرة الذاتية لأنه كان يركز على حياته النضالية وعلى الرّغم من ذلك نستطيع التعرف على مسار رحلته الدقيق ومجمل أعماله خلال السفر وأشهر العلماء الذين لقيهم إلى جانب بعض انطباعات المؤلف وآرائه حول البلدان التي اجتازها في رحلته وسكانها.

في الرحلة السياسية نماذج تتكامل في بعض الأحيان، وتختلف أحايين أخرى. فمن النماذج المتكاملة رحلتان اتجه صاحبهما إلى باريس، أولاها رحلة " سليمان بن الصيام " إلى فرنسا سنة 1852، وتدعى " الرحلة الصيامية " من مليانة إلى الجزائر العاصمة في اتجاه باريس، والرحلة الثانية هي رحلة " محمد السعيد بن علي الشريف "

[1] محمد الصغير بناني وآخرون (تحقيق)، مذكرات الأمير عبد القادر،سيرة ذاتية، شركة دار الأمة، الجزائر، (د، ط)، 2004.

إلى فرنسا في نفس العام، بل كانا في نفس الوفد الذي زار فرنسا لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالاً بتنصيب " نابليون الثالث ".

اهتم " محمد السعيد بن علي الشريف " في رحلته بأمور وظواهر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة، فحينما قُدّر له أن يزور بيئة جديدة عليه، لم يكن مجرد سائح أو مُسجّل لمشاهد رآها بعينه، وإنما حاول أن يستخلص بعض النتائج وأن يقارن بين الجديد الذي شاهده والقديم في بيئته، وساعدته على ذلك ثقافته الفرنسية التي تكونت له بعد أن ظهر ولاءه للحكام الفرنسيين، وخاصة الماريشال " بيجو "، وارتبط بالإدارة الفرنسية التي استدعته ليكون ضمن الوفد المسافر إلى المهرجان المشار إليه.

أمّا رحلة " سليمان بن الصيام " في نفس الوفد، فقد كانت غنية بالوصف، حيث وصف فيها الطبيعة والآثار والقصور ومراسيم الاحتفال والقطار والباخرة والمسارح وغيرها من مظاهر الحضارة والعمران" جزى الله الدولة الفرنساوية عن العباد خير لأنها الواسطة لهذه الفضيلة، وحياة كل أرض حلت بها كأمها أمطار وبيلة...هنيئا لفرنسا التي هي أم الجزائر فقد زادها مر الليالي حدة وتقادم الأيام حسن شباب"[1].

[1] ثلاث رحلات إلى باريس 1852، 1878، 1902، سليمان بن الصيام، أحمد ولد قاد، محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني، تقديم وتحقيق : خالد زيادة، دار السويدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي، بيروت، ط1، 2005، ص60.

والرحلتان تتفقان في روح المجاملة للإدارة الفرنسية التي أوفدتهما لحضور المهرجان والتي يعملان في خدمتها، وهما يمثلان نموذجاً طيباً عن أدب الرحلات في الأدب الجزائري الحديث، إلى جانب رحلة أخرى جاءت بعد ست وعشرين سنة، وهي رحلة " أحمد بن قاد " في رحلته " الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية "، وهي رحلة للمشاركة في معرض دولي، ركز فيها على مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال، كما عبّر عن إعجابه الشديد بما شاهد في المعرض من غرائب الصناعات والاختراعات البديعة الرائعة من آلات النسيج والزراعة وآلات التبريد، لكنه يعرض في رحلته هذه للفرق الشاسع بين فرنسا المحتلة، وفرنسا المتحضرة وبين الوضع المهيمن في بلده، والوضع المشرق في فرنسا، لذلك، نجد وإن اتفقت هذه الرحلة مع السابقين في الدعاية للاحتلال الفرنسي، والانبهار بالحياة الفرنسية بوجهها السياسي والصناعي والاجتماعي، إلا أنها تعرض في ختام الرحلة حال الجزائر بلده المهان، مُعرِباً عن ظنه في أنّ حال الجزائر المزري تسبب فيه اليهود والمعمرون الذين يستغلون الأرض والإنسان يصادرون تلك، ويضطهدون هذا وذاك ليس من خطط الاحتلال الذي ينجز كل شيء بحساب.

هذه الرحلات بوجه عام تكمن أهميتها في طبيعة الاحتكاك بالغرب، وحتى وإن كانت بمباركة الاحتلال للثناء عليه، فقد حملت ضمنياً إدانة تاريخية له لما لحق الجزائر من قمع وتفقير واضطهاد،

وما أصاب لغتها العربية من ضعف وركاكة لحقت الصياغة والركاكة، لأن لغة هذه الرحلات وصياغتها بدت دون مستوى سابقاتها، فعكست بذلك التدهور الذي شهده النثر الجزائري إبان الاحتلال.

أمّا في القرن العشرين فقد اختلفت الرّحلات عمّا سبقها من حيث الهدف والاتجاه، كما اختلفت مضموناً وأسلوباً. لئن كانت الرحلات السابقة قد اتجهت إلى خارج الوطن، فإن رحلات هذه الفترة اتجهت أكثر إلى داخل الوطن، وخاصة تلك التي قام بها رجال الإصلاح لهدف الفكرة الإصلاحية ونشرها بين الجماهير، ودعوتها إلى اليقظة والنهوض. كما اتجه البعض الآخر إلى المشرق العربي، أو إلى أوربا والاتحاد السوفياتي والصين. وكان الهدف منها أيضاً خدمة الشعب الجزائري بالتعريف بقضيته من جهة، وبنقل مشاهدات تفيده من قريب أو بعيد من جهة ثانية. كذلك اختلف المحتوى والأسلوب عن الأنواع السابقة إلى حد بعيد.

كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل تصور مدى تعلّق الشعب بالحركة وبعلمائها، نلمس ذلك في رحلات " ابن باديس" التي سجلها، وأبرز فيها زياراته المختلفة لمدن وقرى القطر الجزائري، وهو يطلق عليها لفظ " تنقلات "[1]. ويصرح بهدفه من وراء رحلاته وهو تذكير الناس بدينهم، وحثهم على الرجوع إليه، ثم يأخذ

[1] للإطلاع على رحلات عبد الحميد بن باديس، ينظر: ابن باديس: حياته وآثاره، عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط1، 1986، ص297- 324.

في وصف جولاته بذكر أسماء مدن قرى كثيرة، ويتحدث عن المساجد ويدعو إلى بناء مثلها. كما يذكر أسماء شخصيات معروفة التقى بها هنا وهناك، إلى جانب رحلته إلى تونس المعنونة " في تونس العزيزة ".

إلى جانب رحلات البشير الإبراهيمي الكثيرة داخل الوطن وخارجه. وكان أسلوبه في هذه الرحلات يمتاز بالعناية الشديدة بالصياغة والبيان والجمال الأدبي. وقد رحل إلى المشرق عام 1952م ضمن نشاطات جمعية العلماء المسلمين مبلغا لطلبات الجمعية لدى الحكومات ومعرفا بالقضية الجزائرية وبنضال شعبه ضد الاحتلال. كما قصد دولة الباكستان عام 1958م وشملت رحلته هذه الحديث عن باريس وروما ومصر التي مرّ بها في أثناء هذه الرّحلة. يقول الرّحالة معربا عن إعجابه بجامعة الأزهر" خرجت مرفوع الرأس تيها، مملوء النفس فخرا، مفعم الجوانح إعجابا بهذه الجامعة التي هي مفخرة الشرق وحجته على الغرب"[1]. وقد حدد الأهداف المتوخاة من هذه الرحلة بدراسة أحوال المسلمين في مواطنهم والاتصال برجال الدين ودراسة أحوال الحكومات الإسلامية إضافة إلى التعريف بالجمعية والجزائر .

والرحلة تحوي أخبارا متنوعة جغرافية وتاريخية بأسلوب وصفي

[1] آثار محمد البشير الإبراهيمي 1952- 1954، محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج4، ص 18- 23.

دقيق مع روح دعابة خفيفة ولغة واضحة وأسلوب تقريري إخباري في غالب الأحيان.

ولعل أهم الرّحلات التي تحمل طابعاً سياسياً قومياً، رحلات " أحمد توفيق المدني "[1] داخل الجزائر وخارجها، في أوربا والعالم الإسلامي والعربي.

ولقد كان إنتاجه أكثر غزارة من " ابن باديس "، لأنه تفرغ إلى الكتابة والتأليف، إلى جانب نشاطه السياسي بعد 1956م (بعد اندلاع الثورة).

وابتداءً من سنة 1955م تاريخ أول رحلة خارجية إلى " المغرب "، تعددت رحلات الشيخ " المدني " الخارجية وتنوعت، خصوصاً في الوطن العربي. فكانت القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية والكويت والأردن وليبيا وتونس والسودان والصومال.

وقد صورت رحلاته التجاوب العربي العميق رسمياً وشعبياً مع الثورة الجزائرية منذ انطلاقها. وبدت معظم الأقطار العربية متجاوبة مع الثورة باختلاف أنظمتها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لكن باختلاف واضح أولاً في حرارة ذلك التجاوب، وفي حجم الدعم المادي والسياسي.

وهناك رحلة أخرى إلى المشرق العربي كتبها " محمد

---

[1] حياة كفاح (مذكرات)، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ج2.

المنصوري الغسيري"[1] حين ذهب عام 1953م مع وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى مصر، ومنها انطلق مع الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الحجّ، ثمّ إلى بعض أقطار المشرق، وهو لم يكتف في رحلته هذه بتسجيل مشاهد وصور، بل عبّر فيها عن انطباعاته ومشاعره وأحاسيسه بما يرى. ولكن من زاوية العالم المصلح الذي يدعو إلى فكرة معينة ويلح عليها، وأجرى فيها مقارنة بين واقع المشرق العربي الذي تحررت معظم أقطاره من الاستعمار، وبين الواقع المؤلم الذي يعيشه الشعب الجزائري. وفي مواقف كثيرة يستشهد بالشعر مما ينبئ عن ثقافة عربية واسعة.

وهناك رحلات أخرى مختلفة، كرحلة " محمود بوزوزو "[2] إلى فرنسا سنة 1939م بعنوان " من وحي البرلمان الفرنسي "، إلى رحلة " حمزة بوكوشة "[3] إلى المغرب الأقصى. و"الطيب المهاجي "برحلاته إلى فاس والحجاز والتي ذكرها في كتابه (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) وعموماً حاول

---

[1] نشرت الرحلة في جريدة البصائر، السلسلة الثانية، في إحدى وعشرين حلقة: حلقتان معنونتان " مصر الشقيقة تحتفل بالكشافة الإسلامية" نشرتا بتاريخ 2 و12 محرم 1373هـ، 11 و25 سبتمبر 1953م، وبقية الحلقات معنونة بـ" عدت من الشرق" ونشرت بداية من تاريخ 5 ربيع الثاني 1373هـ ، 11 ديسمبر 1953، وإلى غاية 24 شوال 1373هـ، 25 جوان 1954.

[2] من وحي البرلمان الفرنسي، محمود بوزوزو، مجلة البصائر، السلسلة 2، العدد13، 10 نوفمبر 1974، ص3.

[3] أربعون يوما في المغرب الأقصى، حمزة بوكوشة، مجلة البصائر، السلسلة 2، العدد33، 12 أفريل 1948، ص3.

الكتّاب الجزائريين في هذه الفترة كتابة مذكراتهم بوصف رحلاتهم الداخلية والخارجية، وتسجيل مشاهداتهم ولقاءاتهم في قالب أدبي. ولذلك نجد من يسمي هذا الأدب " أدب المذكرات " بدل " أدب الرحلات "، مثل عبد المالك مرتاض. وهناك من يسميه " أدب السياحة "، على اعتبار السياحة رحلة تلقائية حرة إلى مكان مرغوب فيه، بِنيّة التجوال والتمتع والاستطلاع والفضول والاكتشاف.

والأدب السياحي هو ثمرة كل ذلك في شكل جمالي يطبعه الإمتاع الوصفي والتنميق الكلامي، والتبليغ الانطباعي الذي يمتاز ببساطة الوظيفة الإخبارية. وقد أسهم في ترسيخ هذا النوع من الأدب الدكتور " عبد الله الركيبي " بكتاب سمّاه " في مدينة الضباب ومدن أخرى "، ثم أردفه بعنوان فرعي " سياحة أدبية "، وقد نشره عام 2003م، بعد ما كتب قبله " الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز " عام 1999م.

لقد سيطر الحديث عن مدينة الضباب " لندن" في هذا الكتاب إلى جانب مدن أخرى زارها في أزمنة متقاربة حيناً، ومتباعدة حيناً آخر، ولأمكنة مختلفة، عربية وأجنبية، كمصر وسوريا وفرنسا والفيليبين والمجر وألمانيا وروسيا.

أما عن فنيات الأدب السياحي عند " الركيبي "، فإننا نلاحظ أن أدبيته تفتر أحياناً في المواقف التي يطغى عليها السرد التاريخي، والإخبار السياسي. وفي موقف أخرى تسمو ويطيب جمالها خاصة

من المواقف التي تتخللها مشاهد وصفية ممتعة، منسوجة من وحي المكان.

والكِتَاب على العموم زاخر بكثير من الأساليب الفنية التي استمدها الكاتب من تمرسه المبكر بالفن القصصي. وفي الكِتَاب كذلك نفحات من روح التسامح الحضاري، إذ تتداعى الأمكنة والتجارب في العين والذاكرة. ويمكن اعتبار هذا النص السياحي عن " الركيبي " واحة فنية تعكس تجربة مكانية خارج البلاد.

ولا يفوتنا ذكر رحلة مهمّة قام بها الأديب " أحمد رضا حوحو " إلى الاتحاد السوفياتي سنة 1950م، وقد سجل فيها ما شهده من تطور حضاري، وصناعي، وتقدم ثقافي في روسيا. وحاول أن ينقل صورة صادقة للبيئة الجديدة التي ذهب إليها. وتعد قيمة هذه الرحلة في موضوعها، ما قدمه من معلومات وأشياء جديدة. أما من الناحية الفنية، فقد ابتعد الكاتب عن الأسلوب الفني مغلباً عليه الأسلوب الصحفي. إلى جانب رحلة "عثمان سعدي المعنونة "وطني" والمنشورة في جريدة البصائر عام 1953م ورحلة "محمد علي دبوز" من الجزائر إلى القاهرة إلى طانطا (الريف المصري) والتي عنونها" وقفة في دار الرافعي وعلى قبره" حيث تحدث عن مصطفى صادق الرافعي بعد الرحلة إلى مسقط رأسه(طنطا) واكتشاف الأماكن والمعالم التي كان يرتادها. وقد نشرت الرحلة في البصائر سنة1955م. ورحلة "أبو

القاسم سعد الله" إلى السعودية[1] وهي من الرحلات العلمية إذ كانت تهدف حضور الندوة العالمية الأولى المخصصة لمصادر الجزيرة العربية وقد عنونها "رحلتي إلى الجزيرة العربية وطبعها في كتابه الموسوم" تجارب في الأدب والرّحلة".

أهمية الرّحلة ودورها في حياة المؤلف:

ظلت الرّحلات موضوع اهتمام عديد من العلوم كالجغرافيا والأنثروبولوجيا والتاريخ، وعلم الاجتماع، والتربية والتعليم. وغيرها، وكانت مصدرًا رئيسيًا لكثير من الباحثين و- بخاصة - الشيخ محمّد علي دبّوز، الذي تأثرت أعماله بهذا الفن فأبدع وأمتع.

ساهمت الرّحلة في بلورة ثقافة الشيخ علي الدبّوز، فبرزت قدرة الأديب على الإبداع، وخير دليل على ذلك أعماله التي جاءت انعكاسًا لما تعلّمه وشاهده في البلدان التي زارها، فساهم في تنشيط الحركة الأدبية ورصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب وتصوير حضاراتهم.

إنّ للرّحلة فوائد جليلة تجعلها حاضرة إلى جانب الإبداعات الأخرى ذات قيمة تعليمية، التي تبرز حالة التّمكن من الجوانب العلمية على اختلافها. وقد نوه الإسلام إلى دور الرّحلة في طلب العلم، ودعا إليها راميًا إلى أغراض سامية، لقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ

[1] تجارب في الأدب والرحلة، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1983.

چ[1] ، وطلب العلم في الإسلام يتمحور حول التفقه في الدين واللّغة، والعلوم والصناعات، بالإضافة إلى الفوائد القيمة التي تعود على صاحبها، أو على قومه وعلى البلاد التي حلّ بها.

من أعظم ما يكسبه صاحب الرّحلة من قيامه بالرّحلات هو العلم والمعرفة، فكم من عالم ذاع صيتُه بفضل المعارف التي حصلها في رحلاته، كما أن مواهب العالم قد تظهر في أثناء رحلته، فقد يحظى في البلاد التي انتقل اليها بحرية التفكير والكتابة، التي ربما لم يحظى بها في بلده، فتعظم مكانته وينتفع النّاس بحكمته فلولا الرّحلة لما أثمر فكره[2]، ليس هذا فقط بل إن الرّحلة جسر بين الثقافات ومرآة للمجتمعات لهذا أثريت الناحية العلمية بفضل هذا التبادل العلمي القائم على الالتقاء بكبار العلماء للأخذ والرواية عنهم والحصول على إجازاتهم العلمية في المراكز التي وصلوا إليها والتي تُعَدُّ ينابيع فيَّاضة بالعلم والمعرفة[3] .

إن أهم دور أدته الرّحلة في حياة الشيخ، هو أنه شاهد عيان لمختلف مظاهر الحياة، خاصة من الناحية العلمية والأدبية، والتاريخية، وآثاره العلمية تعكس لنا ما وصل إلينا من علم غزير،

---

[1] سورة التوبة، الآية 122.

[2] الرّحلات، محمد الخضر حسين، تح: علي الرّضا التونسي، المطبعة التعاونية، 1976، ص12.

[3] الرّحلات المغربية والأندلسية، عواطف محمد يوسف نواب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د، ط، 1996، ص92.

وسعة فهم وحرصه على تدوين تاريخ المغرب الإسلامي أول بأول[1]، كما أن مؤلفاته مادة علمية ثقافية تعبر عن جسر التقاء الأفكار والمعلومات والثقافات.

وفي خضم الحديث عن هذا المؤلف لا يسعنا القول، بأنه منارة يُهتدى بها طالب العلم، وسلاحًا فاعلاً في الأدب والتاريخ، إذ ترك رصيدًا معرفيًا متميزًا، يتعرف من خلاله على تاريخ الجزائر منذ العهد القديم مرورًا بالعهد الإسلامي إلى غاية العهد الحديث، فالرّحلة لعبت عنصرًا كبيرًا في تكوين شخصية الشيخ، وإبراز أسلوبه الأدبي الشيق، فحملت أعماله رسالة سامية استطاع من خلالها أن يخلق لنفسه مكانة بين المفكرين الجزائريين.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

(2) آثار محمد البشير الإبراهيمي 1952- 1954، محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج4.

(3) أدب الرّحلة عند العرب، حسني محمود حسين، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

(4) أربعون يوما في المغرب الأقصى، حمزة بوكوشة، مجلة البصائر، السلسلة 2، العدد33، 12 أفريل 1948.

[1] المرجع نفسه، ص88.

(5) ابن باديس: حياته وآثاره، عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط1، 1986.

(6) تاريخ مزاب دراسة اجتماعية، واقتصادية، سياسية، بن بكير الحاج سعيد، الجزائر، 2007.

(7) تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ج2.

(8) تجارب في الأدب والرحلة، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ط)، 1983.

(9) تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

(10) تهذيب اللغة، الأزهري أبي منصور محمد بن أحمد ((370، تح: عبد الله دردیش، مراجعة: محمد علي النجار، (د، ت).

(11) ثلاث رحلات إلى باريس 1852، 1878، 1902، سليمان بن الصيام، أحمد ولد قاد، محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، دار السويدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي، بيروت، ط1، 2005.

(12) حياة كفاح (مذكرات)، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ج2.

(13) الرّحلات، محمد الخضر حسين، تح: علي الرّضا التونسي، المطبعة التعاونية، 1976.

(14) الرّحلات المغربية والأندلسية، عواطف محمد يوسف نواب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د، ط، 1996.

(15) رحلة ابن حمادوش الجزائري، عبد الرزاق بن حمادوش، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1983.

(16) الرحلة في الأدب العربي " التجنيس، آليات الكتابة، خطاب متخيل "، شعيب الحليفي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

(17) الشيخ محمد علي دبوز (تاريخه، شخصيته، آثاره)، بيوض إبراهيم دبوز، نشر بمكتبة الصفاء، بريان، الجزائر، د، ط، 1998.

(18) الشيخ محمد علي دبوز محرر تاريخ المغرب الكبير، محمد بن قاسم ناصر بوحجام، جريدة الرؤية العمانية، 24جمادى الأولى 1439هـ/ 11فبراير 2018.

(19) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984.

(20) صحيح البُخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بحاشية السندي، دار المعارف، بيروت، 1978.

(21) فن الرحلة في الأدب المغربي القديم (أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم)، زردومي إسماعيل، جامعة الحاج الأخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، باتنة، (رسالة الكترونية).

(22) في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز، يوسف الواهج، جريدة الحوار، ع720، 1431هـ/2010م.

(23) محمد الصغير بناني وآخرون (تحقيق)، مذكرات الأمير عبد القادر،سيرة ذاتية، شركة دار الأمة، الجزائر، (د، ط)، 2004.

(24) مشايخي كما عرفتهم، محمد صالح ناصر، دار الريام الجزائر، 2008.

(25) مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، بيروت، ط1، د.ت.

(26) مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، محمد بن قاسم ناصر، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط1.

(27) مقدمة ابن خلدون (وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.

(28) من أعلام الإصلاح بالجزائر "الشيخ محمد علي دبوز"، يوسف الواهج، بريان، الجزائر، 1881.

(29) من وحي البرلمان الفرنسي، محمود بوزوزو، مجلة البصائر، السلسلة 2، العدد13، 10 نوفمبر 1974.

(30) نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دبوز محمد علي، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2013، ج1.

علاقات الشيخ دبوز بتونس والقاهرة وجربة وبداخل الوطن

أ. أحمد بن مهني مصلح الجربي
كلية العلوم الشرعية مسقط
سلطنة عمان

ملخص المداخلة:

شرفتني اللجنة المنظمة للملتقى الدولي "الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا وأديبا ومربيا" بدعوة كريمة للمشاركة فيه وضمن المحور الأول: علاقات الشيخ دبوز بالشخصيات العلمية والتاريخية والوطنية اخترت عنوان المداخلة:

علاقات الشيخ دبوز بتونس والقاهرة وجربة وبداخل الوطن بهدف تعريف الخلَف بالقدوات من أسلافهم، وبمنهج استقرائي لمناقب الشيخ وعلاقاته المادة للجسور شرقا وغربا، عرضت لنشأة الشيخ

الذي نذره والداه للعلم فنشأ مقبلا على طلبه حفظ القرآن، ثم انخرط في معهد الحياة فكان من أنجب الطلاب، ويدل على نبوغه إبداعه في مجلة الشباب، ثم بسطت الحديث عن الدبوز القدوة وعددت جملة من صفاته: ثم تعرضت لرحلاته فكانت الأولى إلى تونس: درس بجامع الزيتونة ثم واصل طلب

العلم فتوجه في رحلة ثانية إلى القاهرة المحروسة وقبل في الجامعة كمستمع وتوثقت علاقاته بدكاترة وأدباء ورجال صحافة من المصريين، وفتح أبو إسحاق أطفيش قلبه وداره للوافد الجديد كما يسر له المرابطة في دار الكتب المصرية وعاد إلى ميزاب فأكرم بإلحاقه بالمعهد مدرّسا.

وهام بالتأليف فتنقل لجمع المادة في ربوع الوطن. ثم سافر للخارج لطبع مؤلفاته فزار دمشق وعاد لمصر وفيها تعرف على إخوة جربيين وتعاون معهم فترك كتبه في مستودعهم حتى يتم شحنها.

أما الرحلة إلى جربة: فقد تمت سنة 1974م زار الجزيرة والتقى بمشايخها ودخل مكتباتها وأعجب بمخطوطاتها وتجول في حومة السوق بعين المؤرخ ليسجل ملاحظاته على عادات سكان الجزيرة.

وعلى المستوى المحلي والوطني بالجزائر كانت للشيخ صداقات مع شيوخ أوفياء وكان موضع ثناء الجميع. وتوجت المباحث بأهم النتائج ضمنتها في الخاتمة، وختمت المداخلة بقصيدة **ملتقى الشيخ دبوز**

ترتيب كرونولوجي متسلسل:

- تاريخ الولادة سنة 1337 هـ / الموافق لفبراير من سنة 1919م

الدراسة الابتدائية: المحضرة القرآنية لمدرسة الفتح ببريان على يد الشيخ لبسيس

- المرحلة الثانوية: معهد الحياة البعثة البيوضية القرارة 1934–1941م
- الحياة الجامعية: الزيتونة بتونس ومكتبات العطارين العبدلية الخلدونية 1942م/ 1944م، شهر لقطع الحدود على الأقدام حتى القاهرة في الحرب
- الدراسات العليا الجامعة المصرية: (مستمع) دار الكتب المصرية ك61
- العودة إلى ميزاب: 1948م تكريم أول خريج وتعيينه أستاذا مربيا مطورا للمناهج ومضيفا لمواد جديدة ومشاركة فعالة في الصحافة من 1948 – 1955م.
- اعتكاف على التأليف: كتاب تاريخ المغرب العربي الكبير 1956-1961م

1962 بعد الاستقلال نشر كتبه المتلاحقة نهضة الجزائر، أعلام الإصلاح

رحلات إلى مصر ودمشق وجربة وداخل الوطن ترويجا للكتاب وجمعا للمادة

مكتبة الصفاء غنية بالوثائق والتسجيلات وأمهات الكتب في بريان

- الوفاة: الجمعة 16 محرم 1402هـ / 13نوفمبر 1981م عليه رحمة الله

تمهيد: النشأة بميزاب (بريان والقرارة):

ولد الشيخ محمد علي دبوز في بريان 1919م وقد نذره والداه للعلم فنشأ مقبلا على طلبه حفظ القرآن ثم انخرط في معهد الحياة فكان من أنجب الطلاب يدل على نبوغه إبداعه في مجلة الشباب،

نبـغ في المعهد جماعة من الكتاب والشعراء. خرجوا من نطاق مجلة الشباب الضيق، إلى الصحافة الجزائرية وغيرها، وأصبحوا كتابا وشعراء لامعين ترغب الصحافة في نتاجهم، وتطرق أبوابهم ليمدوها بروائعهم، ومن هؤلاء الشيخ عدون سعيد بن بالحاج شريفي. والمرحوم الأديب حمو بن عمر لقمان، وعلي يحي معمر، ومحمد علي دبوز وأحمد بن عمر والأخضر السائحي، وإبراهيم بن يحي الحاج أيوب، وحمو بن عمر فخار وصالح خرفي وغيرهم كثير.

هؤلاء كلهم أبناء معهد الحياة فهو الذي أنشأهم وفي مجلة الشباب تعلموا الكتابة، فهي أكسبتهم الفصاحة، فاستطاعوا أن يرفعوا الأقلام ويكونوا من النابهين.

الشيخ دبوز: قدوة ومثل أعلى تميز بأخلاق عالية جعلته أسوة حسنة ومن أهم صفاته: (الإقدام، الاجتهاد، الانضباط، الكرم، المصابرة، التدقيق، التحقيق، الهمة، العفة، المرابطة، الكرم، الورع، النظافة)

الإقدام: ((يجب أن نكون كما عوّدنا أستاذنا الشيخ بيوض في الإقدام دوما؛ مهما كانت الصعاب وطالب العلم لا يعرف الإحجام أبدا؛ وهو مثل

الدبابة الحربية لا تحجمها الوهاد ولا التلال ولا كل مسلك وعر أو أية عقبة كؤود، وهكذا يجب علي أن أكون، حسبي الله ونعم الوكيل...!))

المرابطة: ولقد رابط بدار الكتب المصرية باحثا، وأصبح الكرسي رقم (61) فيها يعرف " بكرسي محمد علي" من طول عشرة ودوام مصاحبة.

الاجتهاد: وتشهد على جده وتحصيله؛ كراريسه ومذكراته التي جمعها في مصر، ودام هناك في القاهرة إلى سنة 1948م يتحمل النفقات المادية المرهقة، ويتجرع غصص شظف العيش؛ وصبر للعذاب النفسي في غربة موحشة

العفة: وكثيرا ما يضطر إلى نسخ المخطوط في كراسه بخطه الجميل قبل توفر آلات النسخ والتصوير؛ من دون أن يأبه إلى كبر حجمه كما فعل مع مخطوط " طبقات المشائخ بالمغرب"، "لأبي العباس أحمد الدرجيني" في مجلدين وعدد صفحاته يربو على سبعمائة وخمسين صفحة.

المصابرة: ومما يدل على حرصه في التعلم وقساوته على نفسه حتى لا تنشغل بما يصدها عن التعلم أو يشغله عنه: كانت تفد إليه العديد من الرسائل من وادي مزاب وبالخصوص من والده الحاج علي بعد أن علم بأمره، ولكنه لم يرد فتحها وكان يتركها بختمها؛ ويودعها في كوة ويوصدها بما يحجبها عن نظره، وتجمع فيها العديد من الرسائل.

الهمة: وقبل أن يعود إلى بلده، فض ختم هذه الرسائل، ووجد فيها من الأخبار المقلقة المشوشة، بحيث تستطيع رسالة واحدة فقط أن تقلق باله وتصده عن طلب العلم وتنكصه على أعقابه إلى بلده. وعلم من هذه بوفاة أحد أعز الناس إليه، ومن تلك إشاعة مغرضة ألصقت به، وهي أنه قد تزوج مصرية شقراء وأنجبا أولادا واستقر به المقام في مصر إلى الأبد ومن الأخرى إلحاح أبيه بإصرار الرجوع إلى بلده بعد تطليقه المصرية،

الانضباط: عمله في الثلث الأخير ديدنه، لا يسمع المرء إلا أنفاسه وحفيف أوراقه وكان يحث عليه طلبته ويقول لهم (عليكم بالفرس الأدهم)

التواضع: وإثر قفوله من القاهرة أقيم له حفل مشهود في وادي مزاب وفي القرارة خاصة، وفرح برجوعه أستاذه الشيخ بيوض إذ استقبله بمعية عزابة ومشايخ وطلبة القرارة عند وادي زقرير قبل الدخول إلى القرارة، لأنه أول من يتخرج بشهادة جامعية من تلامذة المعهد، وأول تلميذ منه يدرس في جامعة القاهرة، وفي القرارة نظم له حفل رسمي لتكريمه، وبعد أن قدّم الشيخ بيوض كلمته نادى طالبه محمد علي وقبله أمام الملإ على جبينه قبلة اعتراف واحترام، وما زاده إلا تواضعا.

الكرم: مؤلفاته موجودة في معظم مكتبات الجامعات والمساجد ودور الثقافة، وزعها عليهم هو بنفسه، لتكون إلى أيدي الباحثين والطلبة أقرب

التحقيق والدقة: التوجه إلى معهد الحياة، حاملا محفظته الجلدية الحمراء التي ترافقه دائما، وفيها خلاصات الدروس ومفكراته التي أعدها في الليل.

الورع: كان يرفض التلفزة رفضا قاطعا لا هوادة فيه، لأضرارها الوخيمة الجسيمة على الرابطة الأسرية المقدسة، ويراها الفاصمة لعراها الأصيلة. والقاصمة لوقارها وسمتها الإسلامي المحتشم، والملهية ربة البيت عن واجباتها المنزلية، سيما خدمة الصوف، والأولاد عن واجباتهم الدراسية، والمضيعة للفرائض سيما صلاة المغرب من أجل "فيلم السابعة"، وصلاة الفجر من عناء السهر.

المبحث الأول: رحلة الشيخ دبوز إلى تونس وعلاقاته بها

كان السفر إلى خارج الجزائر متعذرا على طلبة العلم ناهيك أن الحكومة الفرنسية تراهم مشوشين كبارا للأمن. ولكن الجزائري- ولله الحمد- تزيده العقبات والسدود عزيمة ومضاء، وإقداما وجرأة. ولقد غامرت جماعة من طلبة العلم إلى تونس فسافرت من دون جواز سفر على طريق الجبال الصعبة، ومن الطرق البعيدة الملتوية التي تقل فيها الرقابة، ومن هؤلاء المغامرين إلى تونس محمد علي دبوز، سافر إليها من دون جواز سفر، حفظه الله في طريقه الطويل الملتوي، فوصل تونس الخضراء، وكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل إليها. فيكوّن نواة البعثة البيوضية التي استمرت بعد ذلك

وبارك الله فيها. وكان سفره إلى الخضراء في شهر سبتمبر 1942م. توجه إلى تونس للتعليم العالي ودرس في جامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون وعكف على مكتباتها سيما مكتبة العطارين. وفي شهر يونية 1943م وصل صديقه عيسى بن الحاج عمر بوحجام من دون جواز سفر كذلك، وفي سبتمبر من نفس السنة وصل كذلك الحاج محمد بن إبراهيم مرموري، وتكونت بهم البعثة البيوضية، وإن لم تكن بهيكلها وإدارتها وقانونها كما أصبحت فيما بعد لما كثر التلاميذ الوافدون من معهد الحياة. ودخلوا جامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون، وأسرعوا إلى مكتبات تونس العامرة، سيما المكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين.

ودام محمد علي في الدراسة والتحصيل ثلاث سنوات بين معاهدها ومكتباتها إلى سنة 1944م، دفعه طموحه للدراسة بجامع الزيتونة بتونس فوصلها دون جواز سفر وارتبط بعلاقات وثيقة مع الشيوخ واعتكف في المكتبات ينهل من معين العلم لثلاث سنوات.

أسرّ محمد علي لصديقه محمد مرموري بما صبت إليه همته، واستقر عليه عزمه، وحاول أن يثنيه عن قراره، لعلمه أن الطريق إلى مصر محفوف بالمكاره الجسام؛ والخطر محدق بها لأن الصحراء الليبية التي سيعبرها إلى مصر كانت إحدى بؤر الحرب، ولكن محمد كان مصراً على عزمه. وقبل مغادرته تونس طلب من صديقه مرموري أن لا يخبر بأمره أيا كان حتى يقدّر

وصوله إلى مصر، سيما والديه عند سؤالهما عنه، لأنه وحيدهما. وقد أخذت له صورة في جوان 1944م في آخر يوم له بتونس وهو يستعد للتوجه إلى مصر. وقبل المغادرة جلس على شاطئ البحر التونسي أياما حتى لفحته أشعة الشمس، ولما تم له التنكر، وجد في جبهته آثار القبعة التي لبسها في شاطئ البحر، وعاد إليه معرضاً إياها للأشعة حتى يحكم التنكر. توجه إلى عاصمة العلم القاهرة سيرا على الأقدام.

المبحث الثاني: رحلة الشيخ دبوز إلى مصر للدراسة وعلاقاته

تعلقت همته بالتوجه إلى مصر، كنانة الله في أرضه، وحاضرة الثقافة العربية والإسلامية في ذلك العصر لما تتوفر فيها من جامعات ومعاهد وتحتويها من عباقرة الأدب العربي والفكر الإسلامي؛ أمثال الدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والدكتور أحمد أمين وعباس محمود العقاد وأنور الجندي وغيرهم الكثير، ولما تتوفر فيها من الكتب والمجلات النادرة التي لا تصل إلى تونس إلا لماما؛ لسبب ظروف الحرب، ولما تحتويها أيضا من خزائن عامرة بالمخطوطات في جميع الفنون الثقافية.

ورافق القافلة سيرا على قدميه مخترقا معها نيران الحرب المستعرة، حتى وصل إلى مصر، وكانت مدة سيره تسعة وعشرين يوما كما يذكر الشيخ عبد الرحمان بكلي.

وفور وصوله إلى عاصمة العلم القاهرة التحق بجامعتها ، وانخرط فيها بمساعدة أستاذه الدكتور عبد الوهاب عزام ليكون مستمعا إذ لم تكن له الشهادة التي تخول له الالتحاق بها رسميا، ووجد فيها وبدار الكتب المصرية بغيته التي كان ينشدها، ونهل منهما وفتحت أمامه آفاقا علمية واسعة؛ ساعدته على التخصص في علم النفس؛ والتاريخ والأدب العربي، وتعرف على الأدباء المصريين الكبار أمثال محمد عطية الأبراشي وأنور الجندي، واتخذ أصدقاء مثل أحمد أمين وعباس محمود العقاد ومحمد سعيد العريان وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وعبد الوهاب عزام. الذي عاد بعد ذلك إلى القاهرة ليعين بها ثم يصبح عميدا لكلية الآداب في العام 1945م. ودرس محمد علي هناك على يد كثير من نبغاء مصر

هذه الرحلة الأولى إلى القاهرة المحروسة كانت سنة 1944م وقد كان رائد الابتعاث للدراسات العليا من طلاب معهد القرارة. فقبل في الجامعة كمستمع وتوثقت علاقاته بدكاترة وأدباء ورجال صحافة من المصريين، وفتح عميد الميزابيين بمصر الشيخ أبو إسحاق أطفيش قلبه وداره للوافد الجديد كما يسر له المرابطة في دار الكتب المصرية ونصحه بمنادمة الكتب. وقضى أربع سنوات مجتهدا متفتحا على بيئة مصر التي تعج بالثقافة والصحافة وعلوم الشرع والتاريخ والحضارة والمخطوطات. وعاد بعد تشبعه بزاد علمي وأدبي كاف إلى مزاب فأكرم بإلحاقه بالمعهد مدرسا. وهام بالتأليف فتنقل لجمع المادة في ربوع الوطن.وبعد أن ملأ وطابه من المعرفة وتخصص في التاريخ

والأدب وعلم النفس، زم حقائبه ليعود إلى بلده. وإثر قفوله من القاهرة أقيم له حفل مشهود في وادي مزاب وفي القرارة خاصة، وفرح برجوعه أستاذه الشيخ بيوض إذ استقبله بمعية عزابة ومشائخ وطلبة القرارة عند وادي زقرير قبل الدخول إلى القرارة، لأنه أول من يتخرج بشهادة جامعية من تلامذة المعهد، وأول تلميذ يدرس في جامعة القاهرة. وإثر استقراره بالقرارة في معهد الحياة تمّ تعيينه أستاذا مربيا مطورا للمناهج ومضيفا لمواد جديدة وكانت له مشاركة فعالة في الصحافة من 1948 – 1955م. وقد اعتكف على تأليف كتاب تاريخ المغرب العربي الكبير 1956-1961م وبعد الاستقلال 1962م نشر كتبه المتلاحقة نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، أعلام الإصلاح في الجزائر. ومن أفضل من ارتبط معه بعلاقة وطيدة الأستاذ أنور الجندي الذي قال عنه: محمد علي دبوز موسوعة "تاريخ المغرب الكبير" وتناول الجندي في كتابه "مفكرون وأدباء من خلال آثارهم" شخصية الشيخ محمد علي دبوز وكتابه "تاريخ المغرب الكبير" بالدراسة والتحليل في فصل من فصول كتابه نقتطف منه مايلي:

فقد تطلع الباحثون نحو المغرب العربي يتساءلون: متى يظهر ذلك المؤرخ الباحث الذي يعيد كتابة تاريخ المغرب العربي الكبير، محققا منصفا مصححا كل هذه الأخطاء، حتى ظهر هذه الأيام الكتاب الأول من موسوعة تاريخ المغرب الكبير للأستاذ محمد علي دبوز وهو أكثر من ألف وخمسمائة

وعشرين صفحة من القطع الكبير معلنا عن ذلك الجهد المبذول ، لأداء هذا العمل في عشر مجلدات تتناول مراحل هذا التاريخ

وتعد موسوعة" تاريخ المغرب الكبير" من الأعمال الكبيرة الدالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حين يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ الدبوز بكتابة أكثر من ألف وخمسمائة وعشرين صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال. مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد. كاشفا عن عشرات من الحقائق التي شوهها المؤرخون والكتاب (وهو أول كتاب جزائري يطبع بعد استقلالها)

وفي نظرات في" نهضة الجزائر الحديثة" كتب مقالا نشره في مجلة الأديب في 01 أفريل 1965 حول دراسة تحليلية لكتاب " نهضة الجزائر الحديثة " يقول:

والحق أن الأستاذ محمد علي دبوز عالم مجاهد، يشق طريقا وعرا، وينشئ عملا غير مسبوق. ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل جمع معلوماته. ثم هجرته من الجزائر إلى مصر أو دمشق لكتابة فصول كتابه وطبعه، وقد ألف مجلدات تاريخه الثلاثة " تاريخ المغرب الكبير" في القاهرة، ثم اختار هذه المرة دمشق حيث ألف وطبع كتابه عن نهضة الجزائر الحديثة. فجاء كتابه شاهدا بالجهد الضخم الذي بذله في سبيل الكشف عن هذا الدور، الذي قام به المفكرون في الجزائر من أجل المحافظة على اللغة

العربية والإسلام والقرآن ونشرها جميعا وحمايتها من مؤامرات الاستعمار التي كانت تستهدف القضاء عليها جميعا.

ونأخذ لقطة من كتابه: الفكر والثقافة في شمال إفريقيا:

...وأسمع صوت الشيخ محمد علي دبوز فصيحا مسترسلا من بين هذه الأصوات يعيد ما قاله منذ خمس وعشرين سنة. وكأنه بنور الله يبصر قائلا (إن الاستعمار اللاتيني قد زال من مغربها الكبير والحمد لله. ولكنه ترك في كثير من خريجي مدارسه وجامعاته من أبنائنا عقدا نفسية خطيرة هي أضر لنا من الاستعمار، وأوحى إلى كثير منهم بأن الإسلام ليس دين المدنية والعظمة، وأن اللغة العربية لا تساير المدنية).

المبحث الثالث: رحلته الثانية إلى مصر لطبع الكتب وعلاقاته:

ولتوسيع أفقه قام الشيخ دبوز برحلات عدة والتقى فيها بشخصيات وازنة مشرقية ومغربية.

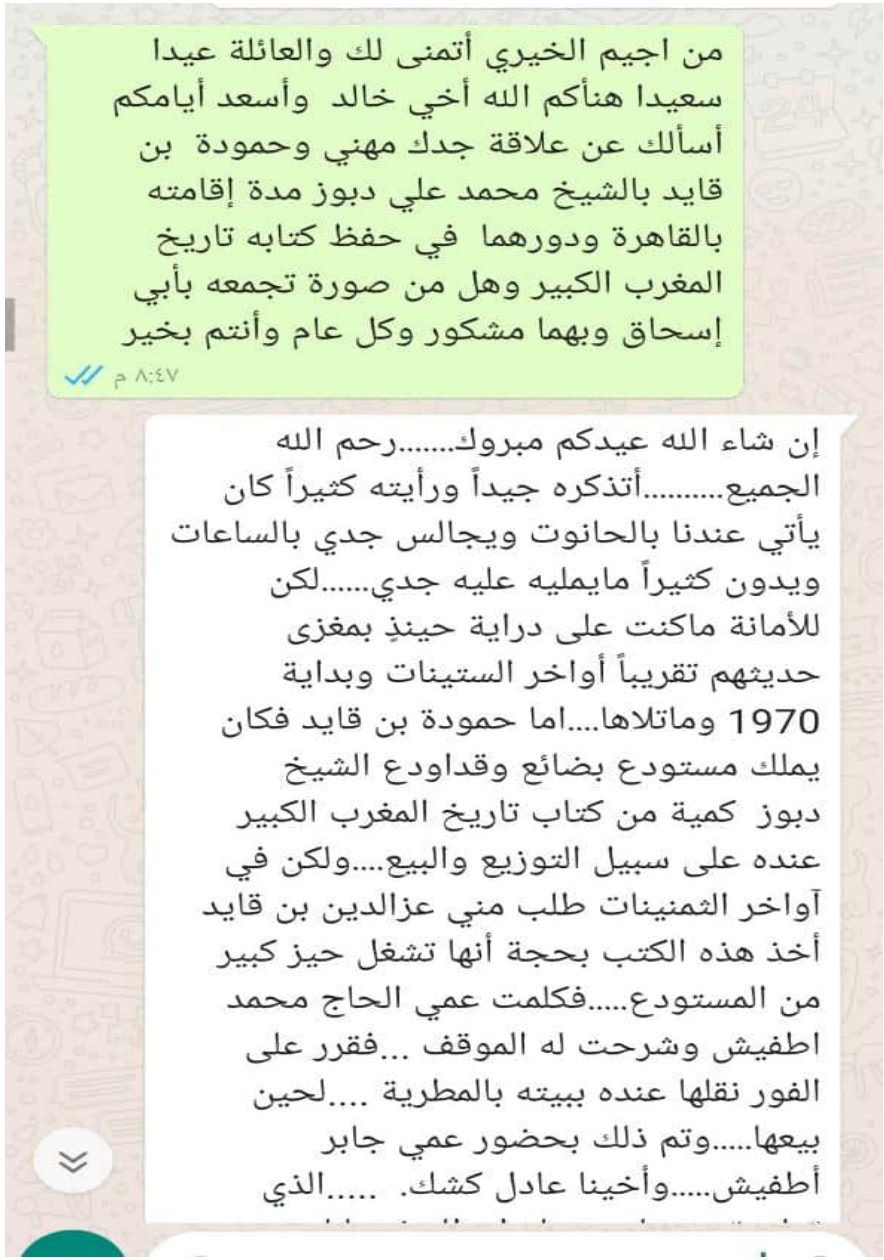
ثم سافر في أوائل الستينات إلى الخارج لطبع مؤلفاته فزار دمشق واتخذ فيها مكتبا بشارع المزرعة الجديدة وهو منكب على تأليف كتابه (نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة) سنة 1966 م / 1386هـ.

وعاد لمصر وفيها تعرف على إخوة من جزيرة جربة:

أسرة حمودة بن قايد فهي من والـغ بجربة واستقر أفرادها بالقاهرة بالفحامين وتعاون معهم الشيخ الدبوز فترك كتبه في مستودعهم حتى يتم شحنها.

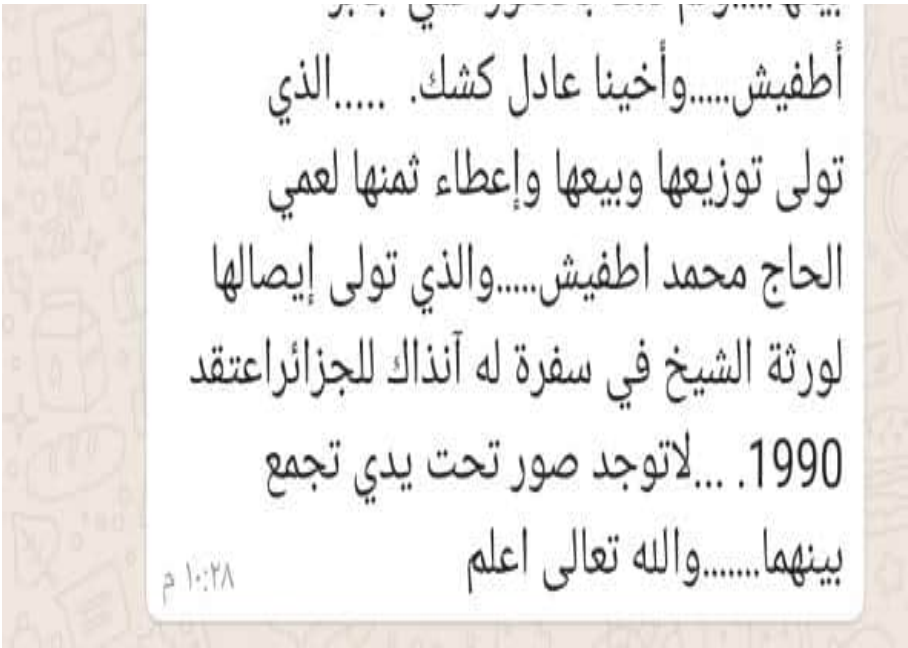
عائلة بن داود وقيدومها مهني بن عمر وهو من آجيم وانتمى إلى الأزهر والتقى عددا من الباحثين عن الإباضية (النامي وكوسترس)

وقدم حفيده خالد بن صالـح شهادة حول الأمانة التي تركها الشيـخ دبوز في مصر لدى أسرة بن قايد لتسلم لأنجاله. وهذه مراسلة بيني وبينه تثبت العلاقة وتؤكد القضية:


من اجيم الخيري أتمنى لك والعائلة عيدا سعيدا هنأكم الله أخي خالد وأسعد أيامكم أسألك عن علاقة جدك مهني وحمودة بن قايد بالشيخ محمد علي دبوز مدة إقامته بالقاهرة ودورهما في حفظ كتابه تاريخ المغرب الكبير وهل من صورة تجمعه بأبي إسحاق وبهما مشكور وكل عام وأنتم بخير

٨:٤٧ م

إن شاء الله عيدكم مبروك.....رحم الله الجميع.....أتذكره جيداً ورأيته كثيراً كان يأتي عندنا بالحانوت ويجالس جدي بالساعات ويدون كثيراً مايمليه عليه جدي.....لكن للأمانة ماكنت على دراية حينذٍ بمغزى حديثهم تقريباً أواخر الستينات وبداية 1970 وماتلاها....اما حمودة بن قايد فكان يملك مستودع بضائع وقداودع الشيخ دبوز كمية من كتاب تاريخ المغرب الكبير عنده على سبيل التوزيع والبيع....ولكن في آواخر الثمنينات طلب مني عزالدين بن قايد أخذ هذه الكتب بحجة أنها تشغل حيز كبير من المستودع.....فكلمت عمي الحاج محمد اطفيش وشرحت له الموقف ...فقرر على الفور نقلها عنده ببيته بالمطرية ....لحين بيعها.....وتم ذلك بحضور عمي جابر أطفيش.....وأخينا عادل كشك. .....الذي



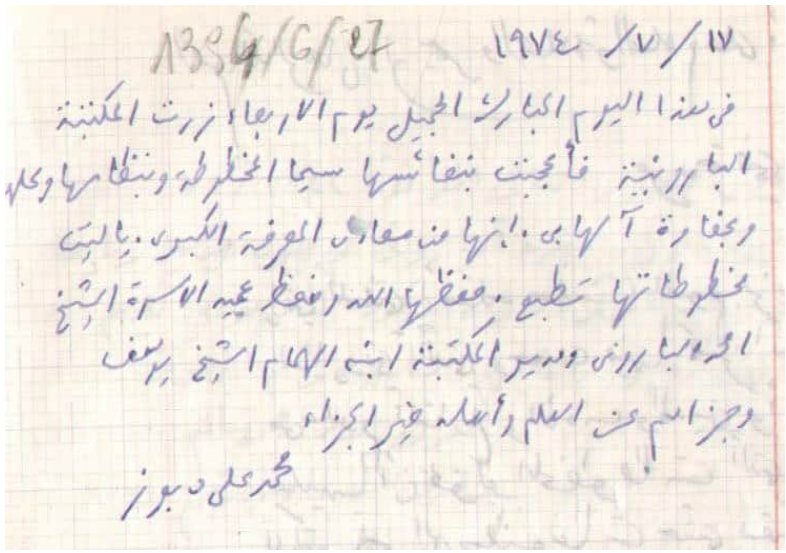
كما التقى بشرائح متعددة ومستويات مختلفة في القاهرة المحروسة.

فكانت له علاقة بالأديب مصطفى صادق الرافعي الذي لم يدركه لكن من خلال ابنه محمد مصطفى في طنطا الذي لقيه في الرحلة الثانية وزار مكتبة الرافعي التي بيعت لدار الكتب المصرية فعلق الشيخ دبوز (ليتها تركت مستقلة في الدار مثل مكتبة تيمور). كما زار داره وقبره.

المبحث الرابع: رحلة الشيخ دبوز إلى جربة وعلاقاته :

سنة 1974م زار الجزيرة والتقى بمشايخها (سالم بن يعقوب، فرحات الجعبيري، ويوسف الباروني ودخل مكتباتها خاصة البارونية مع امحمد الباروني وأعجب بمخطوطاتها وتجول في حومة السوق بعين المؤرخ ليسجل ملاحظاته على عادات سكان الجزيرة، من بربر وعرب ويهود. ومن السجل الذهبي للمكتبة ننقل هذه الفقرة:

الأستاذ محمد علي دبّوز:



27 جمادى الآخرة 1394/ 17 جويلية 1974

في هذا اليوم المبارك الجميل يوم الأربعاء زرت المكتبة البارونية فأعجبت بنفائسها سيما المخطوطة وبنظامها وكلها وبحفاوة أهلها بي. إنها من معادن المعرفة الكبرى، يا ليت مخطوطاتها تطبع. حفظها الله وحفظ عميد الأسرة الشيخ أمحمد

الباروني ومدير المكتبة ابنه الهمام الشيخ يوسف وجزاهم عن العلم وأهله خير الجزاء. محمد علي دبّوز

وارتبط بمـودة مـع الشيخـين سـالم بن يعقوب وفرحـات بن عـلي ألجعبيري

المبحث الخامس: رحلاته داخل الوطن جمعا لمادة كتبه وعلاقاته:

وعلى المستوى المحلي والوطني كانت للشيخ صداقات مع شيوخ أوفياء وكان موضع ثناء الجميع. أمثلة للزيارات والعلاقات في قرى وادي ميزاب ووارجلان وقسنطينة بلد ابن باديس والعاصمة الجزائر ووهران وتيهرت عاصمة الرستميين والأغواط بلد محمد الميلي وتبسة مهد العربي التبسي.

الشيخ دبوز مؤرخا:

ألف كتاب تاريخ الدولة العثمانية في جزأين وقد عانى الشيخ في كتابته لقلة المصادر التاريخية، وهو صالح للنشر كما يذكر ابنه بيوض. درس فيه جميع أدوار الدولة العثمانية؛ من نشأتها إلى سقوطها.

يرى الشيخ محمد علي دبوز أن تاريخ الدولة العثمانية لم يكتب بأمانة، ولم يسطر بصدق وأن تاريخها طالته الأباطيل المغرضة من طرف المستعمروأذنابه.

يقول (ما زال تاريخ الدولة العثمانية لم يكتب بنزاهة وصدق، تجنى عليها المستعمرون الصليبيون، فلم يذكروا من تاريخها العظيم في

البلاد العربية إلا ما كان أيام شيخوختها، وكذبوا عليها وصوروها للمغرب والبلاد العربية تنينا كان ملتفا عليها فخلصوها منه). وكان رأيه موافقا لآراء عدد من علماء الجزائر أمثال:

حمدان خوجة الذي يرى أن فترة الوجود العثماني في الجزائر فترة مشرقة مزدهرة رغم السلبيات التي تميز بها العثمانيون، وكان يقول "اللهم ظلم الأتراك ولا عدل الفرنسيين" ومنهم من وصف الدولة العثمانية بالأم الحنون، وأنها من أعظم نعم الله التي منّ بها علينا، داعيا إلى وجوب التأدب معها كما نتأدب مع الوالدين فقال: فلولا الدولة العثمانية التي رفعت راية الإسلام وقلمت أظفار أوروبا المتكالبة، ونشرت فيها الإسلام وحمت بلاد المسلمين، وجددت شبابها، لحققت أوروبا الصليبية كثيرا من أغراضها في بلاد الإسلام. ورغم الانتقادات اللاذعة التي وجهها أبو القاسم سعد الله للحكم العثماني إلا أنه لم يعتبر وجودهم في الجزائر قط استعمارا، وأنصفهم بل دعا إلى ضرورة فهمهم وأنهم -على سلبياتهم -قدموا الكثير.

وممن نفى الصفة الاستعمارية عن الدولة العثمانية الشيخ أحمد حماني، فرغم اعترافه بسلبيات الدولة العثمانية (استعمال العنف والقسوة كما عاب عليهم استعمالهم لسياسة التتريك التي كان

لها الأثر البالـغ على اللغة العربية وساهمت في انحطاطها)، إلا أنه في الأخير يخلص إلى أن حسناتها أكثر من سيئاتها .

فالنظرة للعثمانيين عندهم لا يكون فيها تقديس ولا اتهام لهم.

الوفاة:

- توفي في بريان يوم الجمعة 16 محرم 1402هـ / 13نوفمبر 1981م عليه رحمة الله وعمره 63 سنة،
- لم يتوقف عن العطاء حتى وافته المنية.
- بعد اشتداد مرض عضال أقعده الفراش كانت وفاته رزية عظمى لميزاب والجزائر والعالم الإسلامي كله.
- ودفن يوم السبت بحضور جمـع غفير من العلماء والمشايخ والطلاب والسلطات المحلية وبكاه أصدقاؤه وطلبته.

خاتمة: أهم النتائج:

تحلى الشيخ محمد علي دبوز بصفات مميزة وأخلاق عالية ومن أهم صفاته:

- (الإقدام، الاجتهاد، الانضباط، الكرم، المصابرة، استغلال الوقت (فكان لا يضيـع دقيقة من وقته ويحاسب من يتعامل معه على الاستفادة من الوقت وإن تأخر عن الموعد فلا يفتح له الباب)،
- التحقيق، الهمة، العفة، المرابطة، الصفاء، الحزم،
- النظافة (فقد كان حريصا على نظافة بدنه ولباسه وبيته)

- ولتوسيع الأفق قام برحلات عدة ومد الجسور مع الأصدقاء
- والتقى فيها بشخصيات وازنة مشرقية ومغربية.
- كرس حياته في البحث والتنقيب والكتابة لتصحيح التاريخ
- مؤلفاته مطولة وأسلوبه سلس جذاب ويمتاز بالتدقيق والإنصاف

المراجع:

- مؤلفات الشيخ دبوز:

1 - تاريخ المغرب الكبير (3 أجزاء).

2 - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة (3 أجزاء).

3 - أعلام الإصلاح في الجزائر(5 أجزاء).

4 - تاريخ الدولة العثمانية.

- مشايخي كما عرفتهم د محمد صالح ناصر دار الريام \1429 هـ / 2008 م.
- محمد علي الدبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ د محمد ناصر نشر مكتبة الشيخ الدبوز بريان غرداية دار البعث قسنطينة الجزائر
- الشيخ محمد علي الدبوز تاريخه شخصيته جهاده آثاره إعداد: الدبوز بيوض نشر مكتبة الصفاء 1419 هـ 1998 م.
- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم أنور الجندي.

- الفكر والثقافة في شمال إفريقيا أنور الجندي.
- تاريخ بني مزاب يوسف بكير الحاج سعيد.

قصيدة ملتقى الشيخ دبوز

أتينا لذكـــــرى أبينا العزيـز نردّ جميـــــل المربّي دبـوز
هنيئـا لأهل الصفـــا شيخنـــا بِريّـانَ كـــان النُشُو والبُرُوز
نُذِرْتَ لِعلْمٍ وأنتَ الوحـــيدُ سلكت الطريـق المؤدي لعزّ
وصرتم مثـــالا لمسترشـــد حلـيم صبور وللـجدّ رمـز
رعـــاك بسيـس بمحضـــرة ختمتَ القُـرانَ بوقت وجيـز
ويمّمتَ نحو القـراره تُريـــدُ مزيـــدا من الفقه حتى تفـوز
تلقّـــاك جمع من العلمـــاء على رأسهم شيخ بيّوض فاز
وفي معهـدٍ للحيـاةِ درجـــتَ سبقتَ الشبـابَ ونِلْتَ امتياز
ونـافست في الدرس والأنشطه خطبتَ وناظرتَ كنتَ المُجـاز
لجمعيّةٍ للشبـــــابِ انتميتَ كتبتَ مقـالا فريـدَ الطِـــراز
تَخرّجْـتَ بالرتبة الســـامية مُنِحْتَ الجوائِزْ دُعا والجواز
إلى تـــــونسَ الأنسِ زيتونـةٍ تجـاوزتَ نفطه وتوزر ودوز
حططتَ الرحـال بها طامحـا لعُليا الدراســات بالسبق فاز
ولم تشفِ نهْمًا ثلاثُ سنيـــن بها فابتغيتَ مزيدَ الركـــاز
بمحروسـةِ المصـرِ قـاهرةٍ ودون الوصـول إليها مفـاز
وحربٌ ضـــروسٌ قد اندلعتْ ونِـيرانُـها مـانعَه لاجتيـاز

على رغم صحـراءَ ملغومـــةٍ عبـورٌ خَطِيـرٌ وفيه التعــازي
أصرَ الشجـــاعُ على أن يسيرَ بزيّ مُرافِقِ عُرْبِ الحِجـــاز
ولم يُحْجِمِ الشـابُ عنْ رِحلةٍ برغمِ الصعابِ الجِسامِ المجـاز
تلوتم دعوتم رجوتم إلاهـــا بحفظ وصـون لكلّ الرجــاز
وبعد برونـــزاجَ في شـــاطئ . يصير الفتى أسمر للجـــواز
دخلتم لمصـــر الهدى آمنين بُعيْد المسيـــر لشهر مـــواز
وسُجّلْتَ بالجـــامعه مستمعْ وعـــزام يسعى لنيل مفـــاز
بِدارٍ لِكُتْـبٍ عكـــفتم علـــى تـــراث وعلم وكنـــز دِراز
تخصّصت في علم نفس وفي أداب وتـــاريخ كل الجهـاز
وصـادقت أبراش جندي وإبْـــنَ قايدْ وداوُدْ وجربي الطـــراز
وكنت الأنيـس الودود المواسي لشيخ نزيـل بصـوت نشـــاز
مضت أربـع من سنين البعـاد عن الأهل والموطن الامتياز
وحـانت نهـايـات قسـر وهجر ولاحت ريـاض البلاد العزاز
وغـــادرتَ مصرا ليلقـاك أهلٌ ومن واد زقرير كـان الجـواز
لتكريـــم خريج وادي مـزاب وقبلات شيخ على الامتيـاز
وعُيِّنْتَ أستاذَ علمِ النُفُـــوس وتاريخِ جغـرافيـــا للحيـــاز
مربٍّ أديـبٌ عفيـفٌ صبـورٌ نظيفٌ همـامٌ مرابـطُ فـــاز
وعدتم لمصر لطبـع الكتـاب وترويج ما كان في الاكتنـاز
دمشق وجربه وبين المـــدن ربوع الجزائرْ قطعتَ المجاز
وهمتم بتأليف كتب وصرتـم لتـأريخ مغربنـا الامتيـــاز

وزرتم عديد المكـــاتيب طرا ربطتم علاقــات ودّ مفـــاز
فيــا ربّ أكرم فقيــدَ الصفـــا حبيبَ القلوب أبــانـــا دبوز

د /أحمد مصلح مسقط عمان.

عوامل النجاح في شخصية الشيخ محمد علي دبوز

أ. د. مصطفى باجو
جامعة غرداية

تمهيد:

النجاح كلمة محبوبة لها وقع سحري على نفوس السامعين. وهي مطمح لكل الناس في هذه الحياة، ودافع للنشاط والعمل الدؤوب، ومحفز على الاستمرار، ومشجع على تحدي العقبات ومغالبة صعاب الحياة.

والنجاح في معناه البسيط بلوغ غاية رسمها الإنسان، وتحقيق هدف حدده في حياته، كبيرا كان أم صغيرا، بعيدا كان أم قريبا.

وأهداف الناس في الحياة عديدة، وكلها تجتمع على تحقيق الرضا والوصول إلى مرحلة الطمأنينة والسعادة بمختلف تجلياتها ومعانيها.

والواقع أن الحياة بلا أهداف حياة بلا معنى، وسعي الإنسان دون غاية تيه وضياع، بل ضيق وشقاء. بل إن سعيه نحو هدف مرسوم يحمل سعادة باطنة، وإن كان في ظاهره يغالب كبدا ويقاوم عوائق ومثبطات.

ودون الإسهاب في تحليل مفهوم السعادة في قواميس علم النفس والفلسفة، وعلم الاجتماع والأدب، ولا في نصوص الوحي والكتب المقدسة. فإن الحديث عنها طويل الذيول لا ينقضي إلا بعد تسويد

المجلدات، وهو ما تضيق عنه هذه الصفحات.

إذ ينحصر حديثنا عن علم من أعلام الجزائر الحديثة، وأستاذ أنشأ أجيالا من الطلبة رصدهم لأداء رسالتهم في الحياة، وسطرت يمينه مجلدات عديدة جسدت فلسفته للنجاح، وحددت عوامل هذا النجاح كما يراها وكما تمثلها في سيرته الذاتية وعلاقاتها الاجتماعية، في دوائرها المتاحة، من الأسرة إلى مؤسسة التعليم إلى المجتمع العام.

إنه الشيخ محمد علي دبوز، المؤرخ الضليع، والأديب الأريب، والمربي القدير.

وأحسب أن ثمة بحوثا وورقات عُنيت برصد مسار حياة هذا الأستاذ المتميز، وفصلت محطات هذه الحياة، وأبرز معالمها، وحصرت نتاج الشيخ الدبوز الفكري، وتراثه المطبوع والمخطوط، بمناسبة الملتقى الدولي الافتراضي حول هذه الشخصية المنسية التي أنصفت التاريخ وظلمها التاريخ.

وأعتسف المسير بالتوجه رأسا إلى مضمون عنوان هذه الورقة، وهو "عوامل النجاح عند الشيخ محمد علي دبوز.

وأبدأ بالإشارة إلى أن النجاح الذي آمن به الشيخ وحببه للناس، لم يكن تنظيرا مجردا، أو دعوة جوفاء، بل جسده سلوكا وواقعا أبصره الناس ولمسوه في كل حركات الشيخ وعلاقاته بالناس.

وهنا مفصل الموضوع، أو فيصل التفرقة بين الشيخ وبين كثيرين تناولوا موضوع النجاح ونظروا له، ولكنهم عجزوا عن تجسيده، أو قصروا دون آفاقه، أو كان سلوكهم نقضا لما تدعو إليه كتاباتهم، وما تخطه أقلامهم.

عوامل النجاح كما يراها الشيخ الدبوز ويترجمها في سيرته، منظومة متكاملة، حظينا بالتعرف عليها عن كثب إذ أدركنا الشيخ في أواخر سنواته بمعهد الحياة، وتتلمذنا على يديه فترة قصيرة، كانت فرصة ثمينة لاستلهام عناصر هذه الورقة المرتجلة.

ونذكر في البداءة عناصر نراها بارزة في حياة وفكر الشيخ الدبوز، تبدو لنا من أهم عوامل النجاح عنده. ثم نعقبها ببيان بعض الجوانب التي أسهمت في نجاحه، أو رآها سببا من أسباب النجاح.

والورقة لا تعدو أن تكون خواطر عجلى، يعوزها التأصيل والتفصيل. وعسى أن ييسر الله ذلك في قابل الأيام إن شاء الله.

عوامل النجاح في فكر الشيخ الدبوز:

- ✓ الإيمان بالرسالة.
- ✓ وضوح الرؤية.
- ✓ تحديد الهدف.
- ✓ التخطيط للإنجاز.

- ✓ الجدية والإصرار.
- ✓ النظام والانضباط.
- ✓ ترتيب الأولويات.
- ✓ مقاومة المعوقات.
- ✓ إيجاد البيئة المناسبة.

النجاح معالم وعوامل:

النشأة الأولى وأثرها على النجاح:

نشأ الشيخ محمد علي دبوز في بيئة تفتحت فيها أكمام الحركة الإصلاحية في بلدته بريان، وكان أبوه من أعضادها وأحد ركائزها، إذ اختير عضوا في إدارة جمعية الفتح الخيرية، التي حملت مشعل التعليم في البلدة، لإخراج الناس من الجهل وتبصيرهم برسالتهم في الحياة، ودعوتهم لمقاومة أسباب التخلف، وفي مقدمتها الجهل والفساد الخلقي.

وكان الشيخ وحيد أبويه نال من عنايتهم ما يناله الابن الوحيد، وحظي برعايتهم وبدعواتهم ما أهله ليرتقي في سلم النجاح إلى أعلى الذرى.

وأرسله أبوه إلى مدرسة الشباب التي عرفت لاحقا باسم معهد الحياة في القرارة، حيث سطع نجم العلامة المصلح الشيخ إبراهيم بيوض،

واحتضن في معهد نخبة من خيرة أبناء الوطن من مزاب وخارج الجزائر. واجتمعت في رحاب البعثة العلمية البيوضية فئة مباركة، رعاها الشيخ بيوض رعاية خاصة، ونفخ فيها معاني التحدي والسموّ، وألهب فيها نار الشوق للمعالي، فأسرج لها الخيل، وأطلقها بعد أن ارتاضت بين عينيه، وتأهلت للقيام برسالته، فحققت من المكاسب للأمة ما تنقضي دون حصره السنوات، وتضيق عن عده المجلدات.

في تلك البيئة المتميزة في معهد الحياة والبعثة البيوضية عرف الشيخ الدبوز معنى النجاح، ومعنى التنافس الشريف الشديد على السبق مع لداته من الفرسان الشجعان، أمثال الشيخ علي يحي معمر والشيخ حمو فخار، والشيخ إبراهيم قرادي، وغيرهم من الرواد الذين كانوا المادة الأولى لمشروع الشيخ بيوض في حركته الإصلاحية المباركة.

يذكر الشيخ الدبوز باعتزاز مرحلته العمرية المبكرة التي قضاها في القرارة، بين مشايخ أوفياء، ورفاق أصفياء، فكانت الشرارة التي أطلقت فيه حب العلم والولع بالرقي فيه إلى أعلى المراتب.

ولا يمكن فهم معنى النجاح في فكر الشيخ الدبوز، ولا في مساره دون استذكار هذه البيئة المتميزة التي أنشأته نشأة ممتازة، إذ كان لعلاقاته الروحية القوية بمشايخه في معهد الحياة، وفي صدارتهم الشيخ بيوض

والشيخ عدون، أثرها القوي في هذا المعنى، كما كان لوشائج الصداقة الصافية مع رفاقه هناك دوره البار في ذلك.

في بيئة القرارة عرف معنى النجاح ومعنى التحدي لبلوغ النجاح، وأدرك أن الحياة دون هذا التحدي لا معنى لها، بل لا يسمى النجاح نجاحا إذا لم تسبقه العوائق والموانع، وهي التي تبلو الإنسان، وتميز بين النفوس، فيجتاز المجد السابق العقبات، و يستمرئ طعم النجاح، ويخيب الخامل المتكاسل، ثم تلفظه الحياة في الضحضاح.

وكما كان الشيخ حمو فخار، زميل الشيخ الدبوز في الدراسة، يردد شعراً من الحماسة الذي تلقوه في المعهد، هذا البيت الخالد:

حبّ السلامة يَثني همّ صاحبه عن المعالي، ويغري المرء بالكســـل

فإن جنحــت إليه فاتخِذْ نفقــا في الأرض أو سلّما في الجوّ فاعتزِلِ

ومن القرارة دفع الشوق الطالب الطموح، وهو الطُّلَعَةُ الذي لا يعرف في العلم القناعة، فكانت مغامرته الفريدة لقطع الصحراء متنكرا في زي أعرابي مجتازا من تونس عبر ليبيا صوب القاهرة. وهذه التجربة في حد ذاتها درس وتطبيق لمعنى النجاح وعوامل النجاح في سيرة الشيخ الدبوز.

وفي القاهرة حط الرحال، وأبحر يلقط الجواهر والدرر، وينهل من معين أعلام الأزهر الغرر، وكانت علاقاته بهم علاقة متميزة، عرفوا فيه

الجد والرغبة الجامحة في العلم، فأحلوه المقام الكريم، ونال من علمهم وخلقهم ما لا يناله الطلبة العاديون.

وعاد إلى القرارة بعد سنوات التحصيل في القاهرة، ولم تعقه الشهادة عن استكمال معارفه، والتضلع في العلم، ثم انطلق في معهد الحياة فارس الميدان، يطور المناهج ويقترح المقررات الجديدة، فكان المنطق وعلم النفس، والتربية، وكان درس التاريخ الوظيفي موجات جديدة يرسلها في فضاء المعهد ويغرس بها في الجيل معاني البناء الجاد للإنسان. ولم يتنكر للقديم أو ينكر فضل المربين، فاشتغل عمره يرصد جهدهم ويوظف معارفه لنشر تاريخ جهادهم، وتفسير أسباب نجاحهم، وتحليل عوامل نبوغهم.

وإنك واجد في كتبهم حديثا ضافيا عن شخصيات النهضة وأعلامها، ورجال الثورة وأبطالها، يتتبع حياتهم خطوة خطوة، ويستقرئ تفاصيل نشأتهم، ويتقصى أسباب نجاحهم، ويقدم العصارة للجيل كي يحذو حذوهم، ويؤمن للوطن حماته وبناته.

تنظيم الوقت:

من أهم عوامل النجاح تنظيم وقت الإنسان، ووضع برنامج تفصيلي لأنشطته يوزع فيه أعماله المختلفة، ويضبط ذلك حسب أهمية الأعمال وأولوياتها. ويلزمه أن يراعي في التوزيع إمكانياته وقدراته، ويجعله برنامجا واقعيا ممكن التنفيذ، قابلا للتقويم، وإلا كان حبرا على ورق.

وذلك ما حرص الشيخ الدبوز عليه طيلة حياته، ونصح به مريديه، وحمل عليه طلابه، وأكد لهم في مختلف المناسبات أهمية هذا البرنامج لمن أراد اختصار الطريق وبلوغ أهدافه العليا في الحياة.

ولا يكفي وضع برنامج واقعي في حدود طاقة الإنسان وإمكاناته، دون تأمينه بعزيمة وإصرار على احترام تنفيذه، ومقاومة كل المعوقات والطوارئ التي تخترق مسار التنفيذ.

وهذه الخصيصة هي الفارق الأساسي بين كثير من العاملين، إذ يحملهم الحماس على رسم خطة عملية لبلوغ أهدافهم ووضع برنامج تفصيلي لذلك، ثم يشرعون في التطبيق لبضعة أيام، وما يلبث أحدهم أن تعرض له العوارض من الشواغل والضواغط، أو طوارئ الرغبات والاهتمامات، فيرسل حبل نفسه على غاربه، ويتوانى في الالتزام بما رسم لنفسه، ثم يطول به العهد فينقض العهد، وينكث الوعد، ويرتد دون أهدافه، ثم يلقي بالملام على الظروف والضغوط، ويبرئ نفسه، ولا يصارحها أنه فقد العزيمة والإصرار، وهما عنصر منهم من عناصر النجاح.

كان للشيخ الدبوز برنامج يومي صارم، ينطلق ساعتين قبل الفجر، يخصص أوله لتأليف كتبه التاريخية الكبيرة. ثم ينطلق بعد صلاة الفجر إلى معهد الحياة، وقد أعد دروسه لطلبته، ويقضي معهم سحابة يومه، ثم يعود ظهرا للاستراحة، وفي المساء يشتغل أيضا بمؤلفاته. ولا يفتح باب

الزيارات إلا لحاجة عاجلة ضرورية، ولا يسمح للزائر بالجلوس أرضا، حتى لا يطيب له المقام فيخرم عليه النظام.

ويخصص يوم الجمعة للبيت والأهل وأشغال الدار، والجلسات الودية مع الأولاد، وما يقتضيه حقهم من الرعاية والحنان.

رسالة المعلم:

اهتم الشيخ الدبوز بالعلم طالبا ومدرسا، وسعى لنقل شغفه بالعلم إلى طلبته، فبذل كل وسعه لتحبيب الدرس إليهم، ووظف خبرته التي استقاها من القاهرة في مناهج التدريس في رسالته بمعهد الحياة. إذ كان المعلم الكفء بامتياز، وصدر تجربته بتدريس مادة التربية والتدريس وصارت من المواد الأساسية لسنوات التخرج، إعداد للخريجين حتى يقوموا برسالتهم التعليمية على أحسن الوجوه.

أما مجريات الدرس مع الشيخ الدبوز، وما تميز به من إبداع وتشويق، ومن جد ممزوج بالطرفة والإمتاع ما تضيق عن تفصيله المجلدات.

وإن عشرات الأجيال من خريجي معهد الحياة يحفظون من قصص الشيخ مع طلبته شواهد صادقة على كفاءته وحبه لمهمة التدريس، وحرصه على طلبته وجده في متابعته حتى يستوعبوا ما ينفحهم به من معارف وتجارب.

ودرسه مزيج من الحزم والجد، ممزوجا بالأدب والفكاهة، يوظف فيه التشبيهات البديعة، وهي في مجملها بنت اللحظة، يحبب بها المعلومة، ويصحح بها الخطأ، ويعالج بها السلوك إذا شرد، ويردع بها المتمرد إذا مرد.

وكم يجد الطلبة من متعة وتفاعل مع تشبيهات الشيخ ونوادره، ويتأثرون بأدبه وشواهده.

كان يشبه الطلبة المتأخرين عن الدرس بتمر الريح، الذي يسقط من النخلة بين الفينة والأخرى، ويشبههم أحيانا بغبار القافلة.

ويوظف ثقافة الطالب ومشاهده اليومية في توضيح المعلومات وترسيخها.

وقد كان درسه في التربية مجالا رحيبا لغرس ثقافة النخلة في ذهن الطالب، وأنها إرث حضاري أصيل، ومجال لإشباع غريزة المقاتلة في الإنسان، وربطه بأرض الآباء والأجداد، وتحفيزه على حفظ التراث والغيرة على المقومات، وتعويده الاقتصاد في النفقة والاعتماد على النفس في بناء المستقبل. وهكذا ينطلق الشيخ في استخراج معانٍ سامية من عالم النخلة الرحيب، ويطوف بالطلبة في آفاقها الحضارية وأبعادها التربوية.

عاشق النظافة:

يتمتع الشيخ الدبوز بحاسة فنية مرهفة، وقد نشأ في أحضان الأدب

والشعر، وتغنى بطبيعة الأندلس وما رسمته عنها كتب الأدب، وصقلته هذه الكتب فنشأ على حب الجمال والولع به، وظل يتغنى به حتى في درس التاريخ وتحليل الأحداث، وقد يستهويه الخيال فينساق وراءه، ويظل يعدد للقارئ صورا من الجمال لا تصله بالوقائع التاريخية إلا بخيط رفيع، ولكنه يسعى لتوطيد وشائجه وبيان أثر هذا الجمال في مسار الأحداث.

والذي يرتبط بهذا الإحساس أيضا اهتمام الشيخ بالنظافة باعتبارها أولى خطوات الجمال، وترجمان الذوق المرهف في الإنسان.

وقد قضى عمره يغرس في طلبته حب النظافة والحرص عليها، ويحسابهم على التفريط فيها، ويجعل من مظهر اللباس وأناقته مقياسا لسلوك الطالب، يدركه ضمن نقاط التقويم في الامتحان.

وإذا ما أبصر من طالب أثرا من الأدران، أو اشتم منه رائحة تؤذي الإنسان جعله عبرة وموعظة للآخرين، وربما أرسل فيه تشبيها يصاحبه كظله وإن طال الزمان.

ولا يعني هذا أن الشيخ من عشاق الترف والولع بالثياب الغالية أو المغرمين بالمظاهر الخارجية الزاهية على حساب السلوك والقيم. بل كان منصفا أعطى لكل جانب حقه، ولم يفرط في هذه ولا في تلك. فجمع بين الحسنين، جمال المظهر وطهارة المخبر، ودعا من عرفه من الأساتذة، ومن درّسه من الطلبة، ومن اجتمع به في المجامع العامة إلى هذه

الموازنة التي تجسد وسطية الإسلام، وتكامله في بناء الإنسان.

روح الأدب، وحافز النجاح:

لا يختلف اثنان حول أبرز خصائص شخصية الشيخ الدبوز التي يسرت له طريق النجاح، ألا وهي الروح الأدبية التي يتحلّى به، فهو خفيف الظل، لطيف المعشر، يسحرك بحلو كلامه، وانبساط وجهه، وإقباله عليك بما يحببه إليك كأنك تعرفه من زمان بعيد.

ويتجلى ذلك في علاقته بكل من عرفه من قريب، وفي مقدمته طلبته في معهد الحياة، وزملاؤه المدرسون، في مجالسه المختلفة، وبخاصة منها الجلسات الإدارية التي تظللها روح الإخوانيات وإن أدرجت في سلك الرسميات لتنظيم شؤون المعهد وبرامجه ونشاطه.

والإنسان روح وجسد، ومعاملته بلغة القانون والأمر والنهي لا تجدي نفعًا في كثير من الأحايين، وإنما يحمله على الاستجابة دغدغة مشاعره، وملامسة عواطفه، وإحساسه بقيمته ومكانته. وتلك كانت وسيلة الشيخ في رسالته التربوية، فنجح في تبليغها، وبلـغ من نفوس طلبته منتهى ما يرجو من التأثير والإقناع.

وكانت ثمار تلك الوسيلة نبوغ هؤلاء الطلبة وبلوغهم مراتب التفوق في الدراسة أيام وجودهم في روض المعهد الخصيب، ونجاحهم في الحياة حين دخلوا ميدانها الرحيب.

وقد سلفت الإشارة إلى أن الروح الأدبية لم تفارق الشيخ في مختلف مجالات نشاطه، وكان لكتبه النصيب الأوفى منها، وإن كانت في ميدان التاريخ الذي يوصف بالجفاف وينفر منه الكثيرون، لكن الشيخ الدبوز أضفى عليه مسحة خاصة، من الأدب الطلي، فحببه للقارئ، وهو يرمي إلى اتخاذه وسيلة للتربية وبناء الإنسان، لا حصره على سرد الأحداث وما جرى في غابر الأزمان.

المرأة ملهمة النجاح:

برز اهتمام الشيخ الدبوز بالمرأة في خلال عرضه لمسار جهاد أعلام الإصلاح في الجزائر، وتتبعه لنشأتهم الأولى، فكان للحديث عن الأم وتشكيلها لشخصية صغيرها نصيب الأسد من تحليل الشيخ الدبوز، إبرازا لدور الأم المحوري في هذه المهمة، بما تزرعه في ضمير الولد ووعيه من قيم ومثل، وما تغرسه فيه من مبادئ وأخلاق، وما تنشئه عليه من سلوك وعادات.

ثم يتابع دور المرأة وهي صاحبة الرجل زوجة تقاسمه أعباء الحياة، وتكاليف رسالة الإصلاح، ليؤكد أن النجاح ثمرة المرأة الصالحة، وأن وجودها ضروري كضرورة الأكسيجين للأحياء، والرجل السليم من استنشق الهواء النقي الصحي، وإذا تسمم الهواء فعلى الدنيا السلام.

وقد أود نماذج من عظيمات النساء اللاتي كان لهن دور بارز في تاريخ المغرب الكبير، وأحداثه السياسية والاجتماعية والدينية، ومن أنشأن أبطالا يفتخر بهم الوطن ويعتز بهم الأبناء.

ويدعو الشيخ إلى أن تأخذ المرأة حقها من حب الرجل وعطفه، وينال الأولاد حقهم من أبيهم رعاية وحنانا، بما يشبع فيهم حاجتهم إلى هذه العواطف الضرورية لنشأتهم السوية، ولكن دون الإفراط مما يثمر جيلا مدلّلا مائعا، لا يقوم على قدميه، ولا يقاوم عدوّا أو جائرا يعدو عليه.

وللشيخ في علاقاته بأهل بيته وأولاده حديث يسرده للخاصة من الخلان، يجد فيها الدارس مثلا تطبيقية للتربية الوالدية الحانية الحازمة، كما يصف في أحاديثه ربة البيت بالملكة التي تتربع على عرش مملكتها، وتدير شؤونه بكل افتخار واعتزاز. وأن رسالتها الأساسية في بناء أجيال الأمة المحصنين دينا وخلقا، المؤهلين علما ومهارة، المهيئين لقيادتها إلى مراتب الرقي والكرامة. ولن يتحقق هذا الجيل إذا غابت المرأة عن بيتها، وأهملت رسالتها، وتركت فراخها نهبا للثعالب والذئاب.

التاريخ محرك الإنسان ومحصن الأمم:

الشيخ الدبوز والتاريخ، وجهان لعملة واحدة، أو قل إن التاريخ مفتاح شخصية الشيخ الدبوز، ودستور حياته الذي عاش لأجله، طالبا ومعلما، وكاتبا وأديبا، ومؤلفا وخطيبا. يدور مع التاريخ ويسير معه حيث

سار. ويجعله محرك الإنسان في الحياة، ومحصن الأمم من الآفات ومن الانفلات.

وفلسفة التاريخ عند الشيخ الدبوز واضحة المعالم، محددة الأهداف، إذ يراه العنصر البارز في التربية وإقامة دعائم المجتمع الفاضل، وفق المنظور القرآني "لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب" فأحداث الماضي دروس حاضرة، يستلهمها النشء لاقتباس معاني العزة والقوة التي فيه، وتفادي أسباب الوهن والضعف التي وقع فيها السابقون.

ومن لا موعظة له بالتاريخ كان من درسه في تعب، ونال منه أوكس الحظوظ. ومن اتعظ به واستفاد من إشراقاته اختصر السبيل إلى النجاح، وبلغ فيه مرات الكمال.

وكم ظل يعيب على المسلمين عموما، وعلى أبناء الجزائر خصوصا إهمالهم لتاريخهم، وعكوفهم على مصادر المستعمر الصليبي الحاقد لمعرفة تاريخهم، وهو لم يأل جهدا في تشويهه وانتقاص مقام عظمائه وأبطاله، وتصويره بما يجعله بغيضا إلى أهله، يتوارون من سوء ما فيه من المثالب والمعائب.

ودعا إلى كتابة تاريخنا الوطني بأقلام وطنية نزيهة، تجلّي ما فيه من صفحات الجلال وما يزخر به من جلائل الأعمال، وجهاد الأبطال. حتى يكون وقودا للاجيال أن تحذو حذو آبائها، وتواصل مسيرتهم الحضارية الظافرة. ولسان حالهم يقول:

نبني كما كانت أوائلنا تبني، ونفعل مثلما فعلوا

وكانت نظرة الشيخ إلى التاريخ نظرة شاملة عادلة، واجتهد وسعه في كتاباته أن يعرّف بجذور تاريخ المغرب الكبير، ودوله المتعاقبة، كما كشف بذور نهضة الجزائر وثورتها المباركة، في عرض منصف غير متحيز، يبتغي توظيف التاريخ لتوعية الأمة وتربية الأجيال. ولئن اهتم بصورة خاصة بالتاريخ المحلّي، فذلك لكونه أعرف الناس به، وأولى الناس بقضاء دين مشايخه عليه، فأسهب في تجلية صفحات مطوية من جهادهم المبارك في الإصلاح وبث الوعي الديني والوطني. ولم يهمل تاريخ علماء آخرين من مختلف مناطق الجزائر. استكمالا للصورة وأداء للأمانة.

وقد أبرز مقومات الهوية الحقيقية للشعب الجزائري في جذورها الأمازيغية وطابعها العربي وروحها الإسلامية. دون شطط ولا تعصب ولا جنوح ذات اليمين أو ذات الشمال. ووضع النقاط على حروف المقال، ودمغ بكتاباته دعاة الانسلاخ ودعاة التعصب ودعاة الانفصال.

الوفاء والعرفان بالجميل:

من مؤهلات النجاح عند الإنسان حسن الخصال، وكريم الأخلاق. ويتصدر هذه الأخلاق الإنصاف والاعتراف بالجميل. وهو خلق ينبئ عن معدن أصيل، إذ لا ينكر المعروف إلا اللئام، ولا يبلغ اللئام مبالغ الكمال.

وقد ظل الشيخ الدبوز يتغني بخلق الوفاء، ويشيد بفضل من ربّوه وفتحوا أعينه على العلم ورسخوا فيه القيم والفضائل، بدءا بالوالدين والمشايخ، وانتهاء بمؤسسات المجتمع المتكاملة، وكتبه زاخرة بشواهد هذا الوفاء، وبخاصة منه وفاؤه لمشايخه، وعرفانه بجميلهم، وإشادته بفضلهم عليه وعلى الجيل الحاضر، وعلى الوطن بأسره.

ولا يقتصر هذا الاعتراف على واقع نفسي يكشف عن حقيقة صاحبه، فحسب؛ بل يكشف عاملا من عوامل النجاح، ويؤسس للتواصل الحضاري بين الأجيال. وهو ما يؤمن الاستقرار النفسي، ويحمي النشء من الصدام مع الجيل السابق، وهو ما يشكو منه العالم المعاصر ويعرف في أدبياته بصراع الأجيال.

كما يتصل بخلق الوفاء خلق الصفاء، وقد أشاد به الشيخ الدبوز واعتبره وشيجة خاصة تربطه بخلانه ومشايخه، وتجعلهم على قلب رجل واحد، يغمرهم شعور بأنهم روح واحدة موزعة بين عدة أشباح، يشتركون في الأفراح والأتراح، ويتبادلون المسرات والشدائد، ويتناغون بالتهاني والتعازي، لا حدود بينهم ولا تكلف، ولا مراتب تعزلهم ولا طوابق. فيسري في أرواحهم من السعادة والطمأنينة، وينالهم من راحة البال ما لا يقدر بملء الأرض من الذهب والأموال.

ولا نجاح للإنسان في جانبه النفسي والروحي أسمى من هذه المرتبة.

وقد ظل الشيخ يتغنى بها ويرددها في مناسبات عديدة. ويعزو سبب

هذا الصفاء إلى طبيعة النشأة التي حظي بها في رحاب القرارة بمعهد الحياة، وإلى خصائص البيئة البسيطة التي عرفتها البلدة في تلك الفترة من تاريخها. وإلى القيم السمحة التي ربى عليها الشيخ بيوض الأمة والجيل، فغمرهم بصفاء نفسه، وأشرق ذلك في نفوسهم، فكانوا فعلا إخوان الصفاء.

مصطفى بن صالح باجو

مساء الاثنين 15 نوفمبر2020

- المحور الثاني -

الشّيخ محمد علي دبوز مؤرّخا

الشيخ محمد علي دبّوز المؤرخ الموسوعي

أ.د. إبراهيم بحاز

جامعة غرداية

ملخص المداخلة:

ولد المؤرخ الشيخ محمد بن علي بن عيسى دبوز ببريان، في سنة 1337هـ، الموافق لشهر فيفري من عام 1919م. تلقى تعليمه الأولى في كُتّاب من كتاتيب بريان، وفي سنة 1934م نقله والده إلى القرارة فتتلمذ على يد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وغيره من المشايخ، وهناك استظهر القرآن الكريم، ثم عكف على دراسة العلوم العربية والشرعية والأدبية، وقد كان شديد الرغبة في التلقي حريصا على التحصيل محافظا على أوقاته ذا قلم سيال، ومازالت مجلة الشباب التي كان يصدرها معهد "الحياة" يومئذ، تشهد على ذلك وتحفظ لنا الكثير من مقالاته المطوَّلة وفصوله الأدبية الرفيعة ومناظراته ومعاركه الأدبية، خاصة مع الأستاذ الليبي علي يحي معمر -رحمه الله-.

بعد تخرجه عام 1944م من معهد الحياة، رشحه أستاذه الشيخ بيوض لمواصلة الدراسة بتونس، فالتحق بجامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون؛ وهناك عكف كعادته بنشاطه ومواظبته على مكتباتها العامة، وبخاصة مكتبة العطَّارين ينهل من الفنون كالتاريخ والأدب والشريعة وغيرها، فتاقت نفسه وهو الشاب المتدفق حيوية ونشاطا وسافر لينهل

العلم من مصر ومكتباتها، فسار إليها مشيا على الأقدام بلا جواز سفر، متنكرا مستخفيا عن الاستعمار، حتى بلـغ مصر بعد ستَّة وعشرين يوما فتوجَّه إلى كلية الآداب من جامعة القاهرة واستُقبل أحر استقبال.

فدرس على كبار أساتذتها الأدب والتاريخ الإسلامي والفلسفة، كما انكبَّ على أمَّهات الكتب في دار الكتب المصرية بجوار أبي إسحاق إبراهيم اطفيش اليزجني نزيل مصر، فكان أوَّل الداخلين إلى دار الكتب صباحا، وآخر الخارجين منها ليلا، وبقي في القاهرة حتى سنة 1948م.

بعد رجوعه من القاهرة، اختار معهد الحياة ليدرِّس فيه التاريخ والأدب، وقضى فيه ما يزيد عن ثلث القرن، أي حتى آخر جوان 1981م.

دخل الأستاذ محمد علي دبوز ميدان التأليف سنة 1950م، إذ بدأ كتابة فصول كتابه: تاريخ المغرب الكبير، فأخرج لنا بعد **ثلاثة عشر عامـا** من العمل المتواصـل، موسـوعة تاريـخية تحمل عنوان:

- **تاريخ المغرب الكبير.**

ثم عكف بعد إتمامه لهذه الموسوعة على كتابة موسوعة تاريخ الجزائر وحركتهـا الإصلاحية في مؤلَّفيْن ضخمين همـا على التوالـي:

- **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة.**
- **أعلام الإصلاح في الجزائر.**

سجَّل في هذين المؤلفيْن تاريخ الحركة الإصلاحية وتاريخ روادها في الجنوب والشمال قاطعا في سبيل ذلك سبلا غير معبدة لم يسلكها أحدٌ قبله، وهذا هو الإبداع بعينه وحقيقته.

ثم إن الشيخ محمد علي دبوز لم يؤلف هذه المجلدات الموسوعية فحسب، بل له عناوين أخرى لم تر النور بعدُ، ولعل مداخلتي ستسلط الضوء كذلك على مقالاته وكتاباته غير المنشورة إن شاء الله.

عكف الشيخ محمد علي دبوز في معهد الحياة منشِئًا للأجيال ومؤلِّفا للكتب والمقالات، يخلِّد تاريخ الجزائر وتاريخ أبطالها الأماجد، حتى ألمَّ به المرض فأقعده في صيف سنة 1402هـ/1981م، حيث وافته المنيَّة مساء يوم الجمعة 16 محرم 1402هـ، الموافق ليوم 13 نوفمبر 1981م، بعد حوالي أكثر من ثلث قرن من العمل المتواصل.

ولعل من أبرز من سجل للشيخ محمد علي دبوز حياته وبيّن أسرار كتاباته، تلميذه بمعهد الحياة بالقرارة، الأستاذ الدكتور محمد ناصر بوحجّام، الذي ألف كتابا بعنوان: "مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز"، صدرت طبعته الأولى عام 2011م؛ ولقد بيّن فيه أهداف وقواعد الشيخ محمد علي دبوز في الكتابة التاريخية، فنقرأ بعد التعريف بشخصية الشيخ محمد علي دبوز، مجموعة من العناوين المهمة نجملها في الآتي:

- التاريخ والتربية
- التاريخ للاتعاظ والتأسي
- التاريخ للاتعاظ والتأسي، ودروس الوعظ والإرشاد
- التاريخ وبناء الروح الوطنية

- التاريخ والتربية العقلية
- قواعد تدريس التاريخ
- التاريخ والجانب النفسي
- التاريخ والثقة بالنفس، وإزالة العقد النفسية
- التاريخ والإدراك الحسي له
- التاريخ والذاكرة[1]

فهذه عشرة كاملة لم يستقيها المؤلف من كتابات الشيخ محمد علي دبوز، فحسب، وإنما خبِرها من تتلمذه عليه وعشرته له لسنوات عديدة هي فيض إنتاج الشيخ دبوز رحمه الله، يقول د. بوحجام: "من قراءاتي المتكررة لما كتبه الشيخ...، ومن خلال ما أفدته منه في جلساتي الكثيرة معه ولقاءاتي المتعددة به...، وجدت أن الشيخ يحمل أفكارا قيمة عن التاريخ، وعن طريقة التعامل معه، ووجدت عنده مفهوما عميقا للتاريخ، يكاد يكون متميزا وفريدا، لم يُسبق إليه"[2].

وإني لأعلم أنه لما صدر كتابه الأول "تاريخ المغرب الكبير"[3]، أصدر جزؤه الثاني منه، بعد الاستقلال مباشرة، "وهو أول كتاب جزائري يُطبع بعد الاستقلال، وارتفاع علم العروبة فيها"[4]، وكان به

[1] - محمد ناصر بوحجام: مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز، نشر جمعية التراث ، ط1، 2011، 28- 91.

[2] - بوحجام، نفسه، ص10.

[3] - دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، منشورات مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1383هـ/1963م.

[4] نفسه، ص 7.

فخورا، وبأفكاره في المحافل جهورا، إلا أن بعض الأكاديميين من المؤرخين، وقد أفضى إلى ربه، صبَّ عليه جملة من الانتقادات السلبية، كونه كتابا لا يرقى إلى العلمية، وما كان من الشيخ إلا أن اشتكاه إلى المشايخ لعله يرعوى،...، وكانت النتيجة أن تلك الانتقادات زادته عزيمة وإصرارا، فأكمل تاريخ المغرب الكبير بأجزائه الثلاثة في القاهرة بمصر، ثم أعقبها بكتابه "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" بأجزائه الثلاثة أيضا، وكان يحمل الآلة المسجلة للصوت معه، في حله وترحاله، منذ الستينيات من القرن الماضي، فيقابل الشخصيات ويسجل حديث المقابلات؛ مع شيخه أبي اليقظان إبراهيم، ومع شيخه إبراهيم بن عمر بيوض، ومع الشيخ أحمد توفيق المدني، ومع الأستاذ السيد محمد الصالح نجل الشيخ محمد الميلي يحدثه عن والده وعن صهره الشيخ مبارك الميلي، وجالس السيد أحمد مزهود يحدثه أيضا عن الشيخ مبارك الميلي وأسرته، وسجل مع الشيخ صالح بزّملال حديثا عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيَّش في صباه، لأن الشيخ محمد علي دبوز أدرك أبا إسحاق في القاهرة، وكان إلى جواره في دار الكتب معتكفا، يدخل الأول ولا يخرج إلا وهو الأخير، حتى عُرف كرسيه رقم 61 بأنه كرسي محمد علي دبوز.

الشيخ محمد علي دبوز، أعقب تينك الموسوعتين بموسوعة ثالثة عنوانها: "أعلام الإصلاح في الجزائر" وهي في خمسة أجزاء،

أرّخ في الموسوعة الأولى لتاريخ المغرب القديم وتاريخ المغرب الإسلامي، وبالذات تاريخ الدولة الرستمية، وأرّخ في الموسوعتين الثانية والثالثة للحركة الإصلاحية في الجزائر، وبيّن دور العلماء في الحفاظ على هوية الجزائر الإسلامية العربية الوطنية.

إن هذه الموسوعات اليوم بمثابة المراجع الأساسية لكل باحث، بل هي المصادر بالنسبة للثانية والثالثة، عايش الأحداث والأحاديث مع مُحْدثيها، ونقل الوقائع كما رواها أصحابها غضّة طريّة صادقة أمينة؛ فلا يخلو بحث أكاديمي أو غير أكاديمي من الاغتراف من معينه، والاستشهاد بصفحاته، فقد قام بعمل جبار أنشأه إنشاء، لم يعد فيه إلى المصادر والمراجع فحسب، كما فعل في موسوعة "تاريخ المغرب الكبير" بل دوّن التاريخ من عدم، وأنشأه إنشاء من أفواه صانعيه وأتى به فيما يقرب من 2211 صفحة.

إن الشيخ محمد علي دبوز، لم يكتب هذه الموسوعات الثلاث فقط، وإنما كتب غيرها كثيرا، وقد سجل ابنه بيوض في تقديم الطبعة الثانية لكتاب "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة"، حياة وآثار أبيه وأبرز ذلك في غلاف الكتاب، فنقرأ ابتداء من صفحة 53 من هذه الطبعة إلى صفحة 65 تلك الآثار التاريخية والأدبية والتربوية؛ منها المقالات والمقامات و المسرحيات... ثم إنه أمدني بنسخة من تراث أبيه الشيخ محمد علي دبوز، بعد التصنيف والترتيب فوجدته تراثا معتبرا، ينادي الباحثين الشباب إلى العمل والتقصي والجد والكد

لتحقيق هذا التراث، وجله مخطوط، أو مقالات في البصائر الباديسية أو مجلة الشباب بمعهد الحياة بالقرارة.

ببليوغرافيا عن التراث المخطوط للشيخ محمد علي دبوز

من إعداد: أمين مكتبة الصفا محمد علي دبوز ببريان 1439هـ/2017 م

كتاب الإصلاح والمصلحون في الجزائر

01	الإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس	105	ط25/16,5ع
02	المجاهد المخلص الدكتور محمد بن العربي	04	ط25/16,5ع
03	تاريخ الشيخ عدون رحمه الله	141	ط24,5/16ع
04	الشيخ طرابلسي	21	ط25/16,5ع
05	البطل المخلص أبو سعيد الحاج داود	17	ط25,5/16ع
06	تاريخ الشيخ بكير العنق	15	ط24,5/16ع
07	العالم الجليل الشيخ إبراهيم بن بكير	5	ط26/16,5ع
08	العالم الجليل المصلح الشيخ الناصر كروشي	17	ط22/15ع
09	أبواب من تاريخ الشيخ الحاج عمر	43	ط24/16,5ع
10	العلامة الجليل الشيخ الحاج صالح بن عمر	46	ط22/16,5ع
11	الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الأبريكي	35	ط24/16,5ع
12	شباب النهضة الحديثة في مزاب	12	ط24/15ع
13	البعثات العلمية في معهد الحياة	7	ط22/15ع
14	البعثات العلمية في معهد الحياة	11	ط23/15ع
15	البعثات العلمية في معهد الحياة	7	ط23/15ع

16	البعثات العلمية في معهد الحياة	18	ط23/15ع
17	خلاف الشيخ صالح للقطب	13	ط23/15ع
18	عهود الظلام في الجزائر	10	ط23/15,5ع
	مجموع الصفحات	527	

توضيحات لبعض المؤلفات المخطوطة:

1) الإمام الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس:

كتاب يتناول سيرة الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ وميادين جهاده التربوي والتعليمي والإصلاحي، وهو دراسة تحليلية يهتم بالجوانب التي أثرت في حياته؛ وبلورت شخصيته الاجتماعية والعلمية سيما دور والديه وشيخه الونيسي، وهو ترجمة كاملة وافية لحياة ابن باديس كان الوالد - رحمه الله - عازما على نشرها في كتاب نهضة الجزائر الحديثة الجزء الثاني؛ ولكنه عدل عن ذلك لصدور عدة مؤلفات في ذلك الحين حول حياة ابن باديس، ولضخامة كتاب نهضة الجزائر ورجاء الإيجاز وهو الأهم، وخاف غلاء أسعار الطباعة في الجزائر كونه المتكفل الوحيد بتمويل تكاليف الطباعة الباهضة، وترك طبعه إلى فرصة أخرى.

2) جانب من تاريخ الحاج بكير العنق:

حذف جانب نسبه؛ وأدواره في التعليم يقول الوالد عن سبب هذا الحذف: هذا الجانب لم ينشر إيثارا للإيجاز لطول الكتب هي مفيدة تنشر إذا خصص لأعلام القرارة يوما كتابا، وهذا ما أرجوه من أحفادي أن يفعلوه.

وما بقي لم ينشر يملأ كتابا إن شاء الله.

3) فصل عن تاريخ البعثة البيوضية في القرارة:

وهو يتناول دور عمر بن سليمان بودي وباحمد بن عمر أوراغ في البعثة البيوضية وآثارهما العظيمة فيها.

4) جمعية قدماء التلاميذ:

حذف فصل جمعية قدماء التلاميذ، ويقول إذا أعيد طبع الكتاب ينشر كله.

5) البطل المخلص أبي سعيد بن الحاج دواد:

حذف ترجمة هذا البطل وقد كتبها للجزء الثاني من كتاب نهضة الجزائر الحديثة؛ فضاق عنها نطاقه.

6) شباب النهضة الحديثة في مزاب:

حذف هذا الفصل من أجل إيثار الاختصار، وكان من المفروض أن ينشره في الجزء الثاني من نهضة الجزائر الحديثة.

7) عهود الظلام في الجزائر:

انتهى من تحريره يوم 09رجب1386هـ /22 أكتوبر 1966م.

8) العلامة الشيخ بن الحاج إبراهيم بن عيسى أبريكي:

قال الوالد: اختصرته في الجزء الأول من نهضة الجزائر الحديثة، وما بقي صالح للنشر كله في كتاب أسلوبا ومادة، إنه يمثل المعاهد الراقية؛ وطريقة التربية والتعليم في ذلك العصر ويجب نشره كما هو في كتاب مستقل.

9) الشيخ الحاج الناصر كروشي:

قال - رحمه الله - : اختصرت هذا الباب للجزء الثاني من كتاب نهضة الجزائر الحديثة لكبره وهو كله صالح للنشر أسلوبا ومادة.

10) العالم الشيخ إبراهيم بن بكير حفار:

قال - رحمه الله - اختصرت هذا الباب لطول الكتاب، وما تركناه منه كان لإيثار الإيجاز؛ لا لضعف مادته التاريخية ما ورد فيه هو الصواب.

11) الشيخ الحاج محمد بن إبراهيم الطرابلسي:

اختصر هذا الباب لنفس العلة وهي إيثار الاختصار.

12) الشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي:

قال – رحمه الله – هذه الأبواب أعيد تبييضها، واختصارها، وهي تشمل على حقائق تاريخية مهمة، لم تنشر لضيق نطاق هذا الكتاب: الجزء الثاني من نهضة الجزائر.

المحاضرات التاريخية التي كان يلقيها على طلبته في معهد الحياة

الرقم	العنوان	عدد	مقياسها
1	نشأة الدولة الإباضية	33	ط18/14,5ع
2	الفتح العربي	35	ط18/13,5ع
3	الفتح العربي	22	ط18,5/14ع
4	اضمحلال النفوذ العربي في أفريقيا	6	ط28/15,5ع
5	انتشار الإسلام في البربر	4	ط27/16,5ع
6	تأسيس مدينة تاهرت	10	ط27/18ع
7	الدولة الرومانية في الجزائر	9	ط18/13,5ع
8	تاريخ الجزائر قبل الإسلام	27	ط17,5/13,5ع
9	تاريخ الجزائر قبل الإسلام	70	ط17,5/13ع
10	سقوط الدولة الرستمية	27	ط18/13,5ع
11	سقوط الدولة الرستمية	10	ط18,5/13ع
12	جغرافية الجزائر	17	ط18/13,5ع
13	الدولة الموحدية	27	ط17/13ع
14	الدولة الموحدية	33	ط26/18ع
15	الدولة العثمانية	79	ط19/13ع
16	تاريخ الدولة العثمانية	84	ط17/13ع

17	التاريخ العثماني (نشأة الدولة)	66	ط18/13,5ع
18	الدولة العثمانية (نشأة الدولة)	28	ط17/12,5ع
19	ميلاد إدريس الثاني	49	ط20/14ع
20	الدولة الإدريسية	46	ط20/14ع
مجموع الصفحات		682	

المقالات

الرقم	العنوان	المجلة	العدد	التاريخ	عدد الصفحات	مقياسها
1	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	319	20/05/1955	6	ط13/ ع18.5
2	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	321	03/06/1955	4	ط13/ ع18.5
3	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	317	06/05/1955	7	ط13/ ع18.5
4	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	323	17/06/1955	6	ط13/ ع18.5
5	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	318	13/05/1955	4	ط14.5/ ع22
6	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	312	01/04/1955	7	ط13.5/ ع17
7	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد	البصائر	315	22/04/1955	4	ط38/6.5 ع

	الرحمن الجيلالي					
8	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	328	22/07/1955	4	ط13.5/ ع21.5
9	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	322	10/06/1955	2	ط6.5/ ع26.5
10	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	372	15/07/1955	4	ط38/6,5 ع
11	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	313	08/04/1955	2	ط38/6,5 ع
12	تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي	البصائر	321	03/06/1955	3	ط38/6,5 ع
13	يوغرطة الملك البطل العظيم	البصائر	58	16/03/1956	4	ط13/ ع18.5
14	يوغرطة الملك البطل العظيم	البصائر	359	23/03/1956	3	ط38/6,5 ع
15	فرحة مزاب	البصائر	82	13/05/1949	4	ط ع13.5/26

16	علة الإنصداع وسبب الإجتماع	المنار	41	17/06/1953	6	ط13.5/ 19.5ع
17	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	340	11/11/1955	2	ط6.5/ 30.5ع
18	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	337	14/10/1955	2	ط38/6.5 ع
19	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	334	23/09/1955	8	ط13.5/ 18ع
20	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	336	07/10/1955	2	ط6.5/ 23.5ع
21	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	342	25/11/1955	2	ط38/6.5 ع
22	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	347	14/11/1955	2	ط6.5/ 25.5ع
23	وقفة في دار الرافعي وعلى قبره	البصائر	334	23/09/1955	2	ط38/6,5 ع
مجموع الصفحات					90	

الرقم	العنوان	عدد الصفحات	مقياسها
1	فرحة القرارة	2	ط25.5/17ع
2	وقفة في دار الرافعي	3	ط19.5/14ع
3	حديث مع الجاحظ من أسباب ضعفنا في	3	ط19/14ع

	الأدب.		
4	انتخابات الشيخ بيوض	3	ط30/17.5ع
5	مقال عن الحسد	5	ط20.5/14ع
6	مقالات من جريدة الشباب (الفصاحة والبيان)	3	ط18.5/11ع
7	الشهيدة(1)مأساة مزاب	20	
8	ذكرى الأربعين عبرات على قبر الشيخ طرابلسي	36	
9	انتصار الحق على البا طل في وادي مزاب	5	ط17.5/14ع
10	حمار الحكيم	9	ط18/13ع
11	القيام بالواجب راحة الضمير	4	ط18/12ع
12	محمد العروس	19	ط18.5/13.5ع
13	الحسد وأثره في المجتمع	7	ط18/14ع
14	الشهيد (1)	3	ط18.5/13.5ع
15	الشهيد (2)	4	ط18.5/14ع
16	الشهيد (3)	4	ط18.5/13ع
17	الشهيد (4)	3	ط18/13ع
18	أفراح القرارة بعموم الكهرباء لكل نواحيها	1	ط26.5/20ع
19	ذكرى الأربعين عبرات على قبر الشيخ طرابلسي	3	ط18.5/13.5ع
20	في مناحة الصديق	4	ط25/8ع

21	أحاديث العاطفة	4	ط23.5/8.5ع
22	النجمة الهاوية	4	ط23.5/8.5ع
23	دموع الحب	6	ط21/9ع
24	إلى الأخ الخفيف	2	ط23.5/8.5ع
25	من صوري سعادتي	5	ط22.5/9ع
26	نعمة الألام	6	ط22.5/8.5ع
27	شب عمر عن الطوف	6	ط22/8ع
28	الضجر بالحياة	6	ط22.5/8.5ع
29	من أغاريد المولد	6	ط23.5/9.5ع
30	بالرفاء والبنين	8	ط23.5/8.5ع
31	زفرة مصاب	3	ط22.5/8.5ع
32	الحديث الثاني للدبوز	8	ط24/8.5ع
33	آفة المتعلم	6	ط24/8.5ع
34	كلب وفي	2	ط24/8.5ع
35	الحديث الثالث (تصريف عصري)	3	ط23.5/9ع
36	كلمة في أوانها الحديث الثالث	4	ط24/9ع
37	المندبة كبيرة والميت فأر	4	ط25/9ع
38	قلت لنفسي	4	ط23.5/9ع
39	الإعتماد على النفس (2)	4	ط23.5/9ع
40	تحليل أبيات	2	ط19.5/8.5ع
41	أسباب سقوط الدولة العثمانية	2	ط22/9.5ع
	عدد الصفحات	236	

المجموع الإجمالي لصفحات المقالات:326

- غربية الشتاء في واد مزاب.
- الأخلاق الفاضلة.

توضيحات لبعض المقالات:

1) الحسد ودوره في المجتمع:

مقال كتبه بمناسبة مقاطعة الميزابيين لأسباب غير موضوعية ولا تمت إلى الدين بصلة، وذلك في صيف 1955م لم تنشره مجلة البصائر، انتهى من تحريره سحر الخميس 30ربيع الآخر 15ديسمبر1955م.

2) لأخلاق الفاضلة:

مقال يدرس الأخلاق الفاضلة وعلى رأسها الصفاء الذي ركز عليه، يقع في ثماني صفحات.

3) الشهيد:

قصة اجتماعية تقع في أربعة فصول، وهي في أربع عشرة صفحة.

المسرحيات

الرقم	العنوان	عدد الصفحات	مقياسها
1	الأبناء الثلاثة	11	ط16,5/11,5ع
2	الأبناء الثلاثة	4	ط18/13ع
3	الأبناء الثلاثة	17	ط19/13,5ع
4	الأبناء الثلاثة	21	ط18,5/13,5ع
5	الأبناء الثلاثة	38	ط18,5/13ع
6	الشيخ الحاج عمر بن يحي	25	ط18,5/14ع
7	الشيخ الحاج عمر بن يحي	6	ط18,5/14ع
8	الشيخ الحاج عمر بن يحي	10	ط18,5/14ع
9	الشيخ الحاج عمر بن يحي	5	ط18,5/14ع
10	الشيخ الحاج عمر بن يحي	44	ط18/14ع
11	في تكة الصوفية في قسنطينة	24	ط18,5/13ع
12	الجهاد الأكبر	34	ط18,5/13,5ع
13	الجهاد الأكبر	19	ط18,5/13,5ع
14	الحاج بهون والتاجر اليهودي	10	ط18,5/13,5ع
15	عمر الزبون	41	ط18/14,5ع
16	الأمير عبد القادر	63	ط18,5/14,5ع
	عدد الصفحات	372	

1) الجهاد الأكبر:

مسرحية أدبية تاريخية؛ ذات تسع فصول، تمثل الإصلاح الاجتماعي الذي قام به المجاهدون الأولون الذين أيقظوا الجزائر، ونفخوا فيها العزة والكرامة فثارت وتحررت، كتبها في شهر ذي الحجة ومحرم1383هـ.

2) الشيخ الحاج عمر بن يحي:

مسرحية تاريخية ذات اثنى عشر فصلا، وتبين الجهاد التربوي والتعليمي والإصلاحي الذي قام به الشيخ الحاج عمر بن يحي، وتقع في سبع وثمانين صفحة.

4) أبناء الثلاثة:

مسرحية أدبية اجتماعية يسودها جو الفذلكة، وتقع في أربعة فصول في تسع وستين صفحة.

القصص

الرقم	العنوان	عدد الصفحات	مقياسها
1	كيف لقبت ؟	2	ط22,5/10ع
2	كيف لقبت ؟	6	ط26,5/13,5ع
3	كيف لقبت ؟	15	ط18,5/14,5ع
4	الإمام أفلح	16	ط27,5/10ع
5	الإمام أفلح	16	9,5/23,5ع
6	خروج الأسد	20	ط17,5/12ع
7	خروج الأسد	24	ط19,5/8ع
8	الصديق الخائن	8	ط18,5/14,5ع
9	الصديق الخائن	11	ط23/9ع
10	أيوب بن العباس	21	ط18,5/14ع
11	أيوب بن العباس	22	ط24,5/9,5ع
12	الأمنية الغريبة	25	ط18,5/17,5ع
13	الإغراء	11	ط14,19,5ع
14	الإغراء	13	ط23/8,5ع
15	عبد الله بن ياسين الجزولي	18	ط18/13ع
16	غريب في واد مزاب	12	ط18/13ع
17	حمائم المسجد	24	ط17,5/12ع
18	حمائم المسجد	6	ط18,5/13,5ع
19	حمائم المسجد	10	ط23/9,5ع

20	حمائم المسجد	6	ط22,5/9,5ع
21	حمائم المسجد	3	ط20/9ع
22	حمائم المسجد	6	ط22/8,5ع
23	إمامة الإمام عبد الوهاب	14	ط18,5/13,5ع
24	الفداء	8	ط18,5/13,5ع
25	الفداء	11	ط23,5/9ع
26	الشباب يلبس ثوبا قشيبا	7	ط23/9ع
27	إلى الرفيق الأعلى	6	ط23,5/9ع
28	الغريب المكتئب أو المحب التائب	4	ط21,5/9ع
29	الغريب المكتئب	5	ط23,5/9,5ع
30	الهجرة	6	ط23,5/9,5ع
31	آمال تتبخر	6	ط20/9ع
32	حياة الأسد	2	ط20/9ع
33	الضيف الطريد	8	ط22/9ع
34	الضيف الطريد	8	ط22,5/9,5ع
35	الشكاية	6	ط22/8ع
36	محمد العروس	14	ط23,5/8,5ع
37	محمد العروس	9	ط24/9,5ع
38	المنشار	6	ط20/8,5ع
39	بين المنشار والمطرقة والمسمار	3	ط19/8,5ع
	عدد الصفحات	418	

توضيحات لبعض القصص:

1) الأمنية الغربية:

قصة تقع في أربع وعشرين صفحة كتبها لما كان في تونس الخضراء طالبا.

2) أيوب بن العباس:

قصة بطولية تمثل إحدى البطولات الجليلة في الدولة الرستمية.

دراسات تربوية حول مناهج معهد الحياة

الرقم	العنوان	عدد	مقياسها
1	التقرير الأول	45	ط20/14ع
2	التقرير الثاني	30	ط18,5/14ع
3	التقرير الثالث	17	ط18,5/14ع
4	التقرير الرابع	5	ط18/14ع
5	التقرير الخامس	7	ط22/13ع
6	التقرير السادس	23	ط22/14ع
مجموع الصفحات		127	

توضيحات لبعض الدراسات والتقارير التربوية

1) المنهج التربوي للتدريس:

موضوع تربوي يتناول المنهج التربوي في كيفية تدريس المواد المقررة في معهد الحياة ويتناول كل موادها من التفسير إلى جمعية الشباب ومجلة الشباب؛ وكيف يجب أن تكون؛ إلى الرياضة البدنية؛ وكيف يجب أن تمارس.

2) المبادئ العامة في منهج التعليم:

ويتناول هذا الموضوع المبادئ الأساسية العامة التي يجب على المربي والمدرسة أخذها بعين الاهتمام في منهج التعليم.

3) معهد الحياة للتربية والتعليم:

يتناول موضوع البرامج والمناهج التي يجب اتباعها في التربية والتعليم بمعهد الحياة.

4) توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإدارتنا:

يبين الصفات والمبادئ التي يجب أن يتخلق بها المربي والمدرس عموما.

5) نظام تدريس الأدب في معهد الحياة:

تقرير رفعه إلى الشيخ عدون شريفي مدير معهد الحياة سنة 1953.

6) منهج المواد وتوجيهات:

تقرير يتناول منهج المواد التي يتولى تدريسها في معهد الحياة، ويقدم فيه توجيهات إلى إدارة المعهد.

7) النظافة و النظام في معهد الحياة:

تقرير رفعه إلى الشيخ عدون مدير معهد الحياة عن النظافة والنظام كيف يجب تطبيقهما في معهد الحياة.

8) الفلاحة وأثرها في بناء الأخلاق العظيمة.

9) الفلاح ومنزلته العظيمة في الأمة.

ومن خواطره – رحمه الله –

الرقم	العنوان	عدد الصفحات	مقياسها
1	خاطرة أدبية يحادث فيها النفس	4	ط16/11ع
2	من وحي العقل الشقي السعيد	4	ط22,5/8,5ع
3	كتاب مفتوح	4	ط23,5/8,5ع
4	من وحي الحنين مناجاة	7	ط22,5/9ع

5	هذه داري وهدا وطني ولكن أين أحبابي	8	ط21/8,5ع
6	مناجاة	2	8,5/22,5ع
7	الصرصور والنملة	2	ط22,5/8,5ع
8	من وراء المنظار	4	ط20,5/8,5ع
9	من وراء المنظار	8	ط22/9ع
10	من وراء المنظار	4	ط24/9ع
11	من وراء المنظار	5	ط24/9ع
12	من وراء المنظار	6	ط24/9ع
13	نضوج الأديب	6	ط22/9ع
14	إن للتاريخ حماة	4	ط24/9ع
15	إلى الحبيب الهاجر	4	ط24/9ع
16	أسبوع الأنس	2	ط24/9ع
17	الزهرة الأولى	2	ط24/9ع
18	مولد الرحمة والسلام	6	ط23,5/8,5ع
19	مقتطفات	2	ط23,5/8,5ع

20	عتاب أديب	2	ط23,5/9ع
21	الحديث الثالث	2	ط24,5/9ع
22	الغصن الغريب	6	ط22,5/9ع
	مجموع الصفحات	94	

فهذه بعض الأعمال غير المنشورة ولا المحققة للشيخ الجليل وأعماله الجليلة، تنتظر المحققين ورواد المكتبة (مكتبة الصفاء) والباحثين الشباب والأمناء من الأكاديميين، والله من وراء القصد.

الشيخ محمد علي دبوز ومنهجيته في كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

د. ابن عمر الحاج موسى
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

الملخص:

كانت للشيخ محمد علي دبوز إسهامات مهمّة في إعادة كتابة تاريخ الجزائر المعاصر بعد أن تعرّض للتشويه من قبل كتابات المدرسة التاريخية الاستعمارية التي كان على رأسها مجموعة من ضباط الجيش الاستعماري الفرنسي وعناصر البعثات الاستكشافية وفرق الدراسات الأنثروبولوجية، التي جنّدت لجمع المعلومات اللازمة وتحليل المعطيات الجغرافية والتاريخية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية الخاصّة بكلّ سكان الجزائر ومناطقها، ثمّ تقديمها لمصالح الجيش الفرنسي لاستعمالها في تسهيل مهمة الغزو والتوسّع والقضاء على المقاومات والثورات وإدامة السيطرة وتكريس الاستيطان الفرنسي في الجزائر.

وتندرج كتابات الشيخ محمّد علي دبوز ضمن جهود الحركة الوطنية الثقافية التي قامت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي واستمرّت الي غاية استقلال الجزائر. وكانت هذه الجهود ترمي لإنارة الرأي العام الوطني وتعبئة فئات الشعب الجزائري من أجل التجنّد

لمقاومة كل أشكال المسخ والتشويه والتضليل التي استهدفت مقومات الشخصية الوطنية وهويته الحضارية، على غرار ما كتب الشيخ العربي بن القاسم التبسي والشيخ أحمد توفيق المدني والشيخ عبد الرحمن الجيلالي وغيرهم.

ومن أجل الوقوف على خصائص التأليف ومنهجية الكتابة لدى الشيخ دبوز يتعيّن علينا طرح الإشكالية الآتية: **كيف كانت الخصائص المنهجية لكتابة تاريخ الجزائر الوطني المعاصر لدى الشيخ محمّد علي دبوز الممتدّ منذ بداية الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال؟**

الكلمات المفتاحية:محمد علي دبوز، الجزائر، المنهجية، التاريخ المعاصر، الحركة الوطنية، الثورة التحريرية.

الشيخ محمد علي دبوز ومنهجيّته في كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

الدكتور: الحاج موسى بن عمر
الطالب في الدكتوراه: حاج إبراهيم حاج امحمد
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

نصّ المحاضرة:

1. مدخل حول الكتابة التاريخية الحديثة في الجزائر:

يمثل تدوين التاريخ الوطني حلقة هامة من حلقات البحث التاريخي في الفترة الحديثة والمعاصرة، لما له من أهمية في الحفاظ على الموروث الجماعي للأمة، وكذا على الذاكرة الوطنية لحمايتها من التزييف أو التحريف أو الضياع، يكتسي التاريخ أهمية بالغة، ويلعب دورا كبيرا في بناء الشعوب والأمم، فالذي لا يدرس الماضي لا يمكن أن يفهم الحاضر، ومن ثمة فهو لا يستطيع بناء المستقبل.

وقد وظّف الاستعمار منذ بدايته التاريخ لتبرير وجوده وسياسته بها، وذلك من خلال انتقائه للفترات التاريخية التي اهتم بها والمواضيع التي عالجها، فكانت "المدرسة الوطنية الجزائرية" ردة فعل للجزائريين على هذا الخطاب، فيما بين الحربين في خضم التحوّل الذي عرفته الحركة الوطنية في شكلها العصري، وعلى أكتاف رجال الإصلاح من قبيل الشيخ مبارك الميلي وتوفيق المدني[1]، إذ حاول هؤلاء كتابة تاريخ يشمل كل الحقب من العهد الفينيقي- البربري القديم إلى غاية الفترة المعاصرة، مع تفضيل الارتباط بالشرق الإسلامي والطابع المغربي-الإسلامي للجزائر[2]، ردّا على الإيديولوجية الاستعمارية التي اجتهدت في إيجاد أسباب الوجود الفرنسي، بإبراز الفترة الرومانية مع خصائصها اللاتينية والمسيحية، على حساب الفترات

[1] - كتاباته خصوصا كتاب الجزائر، ورواية حنبعل، والمسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وهذه هي الجزائر، وحرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا...

[2] - سنلاحظ لاحقا موقع الشيخ محمد علي دبوز من هذا المسار.

البربرية-العربية والعثمانية باعتبارها حسبه "عهودا غابرة" من الفوضى والاستبداد والانحطاط[1].

نشأت المدرسة التاريخية المعاصرة في الجزائر خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، مع مفكرين ارتبطوا بالحركة الاصلاحية والتي مثلته جمعية العلماء المسلمين، وكان اهتمامهم بالبعد الإسلامي والعروبي، كعناصر أساسية في تشكيل الهوية الجزائرية، ثم تبلورت هذه المدرسة الجزائرية أكثر مع جهود قام بها مؤرخون ناضلوا في أحضان حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم بعد ذلك في جبهة التحرير الوطني، وكتابة التاريخ بالفرنسية، وذلك ابتداء من سنوات الأربعينات والخمسينات؛ ومن بين هؤلاء مصطفى الأشرف -كتابيه الجزائر الأمة والمجتمع، وأعلام ومعالم-، محمد الشريف ساحلي، محي الدين جندر -كتبه مدخل إلى تاريخ الجزائر-، والذين ناهضوا من جهتهم أيضا، قبل الاستقلال وبعده، ضد تُزييف وتشويه التاريخ الذي مارسته المدرسة الاستعمارية، إذ ظلت هذه الأخيرة تمارس، وبشكل واضح، تأثيرا بالغًا على اتجاهات الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة ووظائفها الفكرية والاجتماعية[2].

---

[1] - كتابات قوتييه (E.F Gautier) نموذجا.

[2] - محمد غالم: "**المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية**"، مجلة إنسانيات، ع 65-66، crasc وهران، 2014. ص 15-29.

2. التاريخ الجزائري والحركة الإصلاحية:

قد انقسم المؤرخون الجزائريون منذ الفترة الاستعمارية إلى فريقين، الأول ارتبط بجمعية العلماء المسلمين والثاني متصل بالحركة الاستقلالية؛ فالأول متمكن من ناصية اللغة العربية والثقافة الإسلامية، مساهم بشكل كبير في ساحة التعليم والتأليف قبل الاستقلال وبعده، والثاني ذو رصيد عال في اللغة والثقافة الفرنسة، نشط أساسًا في الوسط السياسي والحزبي قبل الاستقلال، وفي التدريس بعد الاستقلال، ثم في ساحة التأليف منذ تعريب التاريخ في الجامعة خلال السبعينيات من القرن الماضي، ورغم بعض التباين، فإنّ الفريقين اتخذا من التاريخ السياسي مجالاً لأبحاثهما، فطبيعة تكوين الفريقين تحول دون تجاوزهما للتاريخ السياسي ولأنّ انتماءهما للحركة السياسية الجزائرية بجناحيها صبغ رؤيتهما إلى علم التاريخ[1].

قد تفطنت النخبة المثقفة إلى الدور الذي يلعبه التاريخ في استنهاض الهمم والعودة إلى الذات وبناء الفرد من خلال هويته، فبدأت تظهر مع بداية الحركة الاصلاحية في العشرينات كتابات تاريخية تعنى بمحاربة الدعاوى الاستعمارية المغلوطة، وتعد العدة لبعث الوحدة الوطنية ولم الشمل حول القضية الواحدة، كما يقول الفيلسوف فيخته "الاسمنت الروحي لتقوية وحدة الأمة والدفع بها إلى الأمام في ظروف السلم

[1] - محمد غالم، المرجع السابق، ص 15-29.

والحرب جسما واحدا بروحه كاملة غير منقوصة ولا مهزومة"[1].

توجهت الحركة الاصلاحية والوطنية إلى دفع حماسة الجماهير من خلال ربطها بتراثها وجعلها تعي حاضرها بالرجوع إلى بدايات الاستعمار وماضيه وأهدافه، وما كانت عليه الجزائر قبل الاحتلال، وكيف تخلصت من براثن من حاول عبثا استغلال أرض الجزائر، وجعل ذلك مطية للتفكير في غد زاهر بدون السيطرة الغاشمة للاحتلال الفرنسي، وهذا ما جعل الشاعر رمضان حمود يكتب سنة 1927 إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها في يد غيرها"، "والتاريخ محيي الأمم وقد يكون قاتلها إذا شربته من كأس غيرها"[2].

كان من رواد ترسيخ ثقافة التاريخ وتكريسها كمجال مهم حري بالمثقفين الاهتمام بها أحمد توفيق المدني، ولقد أصدر في تونس سنة 1923 في خضم نضاله في الحزب الدستوري كتابه نضال إيرلندا ليفتح به عين الجماهير إلى أن تقبله للاحتلال هي وصمة عار، وإنه من الضروري اعتماد مبدأ الكفاح المسلح للتخلص من هذا الواقع

[1] - براهيم لونيسي، **الكتابة التاريخية عند رجال الحركة الاصلاحية وأهدفها**، مجلة الحوار المتوسطي، سيدي بلعباس، ع 3، 2012. 159.

[2] - محمد ناصر، **رمضان حمود الشاعر الثائر**، المطبعة العربية، غرداية، 1978. ص 213.

المزري والمرير[1]، ثم في 1925 بدأ بإصدار سلسلة المنصور والتي تحوي محطات من التاريخ الجزائري والمغاربي في أرقى وأزهى أيامه، ايقاظا لحس المفكرين والجماهير للاقتفاء بالآثار الماضية وصناعة الحاضر والأمل في المستقبل.

كان لموضوع التاريخ أهمية كبيرة في نفخ الروح لدى الوطنيين، وقد صرح الشيخ عبد الحميد بن باديس في ذكرى المصلح التونسي البشير صفر[2] سنة 1937 «وأن أصرح شخصيا بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في صدري الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر».

فقد كانت المحاضرات والخطب التي يلقيها رجال الاصلاح في الملتقيات والمناسبات المختلفة تصب في القالب الإحيائي للتراث، وظهر ذلك في الكتابات بشكل واضح وخصوصا المقالات الصحفية فأعداد البصائر والشهاب وصحف أبي اليقظان ثرية بالمقالات التاريخية الهامة، فكانت من ضمن الاهتمامات الأولى للشيخ أبي

---

[1] - توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، دار البصائر، 2009، الجزائر، ص 11.

[2] - أحد قادة الحركة الاصلاحية في تونس (1865-1917)، صحفي ومفكر، أسس صحيفة الحاضرة، وجمعية الخلدونية للثقافة، وأخرى ذات طابع اجتماعي وأهلي، كانت له محاضرات في التاريخ يلقيها في الصادقية، صدرت ككتاب "مفتاح التاريخ"، وأخرى "الجغرافيا عند العرب" و"الجغرافيا". أحمد صفر/http://www.mawsouaa.tn

اليقظان في صحفه سلاسل في موضوعات مختلفة من التاريخ أهمها في السيرة وتاريخ مزاب، التي كتب فيها بنفسه، كما كتب البكري أيضا عن ماضي مزاب وربطه بحاضره[1].

تولّى بعض رجال الإصلاح الردّ على الكتب الاستعمارية التي صورت تاريخا قاتما لفترة ما قبل الاحتلال بإصدار كتب تعيد الاعتبار إلى التاريخ الجزائري الوسيط والعثماني، ومن أولى هذه الكتب كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لصاحبه الشيخ المبارك الميلي وذلك سنة 1928 وقد حاول من خلال الكتاب ومن عنوانه دحض الادعاءات الفرنسة بأن الجزائر أرض شاغرة، وأن تاريخ الجزائر قبل 1830 كان ناصعا ومشرقا على عكس الظلمة والهمجية التي يعيشها الجزائريون تحت نير الاستعمار، وقال عنه الشيخ ابن باديس: إذا كان من أحيا نفسا واحدة كأنما أحيا الناس جميعا، فكيف من أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتهما عند أبنائها حياة مستقبلها..."[2].

إن كتاب الشيخ مبارك الميلي هي إعادة قراءة ما ألفته المدرسة الفرنسية ونسجته عن ماض الجزائر، ثم إعادة صياغته على ضوء

---

[1] – عبد الرحمن بن عمر، **لمحة من مزاب، ماضيه وحاضره**، جريدة النور، الأعداد 33 إلى 39؛ ثم نظرة عامة في الحياة الاقتصادية، الأعداد 51 وبعده. كلها في سنة 1932.

[2] – مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، طبع وزارة المجاهدين، ج1، ص 10.

مصادر تلك المراجع وكذا مطابقتها ما أمكن مع ما كتبه المؤرخون المسلمون والمغاربة منهم خصوصا كابن خلدون، فكان الجزء الأول من كتابه، محاولة واعية حتى قبل الذكرى المئوية لصد الطريق أمام التشويه التاريخي الممارس، الساعي لتمجيد الرجل الأوربي الروماني على حساب المحلي البربري.

وكان الشيخ مبارك الميلي من خلال التجربة الأولى أراد مواجهة مباشرة للإرادة الاستعمارية التي تمارس التزييف والانقاص من قيمة الحقب التاريخية التي لا تمت للأوروبيين بصلة، وقد أنهى جزأه الأول بخطاب يكاد يكون واضحا مريدا به هذا الجيل من الروم، إذ يقول فيه: ولعل الروم، لو كانوا في هذا العصر لقالوا إننا جئنا لننقذ البربر من الهمجية وننشر بينهم المدنية اللاتينية. ولئن سألناهم عما بلغ إليه البربر من الوحشية والفوضى بعد قرن لأجابونا بأن البربري وحشي الأخلاق ثوري بطبعه، لا يقبل التعليم ولا يحسن النقل عن جاره الرومي. ولعلهم ينقطعون عن الجواب إذا قلنا لهم: هذه الأمة قد أحسنت النقل عن الفينيقيين، فبلغت بذلك أوج العز، وشادت دولا عظمى، وبعد مدة من القرون نقول لهم أيضا: ها هي تلك الأمة قد استفادت من العرب، وأحسنت النقل عنهم، وعاد لها عزها، فشادت ممالك عظمى كما شادتها من قبل[1].

[1] – مبارك الميلي، **المرجع السابق**، ج 1، ص 378.

لقد كانت سنة 1930 مهمة في تاريخ الجزائر، إذ ألهبت الاحتفالات المخلدة للذكرى المأوية للاحتلال مشاعر المفكرين وبادروا إلى الرد على التعتيم الفرنسي بكتابات مختلفة في الجرائد وإنجاز كتب أيضا في التاريخ، حيث كانت فرصة اشتعلت فيها روح الغيورين وظهرت المبادرات الرائدة للم الجهود، على غرار جمعية العلماء المسلمين سنة 1931، وقد عبر حمو عيسى النوري على هذه الفترة وتلك الاحتفالات بالاستفزازية "التي يراد بها استفزاز الشعب الجزائري وتعقيم فكره وشل حركته الوطنية هبت نفوس الأحرار وقد بلغت بها الاستفزازات مبلغا عظيما رافعة عقيرتها بالاحتجاج إلى السلطة الاستعمارية تشعرها أن للجزائر قومية وسيادة وتاريخا أبناؤه لن يناموا على المطالبة به.." [1].

وبعد الاحتفالات بفترة وجيزة أيضا، أنجز توفيق المدني كتابه كتاب الجزائر مفتتحا إياه بالإشارة إلى الفراغ الذهني والتاريخي الذي يعانيه الشباب الجزائري، ما بين منجذب للثقافة الفرنسية وقسم يعيش ثقافة عربية لكنها مبتورة عن أصلها، لا تهتم بأمسها ولا بيومها ولا بمستقبلها، وقد وردت مقالات تشيد بهذا الكتاب وتعرف به كمقال لمحمد سعيد الزهراوي[2]، أو تقدم ملاحظات وإثراء حوله بشكل ينم

[1] – حمو عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، مطبعة دار البعث، قسنطينة، ص 375.

[2] – جريدة النور، العدد 32 / 10 ماي 1932.

عن اهتمام واعتناء بالتاريخ كمقال الشيخ بيوض حول الكتاب[1]. كما أتم الشيخ الميلي الجزء الثاني من كتابه وقام بطبعه وتوالت أعمال أخرى لأحمد المدني وغيره، فقبيل الثورة بقليل أصدر عبد الرحمن الجيلالي كتابه تاريخ الجزائر العام، مساهما به أيضا في الرد على أكاذيب المدرسة الاستعمارية.

خلال تلك السنوات كان الأستاذ محمد علي دبوز يطالع بنهم الأعمال التي أنجزت حول تاريخ الجزائر والمغرب عموما، فكان يلاحظ مستوى البحث ويسجل النقائص، ويسجل المقالات المختلفة في هذا الشجن، ويجهز منها الدروس لطلبة معهد الحياة الثانوي، حتى كان في سنة 1953 على وشك اتمام مسودة ثلاثة أجزاء من تاريخ المغرب، ولكنه لم يسر مباشرة إلى طبعها بل أحس بضرورة الغوص أكثر في أغوار خزائن الكتب والمخطوطات، وسد الحلقات المفقودة من الحقب السابقة، فجاب من أجل ذلك الجنوب والشمال ثم انتقل إلى تونس ثم إلى مصر للتزود بما يلزم لإتمام مشروعه[2].

بعد مشوار طويل من البحث جهز محمد علي دبوز باكورة أعماله الضخمة كتابه تاريخ المغرب الكبير، واستهله غداة الاستقلال

---

[1] – جريدة النور، العدد 35 / 31 ماي 1932.

[2] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاؤه، ط1، القاهرة. ج3، ص 7.

(1963)، بطبع الجزأين الثاني والثالث اللذين يتناولان القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامي بشمال إفريقيا، لما لاحظه من نقص في هذا الجانب وللمغالطات التي وقع فيه المؤرخون المعاصرون الذين نقلوا من الروايات المشوشة لمؤرخي البلاط الذي عاشوا في القرون اللاحقة للفترة التي انطلق منها في الدراسة[1].

كرّس التيار الإصلاحي المتمثل في جمعية العلماء المسلمين ومدرسته بعد الاستقلال حضوره القوي في الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة، وكثرت الكتابات التاريخية وتوسعت لتشمل كل الفترات التاريخية خصوصا منها الفترة الإسلامية الأولى (العصر الوسيط) والعهد العثماني والتاريخ المعاصر، وقد سجل فيه هذه الأخيرة الشيخ محمد علي دبوز كتابيه الكبيرين نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة (1966) وأعلام الإصلاح في الجزائر (1974). وقد استندت المدرسة الاصلاحية إلى رؤية ومناهج وظفتها في مجال التاريخ، وقد تجسدت رؤيتها إلى التاريخ بالاتجاه إلى التعامل مع فترات تاريخية معينة دون غيرها، تمثلت في العصور الإسلامية والفترة العثمانية والمقاومة المسلحة، بعد أن كانت تشمل التاريخ العام بما فيه التاريخ القديم[2]، وقد علق البعض على هذا الانتقاء أنه يخضع إلى توجه

[1] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبيرن المصدر السابق**، ج2، ص 32.

[2] – كتابات الميلي والمدني ودبوز...

إيديولوجي يسعى لإبراز البعد الإسلامي في تاريخ الجزائر[1].

3. التاريخ الجزائري وقضايا المنهج:

لقد تحمّل المؤرخون الوطنيون غداة الاستقلال واجب تملّك تاريخ بلدانهم، الذي طالما احتواه التّأريخ الاستعماري، وكان الوقت حينها وقت تصفية التاريخ من الاستعمار، وهذا بالذّات هو عنوان كتاب محمد الشريف ساحلي « Décoloniser l'histoire » فيما يتعلّق بإعادة كتابة تاريخ الجزائر. لقد أكد محمد الشريف ساحلي أن تاريخ الجزائر أصبح منذ 1830 حكرا على العِلم الفرنسي، وأن هذا التاريخ أصبح أداة دعاية تخدم حقيقة رسمية[(2)]، أي تخدم نظرة الدولة الفرنسية، التي ما تزال على وقاحتها، فتسنّ قانونا يمجد جرائمها في الجزائر.

فقد ارتبط اهتمام المؤرخين الجزائريين بالجدل القائم مع المدرسة التاريخية الاستعمارية، كما ارتبط بمسألة الهوية الوطنية وبناء الدولة الوطنية؛ إذ بمقابل حركة التغريب الاستعماري التي تقوم على

---

[1] -Remaoun, H., Ghalem, M., **Comment enseigner l'histoire en Algérie**, CRASC, Oran, 1995., p. 15-34.

[2] – محمد الشريف ساحلي، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر محمد هناد وآخر، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002. ص 07.

نفي مقومات الدولة والأمة في المستعمرات، أسّس المؤرخون الجزائريون حركة معاكسة ترمي إلى تمجيد الأمة وإحياء ماضيها وتراثها خلال الحقبة الاستعمارية، وبقي الأمر قائما بعد الاستقلال لما للكتابة من وقع في صناعة الرأي وتوجيه الأجيال اللاحقة.

داخل هذه المواجهة الإيديولوجية الصريحة، تصاغ الأسس النظرية والمناهج التي تحدد إشكاليات المؤرخين الجزائريين وتوجه أبحاثهم وموضوعاتهم؛ فالتاريخ الاستعماري محدود بإطاره الإيديولوجي، طرح الفترة الإسلامية بكاملها في إطار عهد تقهقر وغموض بين عصر الوجود الروماني وعصر الاستعمار الحديث والمعاصر، وبما أن التاريخ الاستعماري مليء بالأحكام السلبية، نشأ التأليف الجزائري وأخذ مادّته من التدوين التاريخي الاستعماري لكنه عارضها في أحكامها ومراميها إلا أنه وافقها في مناهجها؛ فالتأليف التاريخي الوطني جديد باعتبار ما سبقه من تأليف تاريخي تقليدي، لكنه من حيث مستوى البحث التاريخي المعاصر فهو تقليدي كالتأليف الاستعماري، يعتمد مثله على الوثيقة المكتوبة رسمية أو شخصية، يولي اهتماما واسعا للحدث السياسي ويحكم عليه من زاوية مفهوم الدولة[1].

تحوّل المشروع التاريخي لمحمد الشريف ساحلي وفق التاريخ-

[1] - محمد غالم، المرجع السابق، ص 15-29.

المضاد الذي تبنّاه إلى تأريخ رسمي في خدمة إيديولوجية الحكام الجدد، ولم تنفرد الجزائر وحدها بمراقبة التاريخ من طرف الدولة الوطنية، حيث يشير هشام جعيّط بالنّسبة لتونس إلى نفس الملاحظة، مبيّنا بأن النّظام أشاع نوعا من الإيديولوجية الوطنية المحصورة للدولة ليتصدّى للفكر النّاصري وقتها، بالتركيز على الوعي الوطني الضيّق وعلى الخصوصية التّونسية، وعلى نفي الأمّة نفسها مع السعي في التّأكيد على الهوية الوطنية. وعلى غرارهما ذهبت الدولة بالمغرب إلى نشر نظرتها الخاصة لتاريخ البلد، بحيث أدّى تنافس المجموعات المتولّدة عن انقسام الحركة الوطنية والتعدّدية الحزبية المنتهجة غداة الاستقلال، إلى أن تعتمد كل واحدة منها نظرة خاصة بها للتاريخ الوطني، وهو ما أدى إلى " فقدان عام للذاكرة " كما قال عبد الله العروي[1].

استهدفت الممارسة التّأريخية التي وضعتها الدولة الوطنية بعد الاستقلال، خاصة مع سنوات 1970، "كتابة وإعادة كتابة التاريخ الوطني"، لكن وانطلاقا من هاتين العمليتين أسندت لها وظيفة ومساعي الشرعية-الذاتية المنشودة من طرف الدولة الوطنية. ولقد تلخصت مهام "إعادة الكتابة" في التّنقيب عن مختلف المراحل التاريخية - السّابقة عن الحرب التحريرية - و عن الآثار التي تثبت وجود دولة

[1] - محمد عبيد، **التّأريخ الجزائري: تقييم ونقد - حالة الجزائر العثمانية**، مجلة إنسانيات، ع 47-48، crasc وهران، 2010. ص 57-75.

وأمة جزائرية، وذلك بتصحيح الحقائق المحرّفة التي أقامها التّأريخ الاستعماري. أمّا "الكتابة"، فإنهّا تتعلّق بالحرب التّحريرية وتتّخذ الأولوية من حيث الاهتمام، ولكن ذلك جعل هذه الدول الوطنية أحيانا حبيسة أنساق وإيديولوجيات ربما لا تخدم مستقبل البلد وتجعله حبيس ماضيه، وقد كتب عن هذا ساحلي "لقد تسبب التاريخ الرسمي للفترة الاستعمارية في اعوجاج الأحكام حتى اتخذ البعض منه، في هذه الظروف الصعبة، علة للهروب إلى ماض نعتوه بالعهد الذهبي، بينما اعتبره البعض الآخر مادة تقوم على مجرد الحقائق المتعارف عليها، وبحرمانه لهم من تاريخهم، قضى الاستعمار لدى الشعوب التي أخضع على وعي المصير التاريخي إلى درجة أن صار رد فعل البعض منهم وجدانيا كلما تعلق الأمر بالماضي"[1].

بقي التاريخ في إطار هذا التوجيه والقولبة عالقة في متاهات الإيديولوجيا والسياسة أو متماهية معها، فيبقي بذلك دور المؤرخين الجزائريين قائما على دراسة الأحداث السياسية (عسكرية و ديبلوماسية) والحكم عليها وفقا للميول الإيديولوجية، فتحوّلوا بذلك إلى أطراف في الصراعات السياسية الماضية والحاضرة يوزّعون شهادات النضال لهؤلاء وتهم الخيانة لأولئك، ويتغافلون عن مهمتهم الأساسية التي تتمثل في دراسة الواقع

[1] – محمد الشريف ساحلي، **المرجع السابق**، ص 110.

وتحليله تحليلا علميا خدمة لمعيار الحقيقة التاريخية[1].

وقد دفع التجاذب الثقافي بين المعرّبين و المفرنسين – أو شكل أدق بين الإصلاحيين والليبراليين - المؤرخين الإصلاحيين، حتى بعد الاستقلال والخروج من ليل الاستعمار، إلى عدم الاهتمام بالتاريخ القديم والاحجام عن تناول التيارات السياسية والاجتماعية التي لا ترتبط بجمعية العلماء المسلمين. ويتعامل هذا الفريق من المؤرخين مع التاريخ بمناهج تجمع بين تراث التدوين التاريخي العربي التقليدي وتراث المدرسة الوضعية التي تأثروا بها أثناء تكوينهم في جامعات المشرق العربي، فإذا كانوا يستعملون منهج النقد التاريخي فإنهم يستعملونه لتفنيد أقوال المؤرخين الغربيين، ولا يستعملونه في نقد شهادات المؤرخين العرب لأنّهم ينظرون إلى الماضي الوطني والإسلامي نظرة تجريدية ويميلون إلى التبجيل والتمجيد عوض التمحيص والتحليل.

ينطبق نفس الأمر مع غير المعربين، إذ اعتمدوا أيضا منحى تبجيليا وتمجيديا، إذ بمقابل المدرسة الاصلاحية التي ذهبت إلى ابراز الفترات السابقة للفترة العثمانية، باعتبارها فترات للإسلام المزهر والعصر الذهبي للبلاد المغاربية، فقد ذهب المؤرخون والناشطون السابقون في الحركة الوطنية الاستقلالية، التي كان يتزعمها مصالي الحاج وحزب

[1] - محمد غالم، المرجع السابق، ص 15-29.

الشعب، إلى التأريخ إلى فترة المقاومة الوطنية والحركة الوطنية، والغوص فيها بشكل غطى على كل التيارات الوطنية التي كانت تجتهد برؤيتها الخاصة نحو الهدف الواحد، وهو الخروج من السطوة الاستعمارية، وهو الذي قولب وساهم في التوجه بعد الاستقلال إلى نفخ وتضخيم تيار، وضع نفسه صانعا وحيدا لأمجاد الجزائر المعاصرة، وله الشرعية في تولي زمام أمورها بعد الاستقلال.

كانت نظرة المدرستين في قراءة التراث التاريخي متجهة بالأساس إلى الرد على المدرسة الاستعمارية، التي نبهت المؤرخين الجزائريين للعودة إلى ذلك التراث والاعتناء به خدمة لنهضة الجزائر، فعاد المؤرخون إلى الانتباه إلى المصادر وتحليل مضمونها ولو خدمة لتوجهات الكاتب وخلفيته، إذ نلمح هذه الفكرة عند عدد من المؤرخين الجزائريين الذين حاولوا التنظير مثل مصطفى الأشرف ومحيي الدين جندر وغيرهما... يندد مصطفى الأشرف بالتأويلات المغرضة للمؤرخين الاستعماريين قائلا : "حاول الباحثون ذوو النزعة الاستعمارية - عبثا - تشويه الإرث الخلدوني عبر قراءة سريعة، متسرعة لكتاب المقدمة. فبدا لهم تاريخ المغرب وكأنّه تاريخ قبائل عربية تعيش على السلب والنهب وقبائل بربرية غارقة في النزاعات والحروب... ظواهر تاريخية دأبوا على شرحها وتكرارها في سياق إيديولوجيا استعمارية تقوم على الهيمنة والاحتقار. إنّ غرض هؤلاء الباحثين من ماسكوري وغوتييه وبرتراند مرورا بجان مير وفارني

وديبارمي وغيرهم كان حمل القارئ على الاقتناع بفكرة التفوق الأوروبي لأنّ أروبا تنعم بالاستقرار والسلم وبسعادة لا غبار عليها[1].

4. مفهوم التاريخ وموضوعه عند الشيخ محمد علي دبوز:

يؤدّي التاريخ دوراً أساسياً ومهماً في الفكر الإنساني، إذ يبين تأثير الأنا والتغيير والظروف المادية على الشؤون الإنسانية، من خلال التجارب السابقة أو ما يمكن تسميته بالأحداث التاريخية، بالتالي فهو في غاية الأهمية من حيث الموضوع إذ يتيح التاريخ لنا إمكانية التعلم عقلا دون الخضوع إلى التجربة، كما يتيح إمكانية فهم طبيعة البشر بشكل أفضل في الوقت الحاضر من خلال فهم القوى والاختيارات التي أوصلت الإنسان لهذا الحاضر[2]، كما يستخدم التاريخ من أجل فهم العلاقات بين السبب والنتيجة في التنمية الشاملة للمجتمعات البشرية، حيث يهتم بشكل كبير بالتفسيرات العامة والأسئلة الأساسية بالإضافة إلى التفاصيل والأحداث المحددة[3].

وقد تعززت رؤية الشيخ محمد علي دبوز إلى التاريخ من خلال الوسط الاجتماعي والتربوي الذي نشأ فيه، في أحضان مدرسة الحياة

---

[1] - محمد غالم، **المرجع السابق**، ص 15-29.

[2] -www.britannica.com, "History", in **Encyclopædia Britannica**,

[3] -www.thoughtco.com, "**What Is History?**, A Collection of Definitions" K. Kris Hirst (22-11-2017).

وأستاذه الشيخ ابراهيم بيوض والبعثات العلمية في تونس والمغامرة المصرية، وشكلت لديه تصورا متكاملا رأى فيه أحد الوسائل الممكنة والخطيرة للنهوض بالفرد الجزائري لتولي زمام أمره بعد أكثر من قرن من العبودية والاستغلال. ولعل غاية ما يرمي إليه المؤرخ من خلال التنقيب في التاريخ هي الوصول إلى لحظة الوعي التي هي المتلازمة التي تحرك الإنسان، إذ إن ديمومة الوعي تؤدي إلى ديمومة الحركة[1].

بعد سلسلة طويلة من المقالات التي حرّرها الشيخ محمد دبوز في مجلّة الشباب التي أصدرها طلبة معهد الحياة في القرارة، وأخرى في البصائر[2]، انطلق في جمع وتحرير عصارة أبحاثة عن تاريخ الجزائر انطلاقا من رؤية خاصة للتاريخ تقوم على أساس أن التاريخ يمكن إحياؤه والعيش فيه وجعله وسطا ووسيلة للتنشئة والتربية، على صعيد فردي من خلال التمثل والقدوة وعلى الصعيد الاجتماعي من خلال الغريزة الاجتماعية والميول الفطرية[3]. فكان بذلك المنطلق أول عمل يصدره هو الجزأين الثاني والثالث من تاريخ المغرب الكبير،

[1] – مثال على لحظة الوعي الثورات الحاصلة في البلدان العربية بداية من 2009. علي عبد الصادق، **الوعي وحركة التاريخ . في سؤال الاستبداد عربيا**، نشر المنظمة العربية لحقوق الإنسان، د.ت، ص 2.

[2] – حوالي ستة وستين مقالة بين 1936م و 1942م، محمد قاسم ناصر بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، ط1، نشر جمعية التراث، القرارة، 2011، ص 17، هامش 1.

[3] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، ص 13.

واللذين يحملان مقاربته حول افتتاح الدعوة الإسلامية ببلاد المغرب وصولا إلى الدولة الرستمية خلال القرن الثالث الهجري، وهو يتقاطع بذلك في الجوهر الذي عليه الجزائر المسلمة ومزاب الإباضية المذهب.

نظر الشيخ دبوز إلى التاريخ من حيث هو مدرسة للتربية بالدرجة الأولى وبالتالي فإنه مما هو لازم الأخذ به، ولقد سبق إلى إدراك ذلك الغرب، وإلا "فلماذا حارب الاستعمار تاريخنا تلك الحرب الشعواء؟" فقد استثار الشيخ دبوز التساؤل حول الضرر الذي قد يصيب الاستعمار عندما تحصل "معرفتنا بتاريخنا" فالتاريخ هو الفن العظيم الذي حرمنا الاستعمار البغيض منه، وحرّمه علينا، فيجب أن نبادر بعد استقلال المغرب فنأخذ حظنا منه، وننتفع به في تربية الأجيال القادمة"[1].

ويتفق الشيخ دبوز في نظره للتاريخ مع الرؤية المثالية والبطولية، التي تتخذ من استحضار سير العظماء وصنّاع الحدث وعزّ الأمة مناطا لإذكاء الحماسة وإعلاء الهمم لإعادة الأمّة إلى لحظات الرقي والعلو والمثل، "التاريخ هو الذي يحفّنا ببيئة اجتماعية راقية من أجدادنا فنتعاشرهم، ونتأثر بأخلاقهم. ونتطبع بطباعهم ونحسّ بوجدانهم في خطبهم ورسائلهم ووصاياهم وأحاديثهم وأحداثهم

[1] - نفسه، ج2، ص 27-28.

فيكون وجدانا لنا، يذكي فينا الحماس لمثلهم العليا فنعمل لتحقيقها. والرغبة في طريقتهم المثلى، وفي نهجهم القويم فنتمسك به ونندفع فيه فنصل الدرجة الراقية التي كان عليها الأجداد. ونكون مثلهم في العزة والإباء وفي الطموح والمحاولة. وفي العمل والكدّ. وفي الإخلاص والإتقان، وفي العمل لله! وتلك هي أسباب النجاح والتفوّق. وعوامل القوّة والتقدّم، ولا يتّصف بها إنسان إلا تغيّر حاله. وتبّوأ أرفع الدرجات في كلّ النواحي،.."[1].

يتجه الشيخ دبوز من خلال ما سبق إلى حمل التاريخ على الوجهة الاعتبارية الذي يخدم الفترة الراهنة أو المعيشة، أكثر من إعادة صياغة الأخبار على الظاهر كما يعبر عنه ابن خلدون إنما اتجه فيه إلى الحفر فيه والخروج بالعصارة العبرة، ولو كانت الفترة المدروسة تبدو واهية وغير مشرقة فإنها فرصة "نقف في هفوات الأجداد، وما أثار الأعاصير عليهم، فنصوّره للأحفاد، ونحذرّهم منه، ونفتح عيونهم على ما أودى بدولنا القديمة من أمراض كالانغماس في الحضارة، والركون إلى الراحة، والاتصاف بالأنانية وبالعصبية القبائلية والمذهبية، وبالحسد الذي هو أمّ هذه الخبائث كلّها، وهو الذي أودى بدولنا الإسلامية. وشقّ جماعة المسلمين. فداخلها سوس الاستعمار ورتع فيها ذباب أوروبا، وطمعت فيها كل الحشرات الضعيفة"[2] وهو بذلك

[1] - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، المصدر السابق، ج2، ص 13-14.

[2] - نفسه، ج2، ص 21.

يقف جنبا إلى جنب مع المفهوم الخلدوني وما عالجه من الأمراض التي أهلكت الدول، انطلاقا من اختباره للدول التي قامت وسادت في المغرب.

إن هذا الأمر متعلق بالدراسة الممحّصة والفاحصة لسلوك الدول والمجتمعات، وقد استعانت المدرسة الاستعمارية بابن خلدون كقارئ متميّز لتلك الثغرات، وعادت للاعتماد عليها لمزيد من التثبيط والتحنيط للمجتمعات الإسلامية، وهو ما رآه محي الدين جندر سلبيا في دراسة ابن خلدون، إذ أنه أقرّ - مثلا - الثنائيات "البربر في مواجهة العرب، الحضر في مواجهة البدو، صنهاجة في مواجهة زناتة...، ولم يعمل على تكريس فكرة وحدة الشعب وفكرة الوطن عبر التاريخ... فالدولة في نظره قائمة على الغلبة والرعية على الإذعان والخضوع ولا وعي غير الوعي الديني..." [1]، أمّا الشيخ مبارك الميلي فقد اعتبر ابن خلدون "مؤرخا في خدمة الدول البربرية القائمة - المرينية والزيانية على الخصوص-" لما هاجم الهلاليين ونعتهم بالفساد والخراب... [2]، في حين تجاوز الشيخ دبوز هذه الأحكام علة المؤرخين بمسافة فارقة، ووقف ندّا لندّ مع المدرسة الكولونيالية مستفيدا من أعمال ابن خلدون إذ إن العبرة في مواجهة الحقيقة التاريخية، إذ "يجب أن نحذر

[1] - محمد غالم: المرجع السابق، ص 15-29.

[2] - مبارك الميلي، **المرجع السابق**، ص 15-29.

الأبناء ما وقع فيه الآباء، ونبيد في نفوسهم بالتاريخ الصحيح العقد النفسية الموروثة التي ثبتها الاستعمار في نفوسنا ليمزق شملنا ونريهم خطأ الأجداد فيما أخطأوا فيه. ونحذرهم من العاقبة الوخيمة التي جرتها على أجدادنا تلك الذنوب"[1].

ويرى الشيخ دبوز أن من كان سببا في المغالطات التاريخية هم الحكام المستبدون في المغرب الذين يومئون إلى كتّابهم للدعاية وتشويه صورة المغرب وتصويرهم دعاة للتحضر، "وترى أولئك المستعمرين يستغلون كل الاستغلال تلك الأكاذيب الملكية ليسوّدوا صفحة مغربنا المشرقة، فيبعدوا ناشئتنا عن تاريخ أجدادهم، فيسهل صبغهم بما يريدون، وتجريدهم من شخصيتهم الإسلامية والعربية كما يشاؤون!"' فأحسن المستعمر استغلال الفرصة لضرب الوحدة وتخوين وتحريض أطراف المجتمع بعضهم ضد البعض، فهم "... لا ينتقون من فصول تاريخ المغرب إلا ما يعجّ بأكاذيب الملوك ودعايتهم المغرضة .. وتراهم يستغلون كل الاستغلال الصراع الذي وقع بين المغرب وبين الملوك المستبدين من الأمويين والعباسيين، فيبثون كل ما يشاؤون من عصبية في النفوس، وأحقاد في القلوب، ليبعدوا المغرب عن المشرق، ويفصلوا الأخ عن أخيه.."[2].

---

[1] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير** ، **المصدر السابق**، ج2، ص 21.

[2] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، المصدر السابق، ج2، ص 7-8.

يقول المؤرخ دبوز في هذا السياق، بعد نقل معارك الكاهنة ومقاومتها، عن طريقة نقل مؤرخي العهود اللاحقة للحوادث مستخفين بشجاعتها ومقللين من شأنها وبطولتها لأنها وقفت في طريق الملوك، وتصوير مقاومتها وكأنها طيش وسوء تدبير، إمعانا في الازدراء، عوض أن ينظر إليها أنها كانت تقاتل بدافع حماية الوطن، "فبعض المؤرخين القدماء يحلو لهم أن يضعوا من شأن البربر والمغرب وإن اضطرهم ذلك إلى الأكاذيب التي يحرمها الإنسان المنتسبون إليه!! وترى كثيرا من المؤرخين الأوربيين المغرضين يبالغون في هذه الأكاذيب وينقلونها ليبثوا بها العداوة والبغضاء في المغرب، وهو شعب واحد قد مزج الإسلام دماءه..." [1].

يعتبر المؤرخ محمد علي دبور التاريخ أكبر وسيلة للتربية العقلية والخلقية، وأعظم عامل يحرك الشعوب وينهضها، ويدفعها إلى أسمى الغايات، وهو أقوى مطهّر للأمم من أمراضها فلذلك حرمه الاستعمار على شعوب مستعمراته، وقد حكى عن تجربته الشخصية في التدريس وما يجري من حين لآخر من تفتيش للمدارس الحرّة ومتابعة مناهجها[2]، وقد حرّض بالخصوص على ربط المتعلمين من الناشئة بالفضيلة في تاريخ العظماء للقدوة والأمل للوصول إلى مصافّهم،

[1] - نفسه، ج2، ص 82.

[2] - نفسه، ج2، ص 9-12.

وحرص على أن تكون شخصية المربّي من تلك الطينة غير الانهزامية والمؤمنة بقضية أمتها[1]، ولذلك نرى الشيخ محمد علي دبوز، ينجز ثلاث سلاسل بعد تاريخ المغرب الكبير الذي توقف فيه عند القرن الثالث الهجري، على أمل أن يعود إلى تتمة الحلقات لاحقا، منتقلا إلى الحديث عن الأعلام والرجال الذين صنعوا الحراك الوطني ونفخوا الروح في الجماهير خلال الفترة الاستعمارية، وذلك في كتبه نهضة الجزائر الحديثة وأعلام الإصلاح والإصلاح والمصلحون في الجزائر، وهذا الأخير الذي أتم منه جزءا ولكنه لم ير النور لسبق سيف المنية إلى الشيخ[2].

قد كانت الفسحة التي فتحها التاريخ أمام المؤرخ والمربي المنتقي عنه أنفع الأخبار مهمة جدا من أجل بث الرسائل الإيجابية وتحفيز الناشئة للوعي أكثر بما يدور حولهم من الأحداث ويحاك ضدهم من المؤامرات، فيرفع بذلك سقف الإدراك والتيقّظ والخروج من دائرة السذاجة والغفلة، وقد رعى ذلك المعلم والمربي محمد علي دبوز واعتنى بذلك كثيرا، فكانت كتبه عبارة عن محطات يشد بها انتباه القارئ؛ فعلى سبيل المثال عند حديثه عن الكاهنة عرف بها وبالمرأة المسلمة والمغاربية ووضعها في مقامها اللائق بها، وجه خطابه إلى

[1] – نفسه، ج2، ص 23.

[2] – محمد ناصر بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، ط1، جمعية التراث، القرارة، (د س ن)، ص 25.

المرأة المعاصرة إلى "المرأة المغربية، احذري تلك المتفرنجات الجاهلات المتبذلات فإن الاستعمار الفرنسي في أدمغتهن وأخلاقهن، وهن قلاع ذلك الاستعمار الفرنسي القتال، يريد احتلالك ليقودك إلى المجزرة وإلى الجحيم! فانبذيهن بالقوة والبطولة التي جاهدت بها في معركة الحرية فبذت أشخاص المستعمر من أوطاننا"[1]، "إن المرأة هي الوريد الذي يحقنه الطبيب بما يريد أن يعم الجسم كله، وهي عروق الشجرة الخفية التي يجب الاعتناء بها أكثر لتصح الشجرة وتخضر وتمتلئ بالثمار"[2]، فالتاريخ هو "للتربية الصحيحة ولبث الروح القوية في الأمة، وإذكاء الحماس للمثل العليا"[3].

5. مصادر التأريخ عند الشيخ محمد علي دبوز:

اعتمد الشيخ دبوز مصادر متعددة في مادته وقد ارتحل من أجل ذلك كثيرا فأمضى فترات مهمة بين خزائن الكتب في الجزائر وتونس ومصر، واجتهد قدر المستطاع للوصول إلى المادة الأقرب إلى عين الحوادث، وكان المشوار صعبا وشاقا في ظل توفر مادة لكنها ألّفت على هوى ودين ملوك أصحابها، وقد ضرب المؤرخ المقتدر مثالا عن القرون الثلاثة الأولى الهجرية، إذ "إن الطريق في هذه العهود

---

[1] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، المصدر السابق، ج2، ص 84.

[2] – نفسه، ج2، ص 165.

[3] – نفسه، ج2، ص 32.

مطموس، والسبيل غير معبدة، وأغلب الذين كتبوا في تاريخ المغرب من المحدثين قد اغتروا بالمصادر الملوكية فرددوا أغلاطها! فعلي أن أكتب في تاريخ المغرب أبوابا جديدة معتمدا على المصادر الصحيحة، وأسلك فيها طريقا غير معبدة، وآتي بشيء لم أسبق إليه مستعينا فيه بنتاج من مضى.."[1].

كان الشيخ دبوز ممتهنا لمهنة المؤرخ بشكل منقطع النظير فكان بعد جمعه لمادته من مصادرها المختلفة يقوم بتمحيصها وغربلتها قبل أن يحرر النصوص، ويبدو تحليله ورؤيته واضحين من خلال الترجيح والمقارنة، وخصوصا وأن أحكامه كانت واضحة منذ البداية فيما يتعلق بخلفية المؤرخين وزاوية تناولهم للأحداث فيفرزهم ما بين مؤرخ يكتب وفق هوى الحكام، ومؤرخ دون أهواء سلطانية، إذ كان يرى أن "المؤرخين القدماء قد ظلموا المغرب ظلما فظيعا، وذلك لأن ما كتبوه ووصلنا كان بدافع من الملوك الأمويين والعباسيين الذين عملوا كل وسيلة لتشويه صفحة البربر الذين ثاروا عليهم، واستقلوا، وكوّنوا دولهم العظمى حتى لا يقتدي بهم غيرهم من النواحي..." [2]، فكان لا يطمئن لما يقرأه فيتدخل فيها بالاجتهاد مرجّحا في مواضع كثيرة ما يراه صائبا؛ ففي نقل بعض أخبار حسان بن النعمان والغنائم نقرأ:

---

[1] - نفسه، ج2، ص 34.

[2] - نفسه، ج2، ص 246.

"الصحيح هو أن الذي أخذ من حسان هو عبد الله بن مروان في عهد الوليد، وأرى أن ما ذكره ابن عبد الحكم هو ما أرسله حسان إلى عبد الملك في سنة 81هـ من خمس السبي والغنائم في فتوحه فتعرض له عبد العزيز. إذا كان مائتا جارية هو كل السبي كان ما سباه حسان ألف رأس فقط فأين ألفه من ثلاثمائة ألف التي سباها موسى، .." [1].

أبدى الشيخ دبوز أيضا رأيه من الكتّاب المحدثين الذين يكتبون عن تاريخ المغرب، وانتقد فيهم افتقادهم للروح العلمية وحضور الشخصية في نقلهم واعتمادهم على كتب العهود الماضية، إذ كان "بعض المؤرخين المحدثين المغاربة يثقون بهذه المصادر الملوكية فيقلدونها، ويغرفون منها دون تمحيص، فيعقون أجدادهم، ويأتون بالضحكات في كتبهم، ويزدرون بأنفسهم.." [2]، بل رأى فيهم التحيز والانسياق في أنفاق العصبية بمختلف أنواعها؛ إذ "إن بعض المؤرخين الذين تخلقت في نفوسهم عقد موروثة مزمنة بالدعاية العبيدية والملوكية استمرت عشرة قرون في كل براعة وحماس ضد الدولة الرستمية الجمهورية، قد حصروا نظرهم في العاصمة لما كتبوا عن فتنها، فرأوها مشحونة بالغضب الذي يشعله فيها العباسيون، وتمور بالفتنة

[1] – محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، المصدر السابق، ج2، ص 142.

[2] – نفسه، ج3، ص 60.

التي بثها فيها الملوكيون."[1].

يمكن تقسيم المراجع التي اعتمدها في تاريخ المغرب الكبير ما بين مصادر مشرقية وأخرى مغربية ومراجع حديثة، وكان جهده واضحا من خلال جملة الكتب التي راجعها واعتمد عليها، في تلك الظروف التي تفرض التنقل والمكوث الطويل من أجل الحصول على المعلومة المطلوبة، فقد استفاد من أكثر من خمسة وسبعين مؤلفا من ثلاثة عشرة مؤلفا مخطوطا، من بينها:

من المخطوطة : كتاب السير لأبي العباس الشماخي، وتاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير، وتاريخ افتتاح الأندلس أبي بكر محمد بن عمر، وفتوح المغرب لمجهول، وطبقات المشايخ للدرجيني..

ومن المصادر المغربية: البيان المغرب لابن عذارى المراكشي والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي وديوان العبر لابن خلدون..

ومن المصادر المشرقية: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، ونهاية الأرب للنويري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ومروج الذهب للمسعودي..

وكان صاحب تاريخ المغرب الكبير يخصّ بعض الكتب التي اعتمدها بملاحظاته وتقييماته؛ فعن كتاب المسالك والممالك لأبي

[1] - نفسه، ج3، ص 422.

عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، فقه وصفه أنه "أجل كتاب وأصدقه في جغرافية المغرب المغرب وتاريخه..." [1].

كان اهتمام الشيخ كبيرا في الفترة اللاحقة للاستقلال وبعد نشره للأجزاء الثلاثة الأولى من تاريخ المغرب الكبير، والتي يعود انجازها في واقع الأمر إلى الفترة الاستعمارية، منصبا على الأعلام، خدمة للرؤية الآنفة الذكر، وكذلك لعامل مهمّ وهو وجود جملة الأعلام الذين أبرز شخصياتهم في كتابيه اللاحقين في متناول ذهنه وكان افتتاحه بمن كان على قيد الحياة لئلا يفلتوا منه، إذ اعتبرهم المصدر المباشر لمعلوماته، وفقْد أحدهم يكلف الكثير من العناء في البحث عما يثلج صدر المؤرخ ويريح ضميره، فظهر الشيخ وكأنه يسابق الزمن ليتمكن من إنجاز سير للأعلام الذين كانوا سببا في نعمة التحرر من العبودية الفكرية فالعسكرية [2].

اعتنى المؤرخ محمد علي دبوز الاعتناء الفائق بمصادر المعلومة فكان شهود العيان أول مادته في كتابيه نهضة الجزائر الحديثة وأعلام الإصلاح، إذ كان يجتمع بالأعلام فيأخذ عنهم تاريخ الاصلاح وتاريخهم وتاريخ زمانهم الذي نشأوا فيه...' كما يسأل عنه غيرهم من الأعلام الثقات العارفين، وأنصار الأعلام وتلاميذهم من الثقات

[1] – نفسه ، ج3، ص 246.

[2] – محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج1، ص 10.

الحافظين[1]، فكان يجتمع بهم لساعات طويلة دون ضجر أو ملل، خصوصا وأنه اعتمد كثيرا على آلة التسجيل الصوتي، فكان يهتم بما يقوله ويتوسع في طرح الأسئلة، ثم يختلي لفترات طويلة أخرى ينزل فيها المادة المسموعة كتابة وتنقيحا، ولذلك كان الجزء الواحد من كتبه مختصا بعلم أو علمين على الأكثر، وهو يرى في ذلك خدمة للناشئة ولو اهتم بأدق التفاصيل التي لا تبدو ذات أثر يذكر، فهو يرى أنها لا تخلو من فائدة، ومن بينها "أن الحديث عن الصالحين عبادة وقربة إلى الله"[2].

يعد نتاج الشيخ محمد علي دبوز الفكري، من أهم ما تركه لدى تلامذته وقرائه، ودوّنه في تآليفه وكتبه المنشورة، أو المخطوطة في كراريسه التي تنتظر النشر، وهذا بعدما جال وسافر كثيرا للوصول إلى الوثائق والحقائق، حذرا مما دسّته أقلام الاستعمار من التشويه في الوقائع التاريخية، فبدأ الشيخ بدراسة التاريخ دراسة مفصلة معمقة، غير مقتصر على وقائع عصره، أو رقعة وطنه الجغرافية؛ وانطلق في أعمال التصحيح من خلال دروسه التي كان يلقيها على تلاميذه لمّا كان أستاذا بمعهد الحياة بالقرارة، ثمّ تفرّغ للتدوين والتأريخ لتلك الحقائق في قالب اختار أن يكون أدبيّا بألفاظ سهلة، وعبارات

[1] - نفسه، ج1، ص 12.

[2] - نفسه، ج1، ص 14.

تضـع القارئ في راحة ومتعة.

6. المقاربة الاصلاحية الوطنية في كتابات الشيخ دبوز

لقد كان الشيخ محمد علي دبوز من كتّاب المدرسة الإصلاحية، الذين ينتصرون للورقة والقلم باعتبارهما أداة جهاد وكفاح، فهو يرى إلى الكتابة بمنظور إسلامي وطني، أي أن حامل القلم يعادل حامل السيف أو البندقية في الجهاد ضد الأعداء، فغدت الكتابة عنده أمرا واجبا أداؤه وأمانة وجب الحفاظ عليها وتبليغها للأجيال. ومن هنا روّض الشيخ قلمه السيّال فاتخذه لسانه الذي يعبّر عن معاناته وإحساسه تجاه مجتمعه وأمته، فسعى في إصلاح كلّ ما أفسده المعتدون، وهكذا كانت كتابات الشيخ دبوز دائما تحمل هدفا ومقصدا، يبين من خلالها المنهج الإسلامي الواضح لتربية الجوانب الأساسية في شخصية النشء المسلم، بأسلوب يستوعبه الصغير والكبير على حدّ سواء.[1]

وكان نشر الشيخ دبوز لمقالاته في مجلة الشباب ذات التوجّه الإصلاحي هو أوّل عهد له بالنشر، والفضاء الأول التي تعلّم فيه الشيخ دبوز فن كتابة المقال، وهي مجلة أسبوعية تصدر كلّ خميس عن تلاميذ معهد الحياة [2]. وقد تأثر هؤلاء التلاميذ في مجلتهم هذه

[1] **إبراهيم بيوض دبوز**: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، مطبعة عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 62.

[2] تنجز أعداد هده المجلّة في حصة جمعية الشباب وفيها يتعلم التلاميذ أيضا فن الخطابة

بمختلف المجلات التي راجت آنذاك وذاع صيتها مثل: "مجلة الرسالة" للشيخ حسن الزيات، وكذاك "مجلة الثقافة". وهذه الصحف من الوسائل التربوية الكبرى في معهد الحياة، ومن «... مجلات التدريب والتمرين المهمّة، وإنها لتربية العقول، وتمرين الأقلام...»[1]. وفي مجلّة الشباب تدرّبت جماعات من الكتّاب ولمع فيها قلم الشيخ دبوز إلى جانب عدد من زملائه،[2] فكان بفضل إسهاماتهم في مجلة الشباب والتمرن فيها، أصبحت مقالاتهم بعد ذلك تنشر في مختلف الصحف الجزائرية، وتتسابق دور النشر للحصول على نتاجهم.

ولقد نشرت مجلة البصائر الإصلاحية - لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- مقالات الشيخ محمد علي دبوز طيلة فترة امتدّت ما بين 1948م و1955م، فكان المشرفون على هذه المجلة لا يقبلون إلا الأعمال والمقالات التي تكون مكتوبة باللغة العربية الفصحى السليمة، وبأسلوب راق جداً، وتحمل و موضوعا ذا أهمية

والمناظرة، ثمّ تحوّل اسمها إلى "مجلة الحياة" التي تصدر أعدادها كل سنة، ولا تزال تصدر تحت إشراف معهد الحياة وجمعية التراث، للمزيد انظر: محمد ناصر: **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ**، دار البعث، قسنطينة ص 27و 36.

[1] **إبراهيم بيوض دبوز**، المصدر السابق، ص 63

[2] من أمثال هؤلاء نذكر: الشيخ عدون بن بالحاج، والأديب حمو بن عمر لقمان، وعلي معمر، ومحمد علي دبوز، وأحمد بن عمر، والأخضر السائحي الكبير، وإبراهيم بن يحي الحاج أيوب، وحمو بن عمر فخار، وصالح خرفي، وغيرهم كثير. للمزيد انظر إبراهيم بيوض دبوز: المصدر السابق، ص 63

بالغة، تعجب القارئ وتستهويه، فكانت هذه الشروط وغيرها هي من ميدان واختصاص محمد علي دبوز، فقد شارك بقلمه الأصيل ضمنها في نشر عدة مواضيع على شكل مقالات[1].

ومن بعض أعماله المنشورة نذكر تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي نشرها في مجلة البصائر في سلسلة طويلة من المقالات[2]، التي لخّص فيها فصولا من كتاب الشيخ الجيلالي؛ وقد بين فيها فوائد جمة، وعرض للقرّاء صورا ومشاهد من الماضي المشرق الذي كانت تعيشه الجزائر، حتى أصبحت محل إعجاب العالم كله، وبيّن أيضا الكنوز التي تزخر بها الجزائر من ثروات قيمة وعلماء فطاحل، وجب الاعتناء بهم، والسير على دربهم حتى نعيش حاضرا راقيا، ونؤسّس لمستقبل مشرق، لا يقلّ عما عاشه أسلافنا الأماجد.[3]

وكان الشيخ دبوز يسعى لإعطائنا صورة عن البيئة الاجتماعية الراقية التي كان ينعم فيها أجدادنا ومن قبلهم، لتأخذ الأجيال اللاحقة كل مفيد مما خلفه أسلافهم من تراثهم، سواءً في القيم والسلوك أو من المواقف والقصص ومن آثرهم الأدبية والفكرية نحو الحياة في

---

[1] محمد صالح ناصر، **مشايخي كما عرفتهم**، دار الريام، الجزائر، 2008، ص160

[2] البصائر الأعداد: 312. 313. 315. 317. 319. 321. 322. 323. 227. 328،

[3] محمد ناصر، **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ**، المصدر السابق ص 39و ص84 وص92

كل المجالات، فمن خلال ذلك نستطيع أن نرسم حاضرنا وفق تجاربهم وما وصلوا إليه، لنزيد في التطور والارتقاء أكثر[1].

انتقل الشيخ محمد علي دبوز من مرحلة تحرير المقالات التاريخية ونشرها في الصحف والمجلات في الثلاثينيات إلى منتصف الأربعينيات من القرن الميلادي الماضي. وكما سبقت الإشارة من قبل فقد تفرّغ الشيخ للبحث والتأليف منذ عودته من القاهرة بعد إكمال مساره الدراسي، وانضمامه إلى الأسرة التربوية لمعهد الحياة استجابة لدعوة شيخه الإمام إبراهيم بيوض، فأسندت إليه المواد التي تخصّص فيها في دراسته الجامعية بمصر لتدريسها بالمعهد منها التاريخ الإسلامي العام وبالأخصّ تاريخ الدولة الرستمية والمغرب الكبير، وتاريخ الدولة العثمانية في المشرق والمغرب وتاريخ المغرب الكبير من القديم إلى المعاصر[2]. لقد بدأ الشيخ محمد علي دبوز بالاعتماد على نفسه في اختيار الدروس والمحاضرات، وكتابة ملخصات لها، « بأسلوب أدبي راق يزيد للتاريخ وضوحا...، فاستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس، فتكوَّن منها كتاب هو الذي أقرّه المعهد في تاريخ المغرب.»[3]. فقد ظل في معهد الحياة على هذه الحال قرابة ثلاث

---

[1] محمد ناصر بوحجام، المصدر السابق، ص28-30.

[2] **إبراهيم بيوض دبوز**، المصدر السابق، ص 41- 43

[3] **محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، المصدر السابق**، ج2، المصدر السابق، ص28

وثلاثين سنة[1].

لقد كان موضوع نهضة الجزائر من أهم الجوانب والمواضيع التي اهتم بها الشيخ محمد علي دبوز، فقد سعى ليبيّن لقرائه من الجيل الجديد أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى نهضة الأمم وتطورّها أملا منه إلى تغيير وضع الاستعمار المكرّس لانتشار الجهل والخرافة إلى الأحسن، وقد بدأ الشيخ دبوز التأريخ للنهضة من خلال كتابه "نهضة الجزائر وثورتها المباركة" حيث تناول أسباب قيامها وأبرز العلماء العاملين في مختلف ربوع الجزائر، وتحدّث عن جهوده المعبّرة من أجل للحصول على المعلومة التاريخية وتدقيقها من أصحابها وإدراكهم قبل الوفاة، أو من وثق به من تلامذتهم وأقربائهم. وقد استهلّ حديثه في هذا الفصل بمدخل عن تاريخ الجزائر، ثمّ تكلم عن فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وختمه بأسباب قوة النهضة في كامل الجزائر وشموليتها[2].

وقد تناول الشيخ دبوز في الجزء الأول من كتابه أسباب قيام النهضة وأبرز علمائها في مختلف ربوع الجزائر، مثل الشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ عبد الحليم بن سماية، والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، وكان في هذا الجزء قد خصّص جانبا للحديث

[1] محمد صالح ناصر، **على درب الصالحين**، محاضرة بمركب المنار, الجزائر 2013

[2] **محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المصدر السابق، ج1، ص 1-147

فيه عن نهضة الجنوب بمزاب، بدأها بلمحة جغرافية حول المنطقة ثم أصل سكانها، وتحدث بالتفصيل عن الجوانب المهمّة لحضارة مزاب في جانبها الديني ونظامها الاجتماعي ونسقها العمراني وبعض القوانين المميّزة للمنطقة مثل نظام الولاية والبراءة، وذكر أيضا الشخصيات المهمّة في المنطقة وكذلك التي ساهمت في حركة النهضة والإصلاح في كامل قرى مزاب [1].

أما عن الجزء الثاني من كتاب نهضة الجزائر الحديثة، فقد تحدث الشيخ دبوز عن العوامل الداخلية والخارجية لنهضة الجزائر، والتي ركز فيها على النقاط التي أثرت في النهضة ودعمتها منها الدور المهم الذي أدّاه العلماء والشخصيات الإصلاحية في مختلف المعاهد والمدارس والزوايا والمساجد، وهو النشاط الدعوي الحماسي لنشر العلم ونبذ الجهل والضلال وقد ركز على بعض الشخصيات وفصل في تاريخها مثل الأمير خالد والشيخ عبد الحميد بن باديس وغيرهم الكثير [2].

وقد تطرّق من ضمن عوامل النهضة إلى دور الإعلام الهادف المتمثل في الصحافة الوطنية مثل جريدة "الحق" الأسبوعية (1893م-1894م) الصادرة في عنابة التي أنشأها سليمان بنقى وعمر السمار

---

[1] **نفسه**، ج.1، ص 149-286

[2] **محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المصدر السابق، ج1، ص 7-8/ص54-297

وخليل قائد العيون، وصحيفة "المنتقد" التي ترأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس[1]. وكان من ضمن العوامل أيضا تلك الرحلات العلمية إلى تونس منذ القرن19 إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ودور هؤلاء الطلبة المتخرجين على سير النهضة الحديثة بالجزائر[2].

أما الجزء الثالث من هذا الكتاب فقد ركّز على نموذجين للنهضة بجنوب الجزائر؛ حيث بدأ بنهضة مدينة القرارة حيث ذكر أسبابها وأهم روّادها على رأسهم الامام الشيخ بيوض، وعرّف ببعض المؤسسات التي كان لها الدور الفعال في نشاط هذه النهضة مثل معهد الحياة، ثمّ خصّص القسم الثاني لنهضة الأغواط وفصّل كذلك فيها مثل ما فعل مع النهضة في القرارة[3].

أمّا كتابه "أعلام الإصلاح في الجزائر" فهو تكملة للكتاب السابق" نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" لكن الشيخ ركز في كتاب "أعلام الإصلاح في الجزائر" على حياة هؤلاء الرواد للحركة الإصلاحية والنهضة الحديثة في الجزائر وسيرهم وأهمّ الآثار التي تركوها والأسباب التي كانت وراء نبوغهم، وقد حرص المؤلف على كتابة ذلك التاريخ من ألسنة أصحابه قبل وفاتهم، أو رواية عن

---

[1] نفسه، ج.1، ص 12-19

[2] نفسه، ج.1، ص 20-28

[3] نفسه، ج3، ص 1-269

أصدقائهم وتلاميذهم أو عن أقربائهم الثقاة، وذلك بهدف جعل ذلك التاريخ للقدوة الحسنة وللموعظة والمعرفة لينشّأ عليه جيل مستقيم[1].

ويعتبر كتاب "أعلام الإصلاح في الجزائر" بأجزائه الخمسة آخر ما أنتجه الشيخ محمد علي دبوز قبل وفاته يوم الجمعة 17 محرم 1402 ه/ 13 نوفمبر 1981م، فقد سلم إلى مطبعة البعث بقسنطينة ما يزيد من 100 صفحة من آخر ما ألّف وأوصى لتطبع إذا حان أجله، وإلاّ فسيتمّ الكتاب بحجم الأجزاء الأربعة السابقة، فقد كان أمله أن يواصل تأليف حلقاته المتبقية في تاريخ المشايخ ورجالات الأمة الذين هم رواد الإصلاح في الجزائر، لكن أجله كان أقرب.

وقد كان الهدف من وراء تأليف هذا الكتاب هو إبراز دور أعلام الإصلاح في نهضة الجزائر الشاملة المعاصرة والمهمّات التي أنجزوها، معتبرا أن النهضة هي ثمرة هؤلاء المصلحين في ظل استعمار مدمّر لمقوّمات المجتمع الجزائري بكلّ أنواع المسخ والتضليل في كلّ جوانب الحياة، والغاية من الكتابة في التاريخ والتراجم هو استخلاص العبر والمواعظ واستلهام القدوة من سير أعلام الإصلاح وما قدموه من إنجازات تفيد القارئ المربّي والمعلّم. وسعي الشيخ دبوز لحفظ هذا التراث ممّا تبقى من تاريخ هؤلاء الأعلام من صدورهم كان حثيثا، قبل أن يدركهم الموت، فيضيع

[1] **محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر**، ط1، عالم المعرفة،، الجزائر،2013، ج1، ص1-9

جانب مهمّ من حياتهم الخاصة ومن تاريخ الجزائر، ويعتبرهم الشيخ من المصادر الغنية والموثوقة التي وجب أن يلجأ إليهم قبل فوات الأوان [1]. وكم كان أسفه كبيرا لفوات بعضهم منه كالشيخ محمد البشير الإبراهيمي...، وكان محور اهتمامه في شخصياتهم هي العوامل التربوية التي كونت عبقريتهم ونشأتهم وأحوال شبابهم، إذ هي جوانب مهمة "وأسرار خفية تنسى، .. وهو الذي يجعلنا نأخذ بها فيكون لأمتنا دائما مثلهم، ما أشد حاجتنا إلى معرفة التربية الإسلامية العظيمة التي تمسّك بها أجدادنا فأنجبوا بها أعلام الاصلاح وكتائب عديدة من الصالحين المصلحين..." [2].

وكان الحافز لبذل الشيخ لكلّ هذه الجهود وتقديم هذه التضحيّات هو حبّه وشغفه بالعلماء المصلحين وهو الدافع الأهم الذي اكتسبه منذ طفولته عبر والده الذي كان دائما يحدثه عن عظيم ما قدمه هؤلاء المصلحين، ليرفع من همّته ويكون مثلهم، ومن أمثالهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ بيوض وغيرهم، فأصبح فيما بعد شديد التعلق والاهتمام بهم وبالبحث عن تاريخهم [3].

لقد بدأ الشيخ مرحلة البحث عن المادّة التاريخية لكتابه "أعلام الإصلاح في الجزائر" في1371هـ/1952م معتمدا على نفسه وماله في

---

[1] **محمد علي دبوز**: المصدر السابق، ج3، ص 1-269

[2] نفسه، ج1، ص10

[3] **تفسه**، ج3، ص10

الترحال والتنقل، وكان أول الأمر يدوّن بخطّ يده ما يسمعه من محدّثه في مجلس الرواية، ثم فضّل تسجيل الصوت، لربح الوقت ونقل تفاصيل كلامهم بأمانة ودقّة؛ لكن آلة التسجيل أتعبته كثيرا لثقلها أثناء نقلها معه أينما حل وارتحل في أسفاره للبحث، علما أنه كان يستعمل النقل العمومي، لم يكن يملك سيارة خاصة به. وكان معتمد الشيخ محمد علي دبوز في منهجيته في البحث والتأليف طريقة التقصّي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلّة، وتتبع كلّ مصدر موثوق يمكن أن يستفيد منه معلومة حول موضوع دراسته[1].

وكان الشيخ محمد علي دبوز بعد أن ينهي لقاءه مع أعلام الإصلاح أو ممن أخذ منهم الرواية التاريخية، يبدأ في المرحلة الثانية وهي نقل كل ما في الشريط إلى الأوراق، وهي عنده أصعب المراحل، إذ عبّر عنها بكونها « أصعب علي من التأليف في المواضيع الصعبة»، وقد يكون كلام بعضهم بالبربرية أو الدارجة، فيعيد صياغته بالعربية الفصحى، وقد أخذ منه هذا العمل الشاق ليالي وأيام، لما يتطلّبه من التركيز والسكون، وما يخلّفه من إجهاد في السمع والبصر والفكر. وفي مرحلة التحرير يعمد الشيخ في التأليف إلى التحليل التاريخي والاستنباط المنطقي، مضيفا إليه مسحته الأدبية والوجدانية[2]، وكذلك

[1] نفسه، ج1، ص10- 11.

[2] نفسه، ج1، ص11

حرصه الدائم على التأثير في القارئ بأسلوبه، كي يعالج أمراض المجتمع ويبين خطورتها، مبيّنا من كل حادثة ومشهد عبرا وفوائد تساعد في تكوين جيل صالح مصلح[1].

لقد استهلّ الشيخ دبوز الجزء الأول من كتابه بمدخل عن الوضع الذي كان سائدا في منطقة المغرب الكبير والجزائر بنظرة سريعة من العهد الروماني إلى الإسلامي، وما تعرّض له من اعتداءات صليبية، مبرزا فضل الدولة العثمانية على الجزائر، فقد تتبع مختلف الأكاذيب الاستعمارية على هذه الدولة فصحّحها، وأوصى بالحفاظ على تاريخ العثمانيين في الجزائر كإرث حضاري وتاريخي للجزائريين.

ثمّ عرّج على بعض السلوكات المذمومة للتصوّف المنحرف، وما أحدثت في الإسلام من فساد وجهل وجمود، ولم ينس الصحيحة والمعتدلة منها؛ حيث أثنى عليها وبيّن فضلها في ظهور بعض العلماء والمصلحين كالبشير الإبراهيمي الذي تعلّم في زاوية سيدي ابن علي بن شريف في شلاطة بجبال القبائل، ونبغ فيها وتلقّى الكثير من العلوم العربية والشرعية وكان متضلّعا فيها، وكذلك الشيخ العربي التبسي الذي تعلّم في زاوية خنقة سيدي ناجي، والشيخ بيوض الذي تعلّم في كُتَّابِ الشيخ محمد بن الحاج يوسف ثم في معهد الشيخ

[1] **محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ**، المصدر السابق، ص27-36

الحاج إبراهيم لبريكي. وكلّ تلك الجهود من الزوايا والمساجد والمعاهد هي التي حرّكت نفوس العلماء لينهضوا بوطنهم[1].

ثم بدأ في الكتابة عن بعض من أعلام الإصلاح في الشمال والجنوب، مبرزا نسبهم ومولدهم زمانا ومكانا وتنشئتهم، ومسار دراستهم وصفاتهم والعوامل المساعدة لنبوغهم وأهم الآثار والإنجازات التي خلّفوها[2].فقد استقبله كلّ من قصده للرواية من أعلام الإصلاح وذويهم في الشمال والجنوب. ومن أهم أعلام الإصلاح الذين ذكرهم المؤلف الامام الشيخ الحاج امحمد أطفيش، والشيخ العربي التبسي، والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والشيخ مبارك الميلي، والشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقظان وغيرهم[3].

ومن أهم معالم كتابة التاريخ المعاصر لدى الشيخ دبوز هو شموليته لمناطق واسعة من أرض الوطن من الشمال إلى الجنوب؛ فقد تعرض لمسيرة المصلحين في تبسة أقصى شرق الجزائر، حيث ركّز في الجزء الثاني من كتابه على سيرة الشيخ العربي التبسّي ودوره ومجهوداته في إصلاح المجتمع والوطن بعد عودته من مصر في

---

[1] **محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر**، المصدر السابق، ج1، ص15وما بعدها وص96 وما بعدها

[2] ،**نفسه**، ج، 1ص39-91

[3] **نفسه**، ج1، ص10- 11.

أكتوبر 1954م، وكذلك التحديات التي واجهها في ظل تواجد المستعمر الفرنسي الغاشم، وجهاده تزامنا مع قيام الثورة التحريرية المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954م [1]، في الجزء الثالث عرّج على الشمال القسنطيني ومسيرة أعلام الإصلاح فيها وتعرّض إلى مسيرة الشيخ مبارك الميلي ثم الشيخ محمد الميلي وقد ركز أكثر على حياة وإصلاح الشيخ محمد الميلي [2].

أما عن أعلام الجنوب فقد تناول بالدراسة مسيرة الشيخين إبراهيم بيوض وإبراهيم أبي اليقظان فقد ذكر فضائلهما وإصلاحاتهما منذ الجزء الأول واستمر إلى الجزء الثالث لأنهم من أكثر الشيوخ الذين أخذ منهم حظا وفيرا من التاريخ لذلك رأى بأنه عليه أن يكتبه كله ولا يختصر منه شيئا لأهميته، في حياة الشيخ إبراهيم بيوض ركز الكاتب على إصلاحاته المهمة في جانب التربية والتعليم وكيف كان أسلوبه في ذلك، أما عن الشيخ أبي اليقظان إبراهيم فتكلم عن جهوده مع طلبة البعثات العلمية داخل الوطن وخارجه وكيف كان ينظمهم ويرشدهم في الجانب الديني والتربوي والعلمي [3].

وقبل أن ينطلق الشيخ دبوز في الجزء الرّابع من كتابه بيّن سبب

---

[1] **نفسه**، ج2، ص10-75/79-279

[2] **نفسه**، ج3، ص9 وص72- 74وص 286

[3] **نفسه**، ج2، ص10وص75- 79وص279 وج3، ص9و72- 74وص 286.

عدم تكملته لحياة الشيخين مبارك الميلي وإبراهيم أبي اليقظان، إذ خصّص المؤلف كامل هذا الجزء حول الشيخ بيوض ونهضته الإصلاحية في القرارة ومزاب واعتبرها فترة الظهور والقوّة التي ستلفت الأنظار الاستعمارية وأذنابهم إليه، كما بيّن سبب تعميق دراسته حول الشيخ بيوض، في نقاط أهمها أن تاريخه هو تاريخ أمّة، فنهضته التربوية والتعليمية والاجتماعية والسياسية وما استغرقه في بناء أمته ليس للقرارة بل مزاب بأكمله، زيادة على كونه جلس إليه طويلا، وسجل تاريخه بالتفصيل، ونقله على كراسه وألّفه حرفيا[1].

وأهم مواضيع هذا الجزء من الكتاب كان عن جهاد الشيخ بيوض الإصلاحي، وخطبه المدوية في أوساط المجتمع، مبينا سر نجاحه الذي ركز على بلاغته وارتجاليته، وحسن بيانه واسترساله، وما أظهر نتيجته على أرض الواقع إلا المداومة والثبات طيلة ربع قرن، وكان ذلك دخولا حقيقيا إلى المعترك ومواجهة المفسدين والجامدين على ضلالهم. وينقل لنا محمد علي دبوز عن الشيخ أبي اليقظان تلك الأحداث التي اضطرمت نيرانها بين حزب الإصلاحيين الذي يتزعمه الشيخ بيوض، وبين المعارضين له، ومن يستغلهم، وقد بين أقسامهم وسبب معارضتهم له، بمنهج إسلامي دون ذكر أسمائهم. حيث عرض مختلف تصرفاتهم تجاه الإصلاح وقد زادت العقبات لهم ثباتا

[1] **محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح**، المصدر السابق، ج4، ص9-13

ورسوخا، بالرغم مما تعرضوه من القياد العسكريين، ومن قياد البلدة وحاولت القضاء عليه، وجمع لنا المؤرخ من تلك الأحداث ما يسع القارئين فهما لمجريات الأحداث في مزاب، وفي فصل آخر تحدث عن الحركة الانتقالية للشيخ بيوض بعد فرض الإقامة الجبرية عليه ومجريات الفتنة التي ظهرت بين بعض الشيوخ وانعكاساتها على البلدة وكيف تصرف معها الشيخ إبراهيم بيوض[1].

أما ما كتبه الشيخ محمد علي دبوز في الجزء الخامس من هذا الكتاب فقد بين فيه وأكد أنه لولا تلك الحركة النهضوية التي قادها مختلف العلماء في مناطق شتى من الوطن الجزائري، لما وجدت نار الثورة التحريرية وقودها، الذي هو جهودهم في محاربة الجهل خصوصا في الدين، من خلال فتح المدارس والمعاهد، وقد أظهر الشيخ بيوض جهودا في تسييرها، وكما كان يحذر الأولياء في خطبه، من إخراج أبنائهم منها، بل وأكثر من ذلك، فقد شجع على الدراسة في المدارس الفرنسية، وما أدت إليه من نتائج جيدة، من تحسن مستواها والإقبال إليه، والتفوق فيه، كما ربطت علاقات حسنة مع مديريها واستمالتهم إلى رجال الإصلاح. بل وقد دعا وحرّض على عمارة المناصب الحكومية، بعد أن كان يشاع عنها، أنها ترسيخ للاستعمار.

---

[1] **محمد علي دبوز**: **أعلام الإصلاح**، المصدر السابق ، ج4، ص21وما بعدها

وقد بين المؤلف في هذا الجزء اهتمام الشيخ بيوض بالجانب الاقتصادي في نهضته وإصلاحه فقد حث على إنشاء الشركات الاسلامية وإعمار البلاد بتنشيط الحركة التجارية، فظهرت نتائج ذلك بإنشاء شركة حفر الآبار الارتوازية لخبزي عيسى بن عمارة و شركة بوكامل عبد الله للنقل بين الأغواط ووادي مزاب [1].

وحتى يكون التاريخ نفعا خالصا للأمة، وسببا لوحدتها وتماسكها ونشر قيم المحبّة بين أفرادها، ليتماسكوا كالبنيان المرصوص بيّن الشيخ دبوز أنّ نشر الأخلاق الفاضلة للأجداد يستشفّ من خلال تراجمهم؛ فقد كانوا جسدا واحدا في حماية وطنهم من شرّ المستعمرين الحاقدين، متضامنين متحدين، لا اعتبار للتفاضل باللون ولا بالجهة ولا بالعنصر، إلا بمدى إخلاصهم للدين وولائهم للوطن، وهذا ممّا يوطد العلاقات في نفوس أبناء الوطن الواحد[2]. فتاريخ أجدادهم، إلياذة يحفظونها ويردّدونها، لأنها تبعث في نفوسهم الروح الوطنية والانتصار، وهذا ممّا يعزز الانتماء للوطن، ويزيد للعلاقة بين الوطن والمنتمين إليه متانة، وبهذا يكون لهم تصوّر واضح للمستقبل والمصير المشترك، في تناغم مع مكونات الأمّة وأهدافها[3].

وهكذا نخلص إلى أنّ الشيخ دبوز كان يرى أن التاريخ عامل

---

[1] نفسه، ج5، ص5-127

[2] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، المصدر السابق، ص11

[3] محمد ناصر بوحجام، المصدر السابق، ص47. 48

مهم لبعث الروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتوطيد العلاقة بينهم وبين وطنهم، فيستفيدون من تجارب الماضين، من خلال تحليل الأحداث، والتعليق عليها، واستقراء النتائج، فيتم بذلك تجاوز عقبات الحاضر بإسقاطها على وقائع الماضي «...لأن التاريخ للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة، فإذا خلا من هذه فهو قشور لا نفع فيه، وكلام غث لا فائدة منه...»[1].

ومجمل القول فإن ما يمكن ملاحظته من خلال كتابات الشيخ محمد علي دبوز بدون عناء هو سعة أفقه ونظرته الشاملة ونزعته الجامعة؛ فلم يحصر مجالات بحثه في منطقته الضيقة وحول بني جلدته فحسب، بل شمل كل الجزائر شمالا وجنوبا، وبل تاريخ المغرب الكبير أجمع، وقد نادى بالوحدة بين أقطاره مهما كان تمايز العرق أو اللون لساكنة هذا المغرب الكبير.

والمتتبّع لمؤلفات الشيخ عموما ولأبحاثه في التاريخ المعاصر خصوصا يحس بأن للمؤلّف أهدافا ومقاصد وراء كتاباته فهو يريد الوصول إلى إنعاش الوعي وإيقاظ الضمير بعد أن يشبّع بمضامين الهوية الحضارية الجامعة وبالمقومات الشخصية للأمّة والوطن.

إنّ ما عرف عن الشيخ من ارتياده المستمر والدؤوب للمكتبات العامرة بالكتب القيمة في الجزائر أوفي تونس أو في مصر، والعناية

[1] **محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر**، المصدر السابق،ج1، ص 10

بالبحث الدقيق عن كل مصدر مباشر للمعلومة، والمنهج النقدي الذي اتبعه في الكتابة التاريخية، مكّن الشيخ من توسعة آفاقه العلمية والفكرية، وبالتالي كوّن لديه قلما ملتزما، حرص من خلاله على تطهير تاريخ الجزائر خاصّة وتاريخ المغرب الكبير عامّة من النزعة العدائية للمستشرقين، وتحريره من النظرة الوصائية للمشارقة، وذلك بمعالجة الوقائع التاريخية بعد تمكّنه من مصادرها الأساسية ونقدها بالوقوف على جوانب الزيف والتأويلات الخاطئة فيها وتصحيحها.

إنّ الذي دفع الشيخ دبوز إلى التأليف في التاريخ المعاصر وهو حبه للعلم والعلماء منذ نشأته الأولى ومحاكاة تجاربهم وهم قريبو العهد بنا ولم يكن واقع حياتهم وطروف معيشتهم أفضل منا، ما دفعه إلى السير شمالا وجنوبا للبحث عن تاريخ هؤلاء الأعلام من صدورهم وإبراز دورهم في النهضة والإصلاح وليتخذهم الخلف قدوة وإسوة، لأن منطلقه في كتابة التاريخ كان للموعظة وللتأسي من خلال تجارب حياة مثل هؤلاء الأعلام المصلحين.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر**

1) دبوز محمد علي: أعلام الإصلاح في الجزائر، ط2، عالم المعرفة،، الجزائر،2013،ج1، ج2، ج3، ج4، ج5.

2) دبوز محمد علي ، **تاريخ المغرب الكبير**، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاؤه، ط1، القاهرة، ج1، ج2،ج3.

3) دبوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1969، ج1، ج2، ج3.

4) دبوز إبراهيم بيوض، **حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز**، مطبعة عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

5) ناصر بوحجام محمد: **مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز**، ط1، جمعية التراث، القرارة، (د س ن).

6) ناصر محمد ، **رمضان حمود الشاعر الثائر**، المطبعة العربية، غرداية، 1978.

7) ناصر محمد: **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ**، دار البعث، قسنطينة.

8) ناصر محمد صالح: **مشايخي كما عرفتهم**، دار الريام، الجزائر، 2008.

9) ناصر محمد صالح: **على درب الصالحين**، محاضرة بمركب المنار، الجزائر، 2013

المراجع

10) ساحلي محمد الشريف ، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر محمد هناد وآخرون، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002.

11) عبد الصادق علي، **الوعي وحركة التاريخ في سؤال الاستبداد عربيا**، نشر المنظمة العربية لحقوق الإنسان، د.ت.

12) المدني توفيق ، **جغرافية القطر الجزائري**، دار البصائر، 2009، الجزائر.

13) الميلي مبارك ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، طبع وزارة المجاهدين، الجزائر، ج1.

14) النوري حمو عيسى ، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، مطبعة دار البعث، قسنطينة.

15) Remaoun, H, Ghalem, M, **Comment enseigner l'histoire en Algérie**, CRASC, Oran, 1995.

- **المقالات**

16) بكلّي عبد الرحمن بن عمر، "لمحة من مزاب، ماضيه وحاضره"، **جريدة النور**، الأعداد 32 إلى 39؛ 51 وبعده، ابتداء من 10 ماي 1932.

17) عبيد محمد، "التّأريخ الجزائري تقييم ونقد حالة الجزائر العثمانية"، **مجلة إنسانيات**، ع 47-48، crasc وهران، 2010..

18) غالم محمد: "المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية"، **مجلة إنسانيات**، ع 65-66، crasc وهران، 2014.

19) لونيسي براهيم ، "الكتابة التاريخية عند رجال الحركة الاصلاحية وأهدفها"، **مجلة الحوار المتوسطي**، سيدي بلعباس، ع 3، 2012.

- **المواقع الإلكترونية**

20) صفر أحمد /http://www.mawsouaa.tn

21) www.britannica.com. "History", in Encyclopædia Britannica,

22) www.thoughtco.com. K. Kris Hirst 2017, "What Is History? A collection of definitions"

منهجية التأليف عند محمد دبوز في موسوعة " تاريخ المغرب الكبير"

د. عبد القادر العربي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة

مقدمة :

لقد سُررتُ كثيرا وأثلج صدري أن يُقام للشيخ " محمد علي دبوز" ملتقى علميا لهذه القامة الشامخة الراسخة في البحث والعلم، اعترافا بفضله وجهوده وتعريفا للناشئة به وبأعماله وآثاره، فالأمم الحية هي الأمم التي تُكرم رجالها وتعترف بفضلهم وأثرهم لأنهم بناة حضارة وفكر، كما أنهم حملوا مشعل الثقافة التي أنارت العالم كله، وكان لها قصب السبق في تقدم الحضارة الإنسانية، والكريم هو الذي يعرف حق العلماء وقد قال الشاعر قديما :

إذا أنت لم تعرف لذي السن فضله

عليك فلا تنكر عقوق الأصاغر

وهذا يعدّ من أبهى صور الوفاء والاعتراف بالفضل في زمن قلّ فيه الأوفياء، وندر فيه من يرى لغيره فضلا عليه، فكم في عصرنا من فاضل نبيه طوى ذكره عدم التنبيه فصار اسمه مهجورا كأن لم يكن شيئا مذكورا، وهذا ما عبّر عنه العلامة الجليل الدكتور الراحل شكري فيصل عندما قال " .. وما أشد ما أصبحنا نحتاج إلى خلق الوفاء بعد

أن تناكر الناس بعضهم لبعض وجهل بعضهم حق بعض .

إنّ هذا الوفاء الذي يمثله الحديث الشريف " ليس منا من يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا "أوشك أن يُنسى في خضمّ من نمو الذات وتضخم الأنا، وغلبة النظر الضيق للذات الفردية، الجيل الحاضر يوشك أن ينسى – إن لم يكن قد نسي فعلا – فضل الجيل الذي سبقه والجيل الذي يأتي يوشك أن ينسى فضل الجيل الحاضر، " و" الأنا " تعصف بالرؤوس والنفوس على حين أن التاريخ حلقات تتسلسل واحدة منها إثر واحدة، والمجتمع أجيال متعاقبة بعضها يلي بعضا، والحضارة لبنات متماسكة يتكون منها الصرح وليس لحلقة أو جيل أو لبنة أن تدعي لنفسها فوق الذي لها ". "1 "

وهذا مانبّه إليه علّامة المغرب "محمد بن الحسن الحجوي" عندما ترجم لنفسه في كتابه " الفكر السامي"، فقال " فليتنبّه إخواننا إلى الاعتناء بتراجم الرجال وإظهارهم مظاهرهم، فالأمة برجالها والسهام بنصالها، وليترجم الناس لأنفسهم بأنفسهم مادامت الأفكار معرضة عن هذه الواجبة، حتى لا تضيع حقائق من حياتهم ربما تتطلب فلا توجد وكم ضاعت من حقائق بإهمال هذا الفن لم يجد الأسف عليها شيئا، فليكن في عملي هذا تشجيع للناس على ترجمة أنفسهم وتنشيط على الاعتناء بهذا الفن المهمل، الذي يضيق المقام عن تعداد فوائده التي منها: إنّ الأمم لا تعتبر في مقام الحياة إلا بقدر ما فيها من الرجال وما يحسنون "

وهذا ما أدركه العلامة " عبد الله الجراري المغربي فقال ". إنّ قلة الاهتمام وفقدان العناية بتسجيل حياة علمائنا – لما يغلب على كتّابنا المغاربة ومؤرخيهم – يموت العالم أو الأديب ولا من يحتفل بتدوين حياته وتخليد تراثه العلمي، إذ بمجرد إقباره يصبح في خبر كان، ومن وراء هذه الظاهرة السيئة ضاع رجال ورجال كانوا أمثلة حية في جبين الدهر، رجال لو شملتهم العناية لكان لتراثهم الثقافي ونتاجهم العلمي ما يودّ قراء اليوم ومثقفو هذا الزمان تسجيله بسواد العيون" [1]

ومن هنا تأتي قيمة هذا الملتقى العلمي الذي يعتبر سنة حميدة في تكريم أعلام الأمة والتنويه بجهودهم والإشادة بأعمالهم، وهذا يعتبر امتدادا لما كان عليه أسلافنا من العلماء الأفذاذ الذين عرفوا فضل العلماء فكانوا يذكرونهم بالفضل والذكر الحسن والدعاء لهم والترحم عليهم، وكانوا يرون أنّ حق العالم على تلميذه مُقدّم على حق أبيه؛ لأنّ الوالد سبب في وجود الإنسان من حيث هو حيوان ولكن الشيخ في وجود التلميذ والطالب سبب في ارتقائه ورفعته وبلوغه الدرجة العالية عند الله عز وجل ثم عند الناس، ولذلك كان" أبو يوسف القاضي " يدعو كل يوم " لأبي حنيفة النعمان " قبل الدعاء لأبيه ؛ لأنّ " أبا حنيفة " أخرجه فجعله إماما للناس، وعليه يمكن لي أن أطرح الإشكالات التالية من هو محمد علي دبوز؟ إلى أي مدى كان دبوز موضوعيا في مناقشة بعض قضايا التاريخ في موسوعته تاريخ المغرب الكبير؟ ما غايات دراسة وكتابة

[1]- من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين " الرباط وسلا "، الجزء 2، ص 289 , .

التاريخ عند محمد دبوز؟ ما المنهج الذي اتبعه في جمع معلوماته؟ ما أهم الإشكالات التاريخية التي تناولها في كتابه؟ ما أهم المغالطات التاريخية التي حاول مؤرخنا تصحيحها خدمة للرأي و الشأن العام؟ ما أهم الرسائل التي وجهها دبوز للآخر غير الجزائري وما دوافع الكتابة عنده؟ كيف نظر إلى الوجود العثماني في بلادنا ؟

نشأة محمد علي دبوز :

هو محمد بن الحاج علي بن عيسى بن حمو بن داود بن امحمد بن منصور ابن ابراهيم دبوز، ولد ببريان عام 1337 هجرية / الموافق لفبراير1919 ميلادي، كان والده أول مؤدب ومعلم له في حياته، لقد سهر على تعليمه والاعتناء به وغرس في ذاته جميل العادات والأخلاق الحسنة ليشب عليها وينشأ في حضنها، أما والدته عائشة بنت يحي فقد ضرب بها مثال المرأة الجادة والمجتهدة في جدها وحزمها وعزمها وحيويتها، فورثت لنجلها هذه الخصال فكان نعم الولد مما جنبه السلوكيات غير الحميدة." [1]

دراسته وتعليمه:

نشأ الشيخ محمد علي دبوز بمسقط رأسه ببريان في أحضان أسرة محبة للعلم وأهله، وعلى عادة أهل ميزاب حرص والده الحاج علي على غرس قيم الإسلام الحنيف في ذات ولده، فبدأ بدراسة القرآن حفظا وتفسيرا على

[1]- خير الدين شترة، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، ج3، منشورات وزارة الشؤون اتلدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 462 ,

يدي الشيخ الحاج اسماعيل، أحد عزابة المسجد بتعيين من والده الفاضل، وفي عام 1928 م التحق بمدرسة القرية وفيها نهل من معين أساتذتها العلوم الدينية وتعاليم اللغة العربية الصحيحة من منبعها، فاعتنى به الشيخ صالح بن يوسف أبسيس الذي توسم فيه علامات النبوغ والتفوق فحرص على الاهتمام به لتفجير طاقاته الكامنة في البحث، وظل تلميذا له لغاية عام 1934 م أين يمم وجهه شطر معهد الشيخ بيوض العامر، ولأنّ القرآن هو أساس كل العلوم الدينية واللغوية وشرط أساسي لدخول معهد الشيخ بيوض، اجتهد محمد علي دبوز على في حفظه فحفظه وعمره ثلاث عشرة سنة، " ومع حلول عام 1934 م مكنه تحصيله العلمي من الالتحاق بمعهد الحياة في القرارة "[1]

وفيه درس على يد الشيخ بيوض الذي تأثر بشخصيته واتخذه مثله وقدوته العلمية لصفات وجدت فيه وندرت عند آخرين، كما تتلمذ عند الشيخ عدون والحاج محمد بن حمو الناصر، وكان في كل هذا مثالا للطالب المجتهد والمثابر والمخلص لدروسه، فدرس علوما شتى ومعارف عدة منها التفسير والحديث النبوي الشريف، وأصول الفقه والأدب العربي وعلوم البلاغة والنحو وغيرها من المعارف والكنوز العلمية .

دراسته في تونس :

1 – محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية " من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر "، الجزء 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 387 . [1]

مـع حبه وشغفه لطلب العلم" يمّم وجهه شطر تونس الخضراء كبقية أترابه في ذلك الوقت عام 1942م حتى يغترف من معين وبحر العلم فواصل دراسته بالزيتونة والمعهد الخلدوني والمدرسة الصادقية "[1]

فقد كانت تونس مقصدا لطلبة العلم لنهضتها وتنوع أساليب التربية والتعليم فيها، وذلك بتأييد من الشيخ بيوض ورعايته وتشجيعه،

غامر علاّمتنا محمد علي دبوز مـع نخبة من طلبة العلم بالسفر إلى تونس دون جواز سفر فكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل إلى تونس، ثم توافدت باقي البعثات العلمية المزابية من معهد الحياة العامر، مكث في تونس سنتين مرتحلا بين معاهدها ومكتباتها خصوصا المكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين، فنهل من معين درر كتبها ومن كنوز معارفها في مختلف العلوم والفنون .

دراسته في مصر :

بما أن ذاته تواقة لكل جديد في عالم المعرفة ظل يخطط ليلتحق بأم الدنيا وحاضنة طلاب العلم مصر الحضارة والتاريخ، فسافر إليها وكله رغبة كامنة في تحصيل العلوم والمعارف هناك ما فتئ يذكر مصر في مخيلاه وكتاباته، إلى أن وفقه الله لولوجها عام 1944 م، وما إن حل بها حتى بدأ في البحث والتنقيب عن أفضل مكتباتها وأغزرها مراجعا ومؤلفات مفيدة فصار

[1] – خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900 – 1956 م، ج1، دار كردادة، الجزائر، 2013، ص 444 .

يقضي ليله ونهاره معتكفا على مطالعة كل ما وجده في طريقه من درر علمية وآثار تاريخية، وقد سبق سمعه أخبار علمائها في شتى الفنون والعلوم كطه حسين، والعقاد وأحمد أمين وأنور الجندي وزكي مبارك وغيرهم كثير، إذ سافر إلى مصر مشيا على قدميه وكله شغف ببلوغ أرضها الطيبة، ولجأ إلى حيلة وهي التنكر في زي أعرابي ووصل مصر بعد مدة شهر من التعب والإرهاق، فالتحق بجامعة القاهرة ورابط بدار الكتب المصرية كقارئ نهم وطالب علم متشوق للقراءة والاستفادة من الكتب، فأصبح الكرسي رقم"61" ملازما له ومعروفا به وعلامة خاصة به كجزائري، وتخصص التاريخ والأدب ونال كفايته منهما، بعد مرحلة التكوين الجيد أنهى دبوز رحلته العلمية التي سعى فيها لتطوير معارفه العلمية وتوسيعها، فعاد إلى مسقط رأسه أين حظي باستقبال ضخم، وأقيم له حفلا كبيرا وفرح به كل المجتمع الإباضي خصوصا شيخه" ابراهيم بيوض" كونه من أوائل الطلبة الذين تحصلوا على شهادة علمية من خارج الوطن، وما فتئ يستريح حتى عيّنه شيخه مُدرّسا لمادتي الأدب والتاريخ، فساهم بقسط وافر في تطوير برامج الدراسة بالمعهد بإضافة مواد جديدة كعلم النفس والتربية والمنطق وتاريخ المغرب الكبير[1].

وفاته:

ظل الأستاذ محمد دبوز مخلصا في رسالته العلمية وتحمّل أمانة التربية

[1] – محمد صالح ناصر، مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 2008 م، ص 159 .

والتعليم وكتابة تاريخ المغرب الكبير والجزائر بالخصوص حبا في شعبه وأمته ودفاعا عن شرف قومه ودرء كل الشبه عنه التي حاول الاستدمار الفرنسي أن يلصقها به، فما برح أهدافه الآنية ولا المستقبلية ووطد ذاته على خدمة أبناء وطنه والذود عن حياض أرضه بقلمه وبكل ما يملك، فقضى عمره في تربية النشء وتكوين الأجيال إلى أن أتاه الأجل المحتوم وانصرمت أيامه من الدنيا الفانية راضيا بما قدّمه للإنسانية ولوطنه ولتاريخ بلده ومرضيا عنه عند رب العالمين فكانت وفاته يوم الجمعة 16المحرم1402 هجري الموافق ل13 نوفمبر 1981 م بالعاصمة.

آثاره العلمية:

يعد محمد علي دبوز من رواد الفكر وأعلام الثقافة المتميزين عندنا في الوطن إذ عاهد الله والتزم أمام شيوخه بتسخير قلمه وفكره لخدمة بلده والدفاع عن مقومات شعبه الذي عاش ردحا من الزمن تحت سيطرة العدو الغاصب، فما وجد وسيلة لإنصاف أمته وشعبه إلا بالتصدي لكتابة تاريخ الوطن بأفكار متحررة وصادقة لا لبس فيها ولا تزييف لحقائق، إذ جمع مفكرنا بين مواهب شتى قلما تجتمع في فرد فقد حباه الله بالتعليم وفاق أترابه فيه، ورزقه قريحة لتذكّر أحداث الماضي ومنحه منحة ربانية في قدرته على الكتابة والتأليف فكانت موسوعته " تاريخ المغرب الكبير "، هذه الموسوعة التي جاءت في ثلاثة أجزاء وبلغت صفحاتها أكثر من 1520 صفحة مدبجة بتواريخ تشهد على عظمة هذه الشعوب، لقد عانى الشيخ محمد علي دبوز في كتابة هذه الموسوعة التاريخية، وهي أمنية عمره الوحيدة

التي تمنى تحقيقها وهو على قيد الحياة فصدقه ورؤيته البعيدة لطبيعة الأشياء هي من كانت سببا في توفيق الله له في إخراجها مكتملة للمتلقي في كل بقاع المغرب العربي الكبير والعالم ككل، لقد بدأ الشيخ كتابة موسوعته بعد عودته من مصر التاريخ والحضارة عام 1948م وتنصيبه كأستاذ بمعهد الشباب "الحياة" مدرسا لمادة التاريخ الإسلامي والأدب العربي، إذ اهتم محمد دبوز بتاريخ الجزائر أيما اهتمام ليجلو حقائقه ويبين غوامضه ويكشف أسراره منقبا في المصادر القديمة والحديثة عن أطرافه وشعابه، وقد كانت بداية كتابته لهذه الموسوعة من خلال الرسائل التي كان يرسلها إلى شيخه أبي اليقظان، وأوحى إليه أنه مهتم بكتابة التاريخ، وتمنى أن يبدع فيه بأسلوب جذاب ويسير يفهمه الجميع من غير إيغال في الحوادث المختلف فيها وفي المسائل المتنازع فيها، إذا أثار دبوز في إحدى رسائله أنه بصدد إلقاء محاضرة أومسامرة على شباب " نادي جمعية الشباب " بإشراف المرحوم بإذن الله الشيخ " عدّون " في جنان " بستان " السيد " خبزي عيسى بن عمارة " بمدينة القرارة عام 1949، يحضرها يومئذ نخبة من المثقفين وكان قد دعا الشيخ " أبا اليقظان " لحضور هذه الجلسة العلمية وقد وسم محاضرته تلك ب " قطط المغرب " ومن ثم اهتم دبوز بكتابة المسرحية التاريخية التي تناول فيها رجال الإصلاح الأوائل مثل الشيخ " الحاج عمر بن يحي لمليكي " أستاذ الشيخ بيوض .

ما دواعي توجهه لعلم التاريخ دون سواه ؟

لقد كان لغطرسة الاستدمار الفرنسي وتشويهه لكثير من الحقائق

التاريخية المتعلقة بوطننا الجزائر سببا مباشرا جعلت الشيخ دبوز يتجه إلى الكتابة التاريخية، ليرد على تدليس المستدمر الفرنسي وردّ أغاليطه التي حاول تلفيقها حتى يمسخ وينسخ تاريخ الجزائر، فأخذته الغيرة الوطنية لتصحيح كثير من المغالطات التاريخية التي حرّفتها فرنسا وأذنابها بالجزائر، كتشويه وتحريف تاريخ الدولة الرستمية بالجزائر، لقد كان محمد علي دبوز مُجدّدا في ميدان دراسته للتاريخ منهجا وأسلوبا ووسائل تعليمية، فكان لا يلقي درسه على طلبته إلا بعد إعداد وتحضير جيد له وذلك بمطالعة الكتب والمصادر بعمق ورويّة وإعداد كل ذلك في خلاصات مُركّزة يلقيها ارتجالا بعد أن يُمحّصها ويُشذّبها لتصل للمتلقي صافية خالصة من كل شائبة، فقد رزقه الله فصاحة وبلاغة لا مثيل لها تجعل المتلقي مرتاحا لما يسمع من درر تاريخية، إذ كان يستعين في إفهام تلاميذه بالخرائط التي كان يرسمها بخط يده وبراعته، على اللوح الأسود يومئذ أو يُكلّف أحد طلبته الموهوبين في الرسم مثل ابراهيم مردوخ فلا يحين وقت الدرس إلا والخريطة تسبقه، ويكون هذا العمل خارج الحصص الرسمية حتى لا يضيع على التلاميذ حقهم في المعرفة، وعادة ما يُكلّف طلبته لإنجاز مثل هذه الأعمال في العطل المدرسية حتى يتفرّغوا لها ويُتقنوا عملهم ويتسابقوا في إنجاز الأفضل، كان محمد علي دبوز متميزا جدا في إلقاء درسه التاريخي على الآخر فلا يُقدّم درسا إلا والصدق عنوانه والحماسة والشجاعة ديدنه، والأسلوب المختصر المفيد والنافع هدفه؛ إذ له قدرة خارقة على ربط الوقائع التاريخية بواقع الناس

اليومي معرّضا تواريخ الزمن للمقارنة ماضيا وحاضرا، مما كان يزيد في دهشة تلاميذه وتتبع محاضراته بشغف وانتباه لا مثيل لهما، لقد وضع لتدريس مادة التاريخ منهجا وشروطا ذكرها في كتابه " تاريخ المغرب الكبير" إذ اعتبر تدريس التاريخ فنا يجب علينا إتقانه " إنّ التاريخ أكبر وسيلة للتربية العقلية والخلقية وأعظم عامل يحرّك الشعوب ويُنهضها ويدفعها إلى أسمى الغايات، وهو أقوى مُطهّر للأمم من أمراضها فلذلك حرّمه الاستدمار علينا وكاد أعداؤنا له، فترى أعداء العربية يتخذون كل وسيلة لصرفنا عن تاريخ رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وتزهيدنا فيه وترى البلداء الضعفاء الجهلة الذين سمّمهم الاستدمار وركبهم إلى غاياته وإلى قتل أمتنا، يرون من العصبية الاعتناء بتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم كل الاعتناء، وتخصيص أكثر ما يمكن من الحصص ومن الجهد لتاريخ دولنا الإسلامية وتاريخ أجدادنا ولعلّ الله يقي المغرب من هذه المذاهب الهدّامة ومن هذه الفئات الجاهلة المريضة، فإنها لعمرك شر من المستدمرين ومن الاستدمار اللاتيني الحقود الذي كنا في جحيمه "[1]

ما سبب تأليف موسوعته " تاريخ المغرب الكبير" ؟؟

لما عاد الشيخ محمد علي دبوز من قاهرة المعز إلى الجزائر عام

[1] – محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، الجزء 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 22

1367 هجرية الموافق ل 1948م وانتمائه لمعهد الحياة بالقرارة، عرض عليه مديره الشيخ " ابراهيم بيوض" فكرة التدريس به فأسندوا له مادة " تاريخ المغرب الكبير" فامتعض محمد علي دبوز من عدم وجود مراجع علمية في هذه المادة التاريخية الهامة وهو يرغب في تدريس هذه المادة على الروح التي يريد والأسلوب الذي ينبغي أن يكون حتى تفهم رسالته وتصل المعلومة لمتلقيها صافية نقية، فعكف على كتابة نصوص بهية بأسلوب أدبي راق ورائق يزيد التاريخ وضوحا ويكسبه لدى الطلاب طلاوة وحلاوة تحببه إلى النفوس وبه روح مؤثرة تجعله ذا آثار بالغة في الذوات فكان إقبال التلاميذ على تلك الخلاصات وانتشاؤهم بدراستها ورغبتهم فيها وتأثرهم بها أكثر مما انتظر الشيخ محمد علي دبوز، واستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس فتكوّن منها كتاب وهو الذي أقره ووافق عليه مدير معهد الحياة يومئذ وهي تزكية علمية لمجهود معتبر من باحث في تاريخنا بعمق يستحق الإشادة والتشجيع، وفي عام 1369 هجري الموافق ل 1950م عزم الشيخ محمد علي دبوز على كتابة شئ حول تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي وببحث علمي نزيه يليق بمطالعة مثقفينا، ويكون مرجعا ومصدرا لجامعاتنا ومدارسنا ويُصفّي أبواب تاريخ المغرب الكبير التي كدّرتها ودنّستها أكاذيب الملوك القدماء ودعايات الاستدمار الفرنسي وسمومه فصارت خطرا على المغرب ومنبعا للسموم التي تكدر صفاءه وتُفرّق جماعته وتمكّن الحساد

والدّسّاسين من بث الفُرقة والشقاق في مغربنا الحبيب، فانبرى محمد علي دبوز أعوام 1370 و 1371 وفي أوئل 1372 هجرية الموافق ل 1951و 1952 و 1953 م في كتابة مسودة الأجزاء الثلاثة الأولى من " تاريخ المغرب الكبير " وفكّر في طبعها لتعميم الفائدة مما جاء في ثنايا صفحاتها، لكن بقي في ذات المؤلف شيئا قبل دفعها للطباعة وهو ضرورة القيام بعملية مسح عامة لمراجع لم تبلغها ذاته ولم يكتب له الإطلاع عليها، ولذلك عزم على القيام بجولة علمية وبحثية في مكتبات الجنوب الكبير وصحرائنا الشاسعة فقد يجد ضالته المنشودة ويضيف ما غاب عنه من معلومات في بحثه السابق، وقد أكّد على كثرة وُجُود المادة العلمية البحثية في هذه المناطق من وطننا الحبيب لكنها تحتاج إلى أولي الأيدي والأبصار والصبر والأناة والدقة والرغبة في إبراز مدفوناتنا التاريخية وإظهارها للمتلقي عامة، ثم عزم على زيارة تونس الخضراء وصحبه في هذه الرحلة الشيخ " ناصر المرموري وإبراهيم مردوخ ومضيفهم الشيخ المفكر علي يحي معمر " ثم زار دار الكتب العربية بالقاهرة هذه الدار الحبيبة لقلب مؤرخنا والأثيرة عنده لما وجدهُ فيها من مُعاملة جيدة واعتراف جميل بفضل ماكان يقوم به خدمة لتاريخ الجزائر والوطن العربي، واتخذ محمد علي دبوز حيلة لدخول مصر والحصول على تأشيرة سياحية لها ففكّر في الحج حتى لا تحرجه شرطة الجمارك الحدودية وكان له ما أراد ودخل مصر منتشيا، وقبل دخوله مصر زار المكتبة الوطنية بتونس ثم

المكتبة العبدليّة واطلع فيهما على كنوز كثيرة من وثائق حول المغرب الكبير، وفي القاهرة ولج إلى دار الكتب العربية وأسرع إلى كرسيه رقم 61 الذي بنى فيه ذاته يومئذ، في تلك الأيام الخوالي لمّا كان طالب علم بمعاهد مصر المحروسة، فصار ذلك المكان أعز عنده من أي مكان آخر حيث وجد أصدقاء كثر هناك كان قد تركهم بعد إنهاء مرحلة دراسته الأولى بالقاهرة " كالحاج عبد الهادي يس" رئيس قاعة المطالعة يومئذ و"عبد المنعم عمر" مراقب دار الكتب العربية وهناك توطدت علاقاته وصداقاته بقامات علمية وأدبية وفكرية بادلها الحوار والمعلومة مثل" كامل النحاس" وزير التربية في حينها و" أنور الجندي" والدكتورة " عائشة عبد الرحمن" المعروفة ببنت الشاطئ رحمها الله، و"محمد عطية الأبراشي" أديب مصر الشهير و"أبو اسحاق إبراهيم أطفيش" وزميل دراسته المفكر الشيخ " علي يحي معمر" و"عمرو النامي"، كما تعرّف على عمال مطبعة "عيسى البابي الحلبي" ووجد مساعدة كلية من الشيخ" امهني الليبي وآل حمودة القائد"، وبالقاهرة كان يزور أهل بلدته من الإباضيين بشارع "الدري" "بحي العجوزة" أمسية كل خميس وربما حضر هذه الجلسات الشيخ " ناصر المرموري" والكاتب المصري "أنور الجندي" رحمه الله، وقد أكد "محمد علي دبوز" في صفحات كثيرة من كتابه على أثر القاهرة في ذاته وتيسير طباعة كتابه الموسوعة "فكانت القاهرة هي المدينة التي آنس إليها

وأجد فيها نشاطا فكريا وأستطيع أن أعطي نفسي فيها للعلم "[1] .

ولذا طلب من القائمين على شؤون معهد الحياة عطلة طويلة المدى ليعود للقاهرة ويتفرغ لإنجاز موسوعته التاريخية على أحسن مايرام فكان له ما أراد فعاد إلى القاهرة مرة أخرى ليباشر تحبير ما تبقى له من أجزاء في موسوعته الخالدة، " ليزيد ما تكوّن عنده من نظريات جديدة ومعلومات طازجة ربما كانت غائبة عن ذهنه ولم تتلقفها يديه ولم تطلع عليها عيونه، وما يستفيده من مراجع جديدة قد تدخل إلى القاهرة فيتم طبع كتابه النادر في القاهرة لأنّ الطبع فيها أجود وحرية التأليف والنشر فيها أكثر مما في المغرب ككل " .

كما لا ننسى من كان له فضل كتابة ونشر هذه الموسوعة الرائعة والمفيدة وأوّلهم والد الشيخ محمد علي دبوز " الحاج علي بن عيسى دبوز " الذي أهداه الجزء الثالث من هذه الموسوعة قائلا له " إلى والدي العزيز وإلى كل مجاهد مخلص قارع الاستدمار في سبيل العربية والدين والمغرب الكبير، أبتي الحبيب لئن تجرّعت مرارة الاستدمار دهورا طويلة وعرفت سجن الاستدمار وجعلك الاستدمار الفرنسي مرمى سهامه ونكاله، لنضالك الثابت المخلص في سبيل العربية والدين في الجزائر فقد أصبحت تحسو والحمد لله حلاوة النضال وثماره الجنية، فرأيت علم الجزائر المسلمة العربية يرفرف فوق رأسك ويورثك كل نشوة وحبور ورأيت المدارس العربية الحرة

[1] – محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص 31 .

التي أنشأتها أنت وزملاؤك المجاهدون الأولون، منذ أربعين سنة وناضلتم وضحيتم فيها تؤتي أُكلها الناضج وتقدم أجيالا من أبنائها المجاهدين، الذين كانوا أوتاد الدين والعربية الراسخة في جزائرنا الحبيبة فبطل كيد الاستدمار الصليبي الحقود وانتصر الحق على الباطل، ورأيت تلك المدارس العربية التي ملأتنا بالحياة والنور لمّا زودتنا بالعربية والتربية الدينية الصحيحة نقدم للمغرب الكبير هذا الكتاب، فهو من ثمارك يا أبتي وثمار زملائك المجاهدين فلذلك أهديه إليك وإلى كل مجاهد مخلص غيور على العربية والدين في مغربنا الكبير "[1]

كما لاننسى فضل الشيخ " إبراهيم بيوض بن عمر" رحمه الله في الخالدين إذ أهداه الجزء الثاني من كتابه قائلا له : " أستاذي العزيز إنّ أحق من يهدى إليه أوّل كتاب عربي جزائري يطبع بعد استقلال جزائرنا الحبيبة هو انت لأنّك من المجاهدين المصلحين ومن أئمة نهضتنا الحديثة الذين أيقظوا الجزائر وأورثوها نضوجها فثارت على الاستدمار فاستقلت ومن العلماء الأعلام، الذين رسّخوا جذور الدين والعربية فيها فحاربت من أجلهما فنصرها الله، فإليك و إلى كل علمائنا العاملين ومجاهدينا المخلصين في مغربنا الكبير أهدي هذا الكتاب، وماهو إلا ثمرة من فرعك وشعاعة من شمسك وقطرات من السحاب الذي تصاعد منك أيها البحر الزاخر أدامك الله لمغربك

[1] – محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص 5 .

وللدين والعربية في أمتك "[1]

ولا ينبغي لنا أن ننسى أو نتناسى فضل الشيخ " إبراهيم أبي اليقظان " فله كل الفضل في نشر وطبع موسوعة تاريخ المغرب الكبير، فقد كان يزوده بالوثائق والصور وبعض المراجع النادرة والتراجم المكتوبة، وكا ن يوجهه بنصائحه العلمية المفيدة وملحوظاته الدقيقة عن الكتابة التاريخية ولهذا جاءت هذه الموسوعة في حلة قشيبة مزهوة بما فيها من معلومات ومعارف غزيرة حول مغربنا الكبير، لقد تظافرت جهود الخيّرين من أبناء مزاب مثل " الشيوخ إبراهيم بيوض وأبو اليقظان، وعدّون، وعبد الرحمن بكلي " في مساعدة محمد علي دبوز في إنجاز هذه الموسوعة الفريدة، وهذا التعاون قلمّا نجده عند النخب في باقي مساحة وطننا الشاسع لحاجة في نفوس أصحابها، إنّ هدف تأليف هذه الموسوعة الخالدة كما عبّر عنه المؤلف ذاته هو خدمة الإسلام ورضى رب العالمين فقد كان يطلب من شيخه " أبي اليقظان " إلى جانب المصادر والمراجع والصور الدعوة الصالحة في الصلوات والخلوات حتى يوفقه الله لإنجاز هذه الموسوعة وكان له ما أراد بفضل إخلاصه لله ودعاء أهل الصلاح له بالتوفيق .

مدرسة محمد علي دبوز التاريخية :

محمد علي دبوز من رواد تفعيل دور مفهوم التاريخ انطلاقا من

[1] – محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص 5

نقد النص وتحليله ودراسة بيئته وظروفه والعناصر المؤثرة فيه، وصولا إلى مقاربة الحقيقة على مساحة تفاعل مع عناصر النص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي لا يمكن فهم التطور بمعزل عنها متأثرا بصورة خاصة بابن خلدون في مفهومه لمسألة ربط الظاهرة التاريخية بحركة المجتمع في الزمان والمكان، اعتمد نهجا علميا موضوعيا ولم يلتزم بالمدرسة التقليدية التي أخذ منها ما يتوافق مع خصوصية الحدث التاريخي، وتصدى باحثا بمنطق الرؤية وليس بمنطق الرواية وكان على معرفة أنّ منهجه هذا سيستفز المتشددين، ومع ذلك فقد خاض هذه المغامرة متسلحا بمقولة "إنّ الحقيقة ليست مُرة كما يشيع المرجفون وهي ليست حُلوة وإنما ذات طعم خاص هو طعم الحقيقة"، فقد قامت مدرسة محمد علي دبوز على معالجة ثلاث إشكالات وهي المنهج والمؤرخ والمادة التاريخية .

1 – المنهج :

إشكالية المنهج في الكتابة التاريخية وتحديدا في مجال التاريخ المغاربي والإسلامي إشكالية معقدة وصعبة، ولعل العنصر الأخطر من ذلك هو المؤرخ الذي يسعى دائما إلى صياغة التاريخ وفق منزعه وتصوره ويشترك بذلك على قاعدة السببية مع ابن خلدون في مقدمته " التاريخ في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقة " .

ومما امتاز به منهج محمد علي دبوز التاريخي :

الإشكاليات التي تزخر بها موسوعته الثمينة إذ يُشكّل هذا اللون من المعالجة تحديا لموضوعية الباحث وعلميته وتجرده وهذا أمر قلما يصمد إزاءه الكثيرون، طرح محمد علي دبوز إشكاليات جريئة جدا ففتح آفاقا جديدة مخالفة للموروث، فبحث قضايا وناقش مسائل سكت عنها الآخر ولم يقترب منها لأسباب كثيرة، لكن مؤرخنا محمد علي دبوز أثارها رغبة منه في لفت انتباه القراء إليها للبحث فيها واستنباط أهم النتائج منها حتى لا نكرر أخطاء من سبقنا من المؤرخين، فلا بد من غربلة صفحات تاريخنا من كل دخيل، فقد بحث أستاذنا محمد علي دبوز المسائل المتسربة إلى الفكر التاريخي العربي والمغاربي على الخصوص، ومما يجدر ذكره أنّ لغة مؤرخنا كانت روعة في الأسلوب والتحليل إذ تترك لمساته الفنية أثرا في ذات المتلقي فتجعله يحلق في فضاء الأدب الجميل والكلمة المعبرة الأخاذة، وهذا أسلوبه الذي تعود عليه في مناقشة القضايا الهامة مع قرائه، فظل يجمع بين التحليل الموضوعي بالعبارة الملفتة للإنتباه ليغدو نصه آسرا يفرض سلطته على متلقيه، فهو يشجع التعامل مع النص بهذه الطريقة ليكتشف خباياه ويسبر أغواره، وكأنّي به يُعطي عاطفة دفء خالصة للنص فلا يكون جافا أو مُملّا وعندها لا ينجذب إليه المتلقي .

2- المؤرخ :

يعمل المؤرخ على تدوين الأخبار عن حوادث غابرة وتجميعها والقسم الكبير من المؤرخين ساهموا في إخفاء الكثير من الجوانب المهمة في التاريخ وتصريف الأخبار بما يوافق سياسة ما، أو جهة ما ، إنّ القسم الأكبر من المادة التاريخية عند المؤرخين الكبار أمثال الدينوري والطبري وابن كثير والمسعودي مأخوذة عن الكتب الإخبارية من الحقبة التي شملت الربع الأول من القرن الثاني الهجري حتى الربع الأول من القرن الثالث الهجري، وأشهرهم محمد بن اسحاق وسيف بن عمر، لقد حدد محمد علي دبوز شروطا معينة لكتابة التاريخ منها :

الموضوعية وتفكيك عناصر النص، إنّ المؤرخ الموضوعي ليس معنيا بالتجوال وراء النص البارد، أو الاحتكاك بمشاعر صاحبه ولكن من صلب مهمته تفكيك عناصر هذا النص من دون العبث فيه، والوصول من خلال قراءة نقدية إلى رؤية أكثر مقاربة للحقيقة التاريخية، فلا سبيل في النتيجة سوى اقتحام الخطر وهذا من طبيعة المؤرخ، فلا محطة نهائية للمؤرخ لأن الجزئيات فضاء بلا نهايات وعليه إعادة تجميع المتماثل والمتناقض لتكوين صورة أو صور تعيد تجسيد اللحظة والنظام .

أما عن علاقة المؤرخ بالنص التاريخي فإنه يجب عليه مواجهة الصعاب والتعقيدات على مساحة تاريخنا ليُمحصّ الدخيل والشوائب والزوائد، وما على المؤرخ إلا الالتزام بشروط البحث العلمي والاستعانة

بخبرته التي اكتسبها من خلال تجربته البحثية، ومن خلال ثقافته التاريخية حتى يتسنّى له التمييز بين مختلف الروايات والوثائق والمراجع، فالمؤرخ محكوم عليه من حيث المبدإ بالعودة إلى النص، وأي استنتاج يصل إليه إنما يكون من داخل النص وليس بعيدا عنه، وعلى المؤرخ مقاربة الحدث وسبر أبعاده والنظر إلى كونه معطى تاريخيا، من خلال التأمل الدقيق هو مذهب علمي ينبغي أن يتحلّى به الباحث في التاريخ حتى لا يُشطط في حُكمه على مسألة ما .

3 – المادة التاريخية :

تُمثل المادة التاريخية المُعطى الخام للمؤرخ وبدونها لا يسع المنهج أو المؤرخ أن يفعلا أي شئ فيما يتعلق بالحقيقة التاريخية، فالمادة أو المعطيات التاريخية التي وصلت إلينا من خلال المخطوطات والمُدوّنات التاريخية الكبرى هي المنطلق، وتتمظهر إشكالية المادة التاريخية في اختفاء الوثيقة، إذ كثيرا ما اكتفت كتابة التاريخ بالإشارة السريعة والمختزلة، إنّ عقلنة النص بعيدا عن توهُّم الصدق وفاقا لما عبّر عنه ابن خلدون" في مآخذه على أسلافه لا سيما الجهل بطبائع الأحوال في العمران بما يطابق تحولات الاجتماع البشري ومتغيراته، إلى ذلك كان الخبر السياسي المتواتر المسكون بالولاء للسلطة أمر يُتوقف عنده، وهذا ما انكبّوا على رصده ولم تُثر فضولهم أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية " .

فمحمد دبوز يؤرخ بالرؤية لا بالرواية وفق العقل والمنطق والنقد بكل موضوعية وجراءة يُفكّكُ عناصر الحدث التاريخي ويُحلّله ويتعامل معه بصفته مؤرخا متمرسا، وهذا ما ميز منهجه الذي طرح إشكالات جريئة ودراسته قامت على رؤية للتاريخ جديدة لا تقوم على عصبية مقيتة ولا مذهبية ضيّقة ولكنها قائمة على وحدة وتماسك الأمة من محيطها إلى خليجها .

أهداف دراسة التاريخ عند محمد علي دبوز :

تعددت أهداف دراسة التاريخ عند شيخنا المؤرخ " محمد علي دبوز" وتباينت حسب الوقائع والحقائق وكان ينظر للتاريخ على أساس أنه وسيلة لبلوغ غايات كثيرة بعيدة وعميقة فهو عنده :

-وسيلة تربوية للوصول إلى غايات سامية آمن بها وهدفا ناجحا لإعانة الأجيال للسير قدما على طريق معالم الآباء والأجداد وهذا نستنتجه من خلال مقولاته من مثل " إنّ التاريخ أكبر عامل في التربية الخلقية " و" ... إنّ التاريخ أكبر عامل في التربية الخلقية وأقوى سبب يخلق الأخلاق العظيمة في النفوس، والأخلاق العظيمة هي أساس رقي الإنسان في عقله وفي جسمه فهي التي تستتبع كل المزايا، وتقضي على تفوقنا في كل النواحي فهي الغاية التي يجب أن نستهدفها في التربية ونقصدها في مدارسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا، ونعتني بها في كل درس وفي كل عمل.

- لا بد من أخذ العبرة والعظة من دروس التاريخ، لأنّ التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث وذكر للوقائع والأحداث بل إنه كما يقول " للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة فإذا خلا من هذه القشور فلا نفع فيه ولا جدوى منه، وكلام غث لا فائدة منه "، فاستلهام العبر والدروس من التاريخ ضرورة بل واجب للانطلاق نحو المستقبل بناء على ماض مزهر " يجب أن نقف على هفوات الأجداد وما أثار الأعاصير عليهم فنصوره للأحفاد ونحذرهم منه، ونفتح عيونهم على ما أودى بدولنا القديمة من أمراض كالانغماس في الحضارة والركون إلى الراحة والاتصاف بالأنانية وبالعصبية القبلية والمذهبية ... " 2 .

فالتاريخ لا يدرس عفويا ولا بد أن تتوفر شروطا علمية وواقعية في من يتولى تدريس مادة التاريخ منها :

أ -يجب أن يُلقنّ التاريخ بأسلوب علمي وروح خطابية حماسية .

ب -يجب على من يتولى تدريس التاريخ أن يكون ملمّا بالأفكار والأخبار وأن يتعمّق في شرحها بالتفصيل وأن لا تكون المعلومات نقلا حرفيا يسرده اللسان، فكلما كانت هناك إثارة وحماسة في الشرح والتفصيل كلما ترسخت المعلومة في عقول وأذهان المستمعين والمتلقين .

ج- لا بد من امتلاك الكفاءة العلمية لكل مُدرّس للتاريخ وأن

يتمتّع بالثقافة الموسوعية وقدرته على التعبير والعمل والذكاء في التحليل التاريخي وسرعة الاستنتاج .

د – لا بد من اكتساب شخصية قوية لكل من يتولى تدريس مادة التاريخ، فلا بد أن يمتلك شخصية كاريزمية تؤثر في المتلقي وتكسبه احترام الجميع .

-التاريخ أساس النهضة والاعتزاز بالنفس والوطن : يؤكد هذه النظرة من خلال قوله " إنّ التاريخ أكبر عامل لبناء الأمم ونهضة الشعوب وهو من الوسائل الكبرى في التربية الحسنة " 1

فهو عامل مهم في بناء الوطنية باعتبارها حاجة ضرورية وهامة تشعر الفرد بقيمة الروابط المشتركة بينه وبين أفراد المجتمع وتقوية شعور الانتماء للوطن، كما أنه دعا إلى ضرورة الاهتمام بتاريخ الأجداد باعتباره عاملا مؤثرا في الأفراد واعتماده كوسيلة تربوية .

ويمكنني إجمالا إبراز أهداف الكتابة التاريخية عند مؤرخنا محمد علي دبوز في النقاط التالية :

-ضرورة تصحيح التاريخ الجزائري قديمه وحديثه من كل المغالطات التي ألحقها الاستدمار الفرنسي به، ونزع كل الخزعبلات التي شوّهت تاريخنا الناصع وإظهاره على حقيقته دون مدح أو تضخيم .

-التصدّي لدُعاة الفتنة من الفرنسيين والآخر عموما والردّ عليهم

بمنطق العقل والواقع وتأكيد خصوصيات الشخصية الجزائرية قبل وبعد الاحتلال .

-تمحيص التاريخ المغاربي قبل الإسلام وذلك بدراسته بعمق ورويّة وأناة لإظهار كل الحقائق التاريخية، وكشف كل الأكاذيب المغرضة خاصة من المستشرقين غير المنصفين .

-المساهمة في التعريف برجال المغرب العربي الكبير عموما ورجال الجزائر على الخصوص ومآثرهم وما خلّدوه لنا من منجزات حيّرت العالم .

-تحفيز الشباب والباحثين على الاهتمام بتاريخ الجزائر وقاماتها العلمية والتاريخية وعمالقتها في شتى الفنون .

تقييم الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز :

شكلت كتابات محمد علي دبوز تراثا فكريا ضخما ومراجع مهمة بالنسبة للتاريخ الجزائري، لأنه أرّخ فيها للصفحات الخالدة في التاريخ بإعادة تصحيحها من كل الشوائب بأسلوب راق وممتع وسلس لا تكلّف فيه، مُتّبعا منهجا علميا ومُلتزما بالموضوعية التاريخية ومُتجردا من الذاتية مع تعدد طرح أفكاره بأناقة وجمالية لا مثيل لها، ولعل خير من يقوّم تجربته في كتابة التاريخ هم من عايشوا الرجل واختلطوا به عن قرب وتمتّعوا بسردياته الراقية هم: طلبته وأصدقاؤه ومحبوه ومريدوه داخليا وخارجيا ونذكر بعضهم على

سبيل التمثيل :

*رأي محمد صالح ناصر : " ستظل هذه المؤلفات إلى جانب مادتها الغزيرة معينا ثرّا من الأدب العربي الغض والأسلوب السلس المبين، فهو من القلة القليلة من المؤرخين المعاصرين الذين يكتبون التاريخ بأسلوب راق ويستنطقون حوادثه، متفاعلين معها مستنبطين أبعادها معايشين لها بكل خلجة من خلجات نفوسهم، وبكل خفقة من خفقات قلوبهم " 1 .[1]

*رأي الأستاذ محمد عطية الأبراشي أديب مصر الكبير يومئذ: " .... والحق أنّ الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة إلى من يُقدّمه ؛ فمادته غنية كل الغنى تدل على سعة في الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة، للوصول إلى الحق والحق وحده، كما تدل على المجهود الكبير الذي بذله في تأليفه وتخليصه من الأكاذيب التي دسّها الكتّاب من المستدمرين، وهو أول كتاب عربي جزائري يطبع بعد استقلال الجزائر وهذا جهد يذكر بالشكر والتقدير، إذ يشتمل الجزء الأول على تاريخ المغرب قبل الإسلام، والثاني على تاريخ الفتح الإسلامي، والعهد الأموي في المغرب، والثالث على العهد العباسي والدول الإسلامية المستقلة في القرنين الثاني والثالث من الهجرة، وهي في الواقع خير مرجع لمن أراد أن يعرف كثيرا عن المغرب

[1] – محمد صالح ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، دون سنة الطبع .

الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى قبل الإسلام وبعده، وإنّ من يطّلع على هذه الموسوعة يشعر حقا بما بذله المؤلف في سبيل إخراج هذه الكتب الثلاثة في أحسن صورة، لقد قرأ محمد علي دبوز كثيرا كي يصل إلى الحقائق خالية من التشويه والتضليل ؛ فقد حرّف المستدمرون كثيرا من الوقائع التاريخية وجعلوا الحق باطلا والنور ظلاما، والحسنة سيئة ومسخوا التاريخ أمام النشء الحديث والجيل الجديد، فقام المؤلف بدراسة التاريخ دراسة مفصّلة عميقة، وصفّاه من الأباطيل التي وضعت وأدُخلت عليه ؛ حتى يجد القارئ الحقيقة ناصعة بيضاء خالية من كل كذب وادّعاء، وقد مكث ليالي وأيّاما وشهورا وأعواما في سبيل إظهار الكتاب الثمين، أو الموسوعة الكبيرة وكثيرا ما قضى وقته في دور الكتب لتصحيح خبر من الأخبار أو قضية من القضايا ، ولم يقتصر الأمر على مابذله من جهد كبير في البحث والتأليف، ولكنه كلّف نفسه مجهودا آخر هو المجهود المالي فقد اعتمد على والده الوطني الغيور الذي تجرّع مرارة الاستدمار الفرنسي، إذ اعتمد عليه في الإنفاق على طبع هذه الأجزاء الثلاثة وما تحتاج إليه من ثمن للورق، وأجر للطبع والتجليد وإرسالها إلى الجزائر بالبريد، فقد مكث أكثر من عام ونصف في القاهرة ليباشر الطبع، ويقوم بإصلاح التجارب وهو بعيد عن أهله وأسرته، واحتمل كثيرا من نفقات المعيشة في سبيل إخراج هذا الكتاب في ثوبه الجميل، فاختار له أحسن الورق، وعني كل العناية بطبعه حتى جاء

خاليا من الأخطاء إلا نادرا " 1 "[1]

رأي الأستاذ المفكر أنور الجندي:" .. تعد موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حيث يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من ألف صفحة مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد كاشفا عن عشرات الحقائق التي شوهها المؤرخون والكُتّاب ".[2]

رأي علي يحي معمر" ..... إنّ تاريخ المغرب الكبير لصاحبه محمد علي دبوز كتاب تاريخ ولكنّ المؤلّف سكب فيه حرارة دمه ونبضات قلبه وعُصارة روحه وأجيج عاطفته، هذه العاطفة التي تزخر بالحب وتزخر كذلك بالبغض للاستدمار وتزخر بالاحتقار " " 2 " [3] .

أهم قضيتين شغلت بال محمد علي دبوز في موسوعته " تاريخ المغرب الكبير " .

قضية نفور الأمازيغ من اللغة والحضارة الرومانية :

أخذت هذه القضية منه جهدا كبيرا وهو يسميهم بالبربر بحيث

---

1 – أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، دون سنة الطباعة، ص 248 . [1]

[2] – علي يحي عمر، تاريخ المغرب الكبير، مجلة الآداب، بيروت، العدد 7، جويلية، 1964 م، السنة 12،ص38 .

3

اعتبرهم من الأمم العظمى التي كان لها تأثير في المغرب الكبير " .... إنّ البربر هم الجنس العتيد الذي فاض على الفئة القليلة من السكان الأوّلين للمغرب فنسخهم كما ينسخ النهار الواسع المستفيض رقعة القمر في الجو، ..... إنّ البربر أبناء مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، فهم من أبناء حام لا من أبناء يافث كما يدعي المستدمرون، ولا من أبناء سام كما ادعى كثير من البربر ومن العرب الذين يتعصبون لجنس على جنس، وتبعثهم مذاهبهم السياسية وحبهم للمُلك على الاختلاق والتزوير " [1].

" إنّ كتامة وصنهاجة من البربر وجدهم هو مازيغ بن كنعان بن حام كبقية القبائل البربرية الكبرى، وليس أصل البربر هو يافث ولا سام، ولكنه حام بن نوح عليه السلام ويشهد على ذلك الموطن واللغة " [2].

" إنّ جدّ البربر هو مازيغ بن كنعان بن حام والبربر يسمون أنفسهم الأمازيغ ويعتدّون بهذا الاسم، وهم يطلقونه إلا على الأقحاح الصرحاء فيهم، أمّا النزلاء والدخلاء الذين يتبربرون كعبيدهم ومواليهم فلا يسمونهم أمازيغ ؛ لأنهم ليسوا من سلالة مازيغ ومعنى الأمازيغ عندهم هو الأشراف ؛ يعني الصرحاء أبناء مازيغ الذين يحملون شخصية البربر العظيمة، ويتصفون بأخلاقهم التي تطبعهم بها الوراثة

[1]-تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 23 -24 .

[2]- تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 25 .

المازيغية الزكية، ويسمي البربر لغتهم البربرية " اتمازغت " نسبة إلى الأمازيغ، وقد سمى العرب الأمازيغ بربرا ؛ إماّ للغتهم التي لا يفهمونها وكان العرب يسمون كل أصوات لا يفهمونها " بربرة " يقولون : بربر الأسد إذا زمجر بأصواته، وإمّا أن يكونوا قد نسبوهم إلى جدهم السادس، وهو " بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام " ؛ وأرى أنّ نسبة البربر إلى جدهم السادس هو سبب تسميتهم بهذا الاسم لا للغتهم التي لا تفهمها العرب، فلو كانت اللغة هي السبب لسموا كل جنس لا يفهمون لغته " بربرا " كأقباط مصر ولغتهم حامية كلغة البربر والسودانيين " .[1]

" إنّ البربر الذين سمّوا أنفسهم أمازيغ نسبة إلى حدهم مازيغ، قفد سموا أيضا أنفسهم بربرا نسبة إلى جدهم " بربر بن تملا بن مازيغ " فهم الذين تسموا بهذا الاسم اعتدادا بجدهم وفخرا بهذا الأصل الشريف من أصولهم، ومما يؤيد هذا أننا وجدنا هذا الاسم يطلق عليهم قبل الفتح الإسلامي، وقبل أن يعرفهم العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، لقد كانوا يتسمون بهذا الاسم قبل الميلاد في عهد القرطاجنيين وقد سميت دولة قرطاجنة " الدولة البونيقية " وهو تركيب مزجي من البربر والفينيقيين، فإذا كانت هذه التسمية قديمة فهي من الشواهد على أنّ اسم البربر قديم أطلقه البربر على أنفسهم ليس العرب ولا الرومان، إنّ بعض

[1]- تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 26 .

الغافلين من المؤرخين المغاربة الذين لا يتورعون من سبّ أجدادهم وصفع وجودهم، قد ظنوا أن سبب تسمية أجدادنا بربرا كسبب تسمية الرومان للمتوحشين الأوربيين الذين يغزونهم بربرا، وإذا أطلق الرومان هذا الاسم على الغزاة الشجعان تشبيها لهم بالبربر فلفتكهم بهم كالبربر الذين يثورون على الرومان الذين استعمروا بلادهم فيفتكون بهم، لا أنّ البربر متوحشون كأولئك الأوربيين الغزاة، إنّ البربر قد سبقوا الرومان إلى الحضارة فمغربهم الذي بنوه وزخرفوه وعمّروه بحضارة قرطاجنة التي أخذوا بها وورثوها، فصار جنة عدن بالجمال، والمدنيّة والغنى وكثرة الخيرات هو الذي لفت أنظار الرومان إليهم فغزوهم فاحتلوا بلادهم لينعموا بخيراتها وحضارتها "،[1]

" لم يكن البربر في العهود التي عرفهم فيها الرومان متوحشين غزاة قراصنة، يحاربون لبطونهم كما فعل الغزاة الأوربيون الذين هاجموا روما حتى يقال إنّ الرومان سموهم بربرا لشبههم بالبربر في هذه الصفات، بل لعمرك أشبهوا الأمازيغ في الفروسية والشجاعة والجرأة وركوب ظهور الرومان في الحروب، فسموهم بربرا لذلك وقد قلّد بعض المؤرخين المشارقة الأوربيين المتعصبين الذين يعللون تسمية أجدادنا بربرا بذلك التعليل الروماني السقيم، فوقعوا في خطأ كبير كما وقع المغاربة وحققوا غرض المستدمرين الرومان القدماء

[1]- تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 27 .

وأحفادهم في هذا العصر "[1]

قضية الوجود العثماني :

لكل دولة مزايا تذكر لها ومآخذ تسجل عليها، هذه هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية التي حكمت الجزائر مدة من الزمن ليست باليسيرة، وقد تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب فمنهم من اعتبرها دولة استدمارية ومنهم من رأى فيها المنقذ للعالم الإسلامي، لكن محمد علي دبوز له نظرة مختلفة لوجود الدولة العثمانية في الجزائر، لقد دعت الحاجة الماسة للاستنجاد بالدولة العثمانية ممثلة " بالإخوة بربروس " لرد ضربات الاحتلال الاسباني البغيض ، فمؤرخنا محمد علي دبوز يرى بأن تاريخ الدولة العثمانية لم يكتب بأمانة علمية، ولم يسطر بصدق وأنّ تاريخها أصابته لوثة الباطل والتلفيق خاصة من المستدمر الغربي إذ يقول " ... مازال تاريخ الدولة العثمانية لم يكتب بنزاهة وصدق لقد تجنى عليها المستدمرون الصليبيون، فلم يذكروا من تاريخها العظيم في البلاد العربية إلا ما كان أيام شيوخها ...، ولكنهم كذبوا عليها وصوروها للمغرب والبلاد العربية تنينا كان ملتفا عليها فخلصوها منه"[2]

يتأيد هذا الموقف بما ذهب إليه وأقره الباحث " نصر الدين

---

[1] -تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص 27 .

[2]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 17 .

سعيدوني " بقوله " أن الكتابات حول طبيعة الوجود العثماني بالجزائر كتبت بأياد مغرضة خدمة للفرنسيين، وحسبهم أنّ الوجود العثماني كان حائلا أمام اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية وعائقا أمام تطور النظم الاقتصادية والاجتماعية، والفرنسيون هم الذين أجروا مقارنة بينهم وبين الوجود العثماني، فخلصوا فيه إلى أنّ الوجود العثماني كان استدمارا قائما على الاستبداد والظلم بينما الوجود الفرنسي كان حسب رأيهم أقرب إلى العمل الحضاري منه إلى التدخل الاستعماري "، [1]

ويرى حمدان خوجة " أنّ فترة الوجود العثماني في الجزائر فترة مشرقة مزدهرة رغم السلبيات التي تميز بها العثمانيون، لكونهم استأثروا العنصر العثماني بمقاليد السلطة دون الجزائريين، وكذلك إنزال أبنائهم المولودين من أمهات جزائرية " الكراغلة " إلى رتبة أدنى لا تؤهلهم للحكم، وذلك على خلفية محاولة " الكراغلة " عام 1630 م إبعاد الحكام الأتراك من السلطة "،[2]

ويصف محمد علي دبوز الدولة العثمانية بالأم الحنون وأنها من أعظم نعم الله التي منّ الله بها علينا، داعيا إلى وجوب التأدّب معها كما

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية " دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني " ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 35 .

[2] -حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر، دون تاريخ

نتأدّب مع الوالدين " فلولا الدولة العثمانية التي رفعت راية الإسلام وقلّمت أظفار أوربا المتكالبة ونشرت فيها الإسلام وحمت بلاد المسلمين، وجدّدت شبابها لحقّقت أوربا الصليبية كثيرا من أغراضها الجهنمية في بلاد الإسلام " [1]

خاتمة :

بهذه المداخلة اليسيرة يُقضى دين الشيخ محمد علي دبوز على الأمة ويسدد حقه في عنق الأجيال وتبرأ ذمة القلم من تبعة التنكر والمماطلة والإهمال لعلم من أعلام العلم والتاريخ، قمة شامخة من قمم المعرفة وكان الذين أدوا هذه الأمانة ثلة من الباحثين المخلصين لتاريخ هذا الوطن، اتفقت أفكارهم حول نتاج رجل أمة نذر ذاته لخدمة تاريخ بلاده وما شكى لأحد حاله أثناء عملية بحثه عن درر ونفائس تاريخ المغرب الكبير والجزائر على الخصوص، إنّ تذكّرنا لقاماتنا العلمية ومدارسة آثارهم وإحياء علومهم أعظم من نصب التذكار وأوسمة الشرف، فذكرُ الفتى عمره الثاني والمرء حديث جميل بعده فحسب، فمحمد علي دبوز مؤرخ ومثقف نوعي متسق الرؤية وباحث مدقق ورمز نادر لصلابة الموقف الفكري إلى حد الانخراط شبه المطلق فيما يؤمن، وهو مؤسسة ثقافية متكاملة ذات نسق خاص وقيمة كبيرة في ثقافتنا الجزائرية والعربية والمعاصرة سبح في فضاء لا نهائي للمعارف البشرية، إنّ الاحتفاء بالقيمة احتفاء بالحياة في أصفى

[1]- أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ص 18 .

حالاتها وفي أرقى أشكال تقدمها؛ لأنّ الاحتفاء بالقيمة احتفاء بالإنسان بوصفه الحضور الحر الفاعل في الوجود، فمحمد علي دبوز واحد من المؤرخين والكتّاب الاستثنائيين الذين وقفوا بحضورهم الفكري والإبداعي، وتميزهم المعرفي والتاريخي علامة حاسمة في الكتابة التاريخية وهو قامة سامقة شامخة وكتاباته التاريخية شكلت رؤية متقدمة شاملة لا نهائية، نافذة في خصوصيتها عميقة في تحليلها ضاربة بجذورها في ماضينا التليد واعية بحضورها في تاريخنا الأثير وتراثنا المجيد .

ولقد شفا نفسي وأذهب سقمها قيلُ الفوارس ويك عنتر أقدم !

المراجع :

1 – الجراري عبد الله، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين " الرباط وسلا "، الجزء 2، دت، الرباط .

2 – الجندي أنور، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع .

3 – بابا عمي محمد بن موسى، معجم أعلام الإباضية " من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر "، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 م.

4 – خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتحقيق، الدكتور محمد العربي الزبيري، الجزائر، دت .

5 -دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج 1 +2 +3، عالم المعرفة، الجزائر، 2013 م .

6 – دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013 م.

7 -بوحجام محمد بن قاسم ناصر، مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز، نشر جمعية التراث، القرارة، دون سنة الطبع .

8 – شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة " 1900، 1956 "، ج1، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2013 م .

9 – شترة خير الدين، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، ج3، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015 م

10 -ناصر محمد صالح، مشايخي كما عرفتهم، دار الريام، الجزائر، 2008 م .

11 – شكري فيصل ،تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر هجري، ج1، دت، دس ط، دار الفكر، سوريا .

12 – سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية " دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني "، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013 م.

قراءة في منهجية ومضمون كتاب " تاريخ المغرب الكبير"

للشيخ محمد علي دبوز

د. طاهر بخدة
جامعة معسكر

مقدمة:

اقترن تطوُّر الكتابة التاريخية مع القرن 19م على المستويين المنهجي والمعرفي بتطوُّر الفلسفة الوضعية وظهور المدرسة المنهجية التي اعتمدت البحث العلمي في التاريخ لتحقيق الموضوعية، وإذا كان هذا التطور قد ظهر في أوروبا بعد النهضة وقيام الدول القومية، فإنَّ معظم الدول العربية ومن بينها الجزائر لم تعرف ذلك التطور بسبب خضوعها للاستعمار الفرنسي طيلة ذلك القرن تقريبا، وإن قامت بعض المؤسسات والشخصيات الفرنسية بكتابة تاريخ الجزائر، فقد كتب (1889-1808) ERNEST CARRETTE عن أخلاق وعادات وعقيدة الجزائريين، فيما كتب (1955- 1878) ERNEST MERCIER تاريخ إفريقيا الشمالية أو البربرية، أمَّا (1932- 1864) STEPHAN GSELL فقد كتب عن التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية، وألَّف المؤرخ(1991 -1891) CHARLES ANDRE JULIEN تاريخ

إفريقيا الشمالية سنة 1931م، ومعظم هذه الكتابات جاءت خدمة للمشروع الاستعماري، باستثناء القليل منها الذي كتب بطريقة علمية.

تعود بداية كتابة تاريخ وطني شامل إلى النهضة الفكرية والسياسية التي عرفتها الجزائر مع مطلع القرن العشرين، فكتب أبو القاسم الحفناوي (1852- 1943م) سنة 1906م " تعريف الخلف برجال السلف " ترجَمَ فيه لأعلام الفكر الجزائريين، ثم كتب عثمان الكعاك التونسي (1903- 1976م) " موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي " سنة 1926م.

وظَّفت النخب العلمية والسياسية التاريخ ضد المشروع الاستعماري الفرنسي الذي حاول القضاء على مقومات الهوية الوطنية من تاريخ ولغة ودين، فكانت البداية الحقيقية مع مبارك بن محمد الميلي (1895-1945م) بتأليف " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " بين سنوات 1928- 1932م، والذي حاز تقديرا من قِبَل شخصيات وطنية وعربية كالشيخ عبد الحميد بن باديس والأمير شكيب أرسلان، ثم كتب أيضا الشيخ عبد الرحمن الجيلالي (1908- 2010م) بعد الاستقلال " تاريخ الجزائر العام ".

لقد كانت باكورة استقلال الجزائر في 1962م هي التي قطفها أو بالأحرى التي غرس شجرتها محمد علي دبوز (1919- 1981م) إبَّان فترة الاحتلال وقبيل اندلاع الثورة التحريرية، بتأليفه كتاب "

تاريخ المغرب الكبير " الذي يُعد من أهم ما أُلِّف حول التاريخ الوطني العام، أمَّا نواته فهي الدروس التي كان يلقيها على طلبته بمعهد الحياة في القرارة وذلك بعد عودته سنة 1948م من رحلته الدراسية بمصر، ثمَّ وسَّعها بالبحث و الاطلاع في خزائن الكتب وأماكن المخطوطات سواء في الجنوب الجزائري أو في تونس والقاهرة، فكتب مسوداته خلال سنوات 1951، 1952، 1953م، ولمَّا قامت ثورة التحرير خشي من مصادرتها إذا وقعت بأيدي السلطات الاستعمارية فخبَّأها عند أحد أصدقائه بالقرارة، وفعلا قام الاستعمار بتطويق المدينة سنة 1961م وتفتيش بيوتها لكنهم لم يعودوا منها بطائل.

شرع المؤلِّف في الإعداد لطبع الكتاب بعد الاستقلال مباشرة مبتدئا بالجزء الثاني تيمنا بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب، سماه" تاريخ المغرب الكبير" وذلك لإيمانه بوحدته رغم وجود دول مستقلة، لأن الحدود مجرد خطوط لا تمنع التواصل بين شعوبه. وعلى غرار تاريخ الميلي ثم عبد الرحمن الجيلالي، فكتابه يمثِّل إعادة لكتابة تاريخ الجزائر بأقلام وأهداف وطنية بعدما شوَّه الكُتاب المغرضون الكثير منه.

الإشكالية: إنَّ كتاب تاريخ المغرب الكبير ليس كتابا تأليفيا حدثيا فقط، بل هو قراءة ونظرة عميقة للتاريخ ذات أهداف وطنية ودينية، وعليه فإنَّ الإشكالية التي يمكن أن نطرحها هنا هي: ما هي قراءة ونظرة المؤلف لتاريخ بلاد المغرب والجزائر وما منهجيته في معالجة

أحداثه ؟

سنحاول معالجة الموضوع في محورين أساسيين: جانب المنهجية وهو الذي سنركِّز عليه لأنه سيساعد على فهم التاريخ بصفة عامة وتاريخ بلاد المغرب والجزائر على وجه الخصوص، أمَّا المحور الثاني فهو المضمون الذي سنشير فيه إلى بعض الملاحظات والنقاط التي توقَّفَ عنده المؤلف.

أولا: منهجية الكتاب:

1- اعتماد الأسلوب الأدبي: اتَّبع المؤلف في كتابة تاريخه أسلوبا أدبيا الهدف منه تصوير الحقائق وتحبيبها للقراء وإيصالها بطريقة مشوِّقة، كما صرَّح هو بذلك في مقدمة الكتاب قائلا:" فكنت عقب كل محاضرة أكتب نصوصها وخلاصتها بأسلوب أدبي رائق يزيد للتاريخ وضوحا، ويكسبه طلاوة تحببه إلى النفوس"[1]، لاسيما وأنَّ اللغة العربية ذات سحر وجمال وقدرة على الوصف الدقيق للأحداث والمواقف، ولسنا بحاجة لتتبع كل ما ورد في أجزاء الكتاب من بلاغة وتشبيه وسجع وجناس وغيرها، وسنقتصر على واحدة منها قوله:" وفي كل عرجون حشف لا يليق، وفي كل شجرة ثمر لا يروق "[2]، وإذا كان هذا

1- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ج2، ص28، 34.

2 - نفسه، ج2، ص142.

الأسلوب غير محبَّذ لدى البعض لأنه غير علمي في نظرهم بحجة أن التاريخ أصبح كغيره من العلوم الأخرى تُطبَّق فيه مناهج علمية، ولكن ماذا نقول عمن يلجأ من المؤرخين إلى التزوير والكذب والمغالطة المغرضة، وما العيب أن نستعمل نحن ونوظِّف أدبنا في التاريخ ؟ لاسيما وأنَّ الفترة التي كتب فيها صاحب الكتاب المادة التاريخية وهي فترة الاحتلال كان فيها الصراع على أشده ثقافيا إلى جانب الصراع السياسي، ذلك أنَّ فرنسا حاولت القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي، فاستعمال هذا الأسلوب له ما يبرره في تلك الفترة على الأقل التي تُعتبَر من جهة أخرى مرحلة الضرورة والبناء التي يصبح فيها التاريخ سلاحا ووسيلة، سلاحا ضد المستعمِر، ووسيلة لبناء الأمة[1] ولذلك يعلق المؤلف أنَّ التاريخ لا يُؤتي ثماره ونتائجه المرجوة إلا إذا ألقينا دروسه في روح خطابية وأسلوب طلي "[2]، ثم يضيف قائلا في نفس السياق:" أنَّ التاريخ لابد أن يُقدَّم في عمق الفلسفة وجمال الأدب "[3]، وعلى فرض أنَّ هذا الأسلوب لا يتماشى مع تطور مناهج التاريخ الآن، فإنه في تلك الفترة كان سمة الكتابة التاريخية التي حاول فيها المؤلِّف من خلال معايشته للواقع الانطلاق نحو المستقبل بناءً على أمجاد الماضي لأنَّ ذلك من مهام

1- أنور الجندي: معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، د ط، د ت، ص192.

2- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص23.

3- نفسه، ج1، ص37.

المؤرخ الحق الذي يستطيع أن يحيا تجارب الماضي كما حدثت في نوع من التخيُّل غير المبتدِع[1]، ومع ذلك فالأدب والخيال لا يخلق موضوعاته، بل يأخذ عناصرها من الواقع[2]، الأمر الذي طبقه المؤلف في هذا الكتاب، وللإشارة أيضا فإنَّ كتابة التاريخ في ظل الاستعمار الفرنسي كان يُمثِّل وجها من وجوه المقاومة السلمية التي اتَّبعها المصلحون ورجال الدين والسياسيون والمؤرخون، والأكيد أنه لو رجعنا مثلا إلى مقالات الشيخ عبد الحميد بن باديس التي كانت تصدر في مجلات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لوجدنا الكثير من استخدام الأسلوب الأدبي.

2- التسلسل التاريخي: بما أنَّ التاريخ حلقات مترابطة يكمِّل ويفسِّر بعضها بعضا، فلا بد من الحفاظ على نسق التاريخ، ولا نقصد بالتسلسل هنا البعد والترتيب الزمني (الكرونولوجي) فقط، وإنما نقصد أيضا جزئيات ومكونات الحادثة الواحدة ولو تباعدت أزمانها، ثم أبعادها وتداعياتها المستقبلية، وذلك حتى لا يبقى التاريخ مجرد أحداث آنية، يقول المؤلف:" فلا بد من ربط الحقيقة الواحدة بحقائق كثيرة مما يشابهها ويتصل بها، ومن ربط حقائق التاريخ بعضها ببعض،

1- عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م، ص183.

2- لانجلوا وسينيبيوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1981م، ص150.

فتاريخ نشأة الدولة يجب ربطه بتاريخ انقراضها وبمكانتها "[1]، ومن أمثلة ذلك ما أورده مؤرخو اليونان والرومان من وصف مشين للبربر ينم عن حقد بغيض لهؤلاء، منها قول المؤرخ سالوست (35م-86ق.م) G.C.SALLUST بأنهم يأكلون لحوم الحيوانات المفترسة ويرعون الحشيش كالقطعان، ليس لهم وازع أخلاقي ولا قانون، ولا يخضعون لسلطة حاكم[2]، ونفس هذه الأفكار أعادها الاستعمار الفرنسي في القرنين التاسع عشر، والقرن العشرين عندما ادَّعى أنه أتى بالحضارة للشعوب المحتلة واصفا إياها بالفوضى والتخلف، وسايره في ذلك مؤرخوه المغرضون مثل غوتيي (1940- 1864) EMILE-FELIX GAUTIER الذي يصف ماضي بلاد المغرب بالقرون المظلمة les siècles obscurs وسكانه بأنهم شبه متوحشين[3]، فهو لا يسرد الأحداث سردا متتابعا فقط وإنما يربط حلقاته بعضها ببعض سواءً تقاربت في الزمن أو تباعدت، وعن هذا التسلسل يقول في الدول التي أسسها البربر:" وسنعرض من عرفنا من ملوك البربر الكبار والدول البربرية العظمى، ثم نلم بالممالك الصغرى استيفاءً للحلقات

1- محمد علي دبوز: المرجع نفسه، ج2، ص25.

2- la guerre de Jugurtha, traduction de Charles durosoir, éditions SALLUSTE: Garnier, 1865, p30.

3- le passé de l'Afrique du nord- les siècles obscurs, nouvelle éditions, E.F.GAUTIER: paris, 1952, p117.

ووصلا لأحداث التاريخ بعضها ببعض "[1].

لم يكن المؤلف حبيس هذا المنهج دائما، فكثيرا ما تخرجه الاستطرادات عن ذلك لشرح أو تعقيب ونحوها وهو أمر معروف في التاريخ، فتراه مثلا يتحدث عن فتوح عقبة بن نافع ثم ينتقل إلى سعي المحتل الأوروبي (فرنسا- إيطاليا) في القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية[2].

بالنسبة للمواضيع التاريخية يقسِّمها إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة التاريخ القديم أي قبل الفتح الإسلامي ويبدؤها بتعمير بلاد المغرب، ثم تأسيس دولة قرطاجة وما تلاها من نشأة الممالك البربرية وما صاحبها من ثورات ضد الاحتلال الروماني الذي يعود إليه كمرحلة من مراحل النفوذ الأجنبي (الرومان- الوندال- البيزنطيين). أما المرحلة الثانية فهي الفترة الإسلامية والتي لا يلتزم فيها التزاما كليا بالترتيب الزمني فيبدؤها بحملات الفتح حسب تسلسلها، ثم ولاة المغرب الأمويين، لكنه يعود إلى العهد الراشدي مع خلافة عثمان بن عفان، وبعده خلافة علي بن أبي طالب والصراع بينه وبين معاوية ونتائجه السياسية والدينية، يعود ثانية لتاريخ بلاد المغرب كنوع من الربط بين الأحداث حين يواصلها بنشأة الإباضية وإمامة أبي الخطاب

1- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج1، ص181.
2- نفسه، ج2، ص59.

ويعقبها بسقوط الدولة الأموية.

أمَّا العهد العباسي فتبدأ أحداثه مع بلاد المغرب بالولاة العباسيين وحربهم ضد الإباضية، ونشأة دولتهم الممثلة في الدولة الرستمية، مع التطرق إلى دولتي الأدارسة والأغالبة. وهكذا يكون المؤلف قد تناول ما لا يقل عن ثلاثة آلاف سنة من تاريخ بلاد المغرب القديم، وثلاثمائة سنة من تاريخه الإسلامي.

3- كتابة تاريخ وطني: لا يخفى أنَّ التاريخ يمثِّل ويحمل الفعل الثقافي والحضاري لأي أمة، وسكان بلاد المغرب لم يكونوا بمنأى عن الحضارة كما يصوِّر بعض المؤرخين الأوروبيين المغرضين الذين يجعلون المغاربة في صورة المتلقي أو المتأثِّر بالغير دائما، بل كانت لهم ثقافتهم وحضارتهم الخاصة بهم منذ العصور الحجرية التي كشفها علماء الآثار الأوروبيين أنفسهم، ورغم احتكاكهم بالقرطاجيين والاقتباس من معالمهم الحضارية فقد ظلوا مع ذلك أمة مستقلة ذات كيان ثقافي شاركت في بناء الحضارة الإنسانية، فهم أمة فاعلة أو صناعية حسب وصف لوبون:" كل أمة دخلت في ميدان الحضارة وأصبحت ذات تاريخ قديم يجب اعتبارها أمة صناعية لا أمة طبيعية مهما كان حالها "[1]، ومن هذا المنطلق فإنَّ كتابة تاريخ وطني جزائري

1- غوستاف لوبون: سر تطور الأمم، ترجمة فتحي أحمد زغلول باشا، تصحيح ونشر توفيق الرافعي، المطبعة الرحمانية، الخرشف، ط2، د ت، ص20.

أو مغاربي أصبحت ضرورة لإحياء الماضي المجيد وإبراز شخصية الأجداد من خلال قراءة وكتابة تاريخنا بأيدي مؤرخي أبناء وطننا بعد أن بقينا مدة طويلة نعتمد في ذلك على مصادر ومراجع أجنبية ولاسيما في الفترة القديمة من مؤرخي اليونان والرومان ثم الفرنسيين في العصر الحديث، ولا يخفى توجهات معظم تلك الكتابات العنصرية الاستعمارية، وهو ما حرص عليه المؤلِّف وانبرى له، فتراه يُعيب على أولئك المؤلفين المُحدثين إيمانهم بما كتبه الأجانب فراحوا يقلدونهم حتى في احتقار بلدهم وازدراء أجدادهم والغض من مقام البربر الرفيع[1]، وقد أشار إلى هذه الملاحظة أيضا أحمد صقر قائلا:" قد جرت عادة المؤرخين بالتوسع والإفاضة في شرح تاريخ الاستعمار الفينيقي أو الروماني ... غير أننا نراهم في الوقت نفسه لا يعِيرون التفاتة إلى أبناء البلاد، بل ينسونهم في غالب الأحيان ويتركونهم في طي الخفاء وزاوية الإهمال كأنهم لم يكونوا موجودين في هذه الدنيا "[2].

فعلا إنَّ تاريخ الجزائر وبلاد المغرب عموما ظل مرتبطا في أغلب فتراته بالوافد الأجنبي، بمعنى أنَّ تاريخنا الوطني في جل فتراته تقريبا وبخاصة القديم منه هو جزء لا يتجزأ من تواريخ القوى التي

1- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج1، ص263.

2- أحمد صقر: مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة للنشر، تونس، د ط، د ت، ص172.

تواجدت في المنطقة، وكأنَّ الجماعات المحلية لم يكن باستطاعتها البروز على مسرح الأحداث دون الغازي القادم[1] وهو ما رُوِّج له من طرف الكتاب الأوروبيين الذين احتكروا كتابة تاريخ المنطقة، وإذا كان لهذا ما يبرره في فترة ما (التاريخ القديم على وجه الخصوص) وهو عدم كتابة الأمازيغ تاريخهم بأنفسهم والذي كان سيعطي صورة واضحة عن مجتمع بلاد المغرب من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية، وحتى فترة النضج السياسي التي عاشتها المنطقة من خلال قيام الممالك الأمازيغية مع بداية الحقبة الرومانية أواسط القرن الرابع قبل الميلاد إلى غاية الوجود البيزنطي مطلع القرن السابع الميلادي، فتاريخها لا نعرفه إلا من خلال النصوص الإخبارية اللاتينية اليونانية منها والرومانية، وهو ما أعطاهم فرصة كتابة ما يشاءون، وهذا النقص في الكتابة التاريخية المحلية لاحظه محمد الميلي فقال:" ولا تاريخ أغمض وأقل مادة لدى القارئ العربي من تاريخ الجزائر "[2]، وفي غياب مصادر تاريخية محلية يبقى الإشكال قائما، ولذلك يجب قراءة تاريخنا قراءة جديدة لتخليصه من الأغلاط والتحامل والتشويه، وإخراجه في قالب وطني إيجابي، وأعتقد أنَّ هذه النظرة كانت

1- علاوة عمارة: الشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ الفقيه ذو القرن- ملاحظات حول تاريخ الجزائر العام- جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2011م، ص226- 227.

2- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1989، ج1، ص13.

موجودة لدى مؤرخي الجزائر الذين ذكرناهم في بداية البحث كمبارك الميلي وعبد الرحمن الجيلالي الذي يقول:" وأعتقد أنني بذلك خلَّصت تاريخنا الماجد من أن يبقى مكتوبا عرضا ضمن تاريخ الأمم والشعوب "[1]، ويؤكد المؤلف ذلك: " فلو حفظ لنا التاريخ كل تلك الثورات لكان شيئا كثيرا أضعاف ما ذكرنا.

لقي تاريخ الجزائر وبلاد المغرب عموما القديم منه والإسلامي من التشويه والمغالطة الشيء الكثير ولاسيما عهد الاحتلال الفرنسي، فقد مثَّل أحد الأركان الثلاثة التي اعتمدها إلى جانب محاربة الإسلام واللغة العربية، فكان الاهتمام الفرنسي بتاريخ الجزائر يتركز على عصور ما قبل التاريخ وعلى العهد الروماني والحقبة الفرنسية وإهمال العصور الإسلامية[2]، وهو ما نلمسه مثلا في كتابات غوتيي الذي ربط تاريخ بلاد المغرب بالاستعمار الروماني وما عداه قرونا غامضة[3] بهدف حذف مرحلة طويلة من تاريخنا، وهذه المراحل هي التي اعتبرها دبوز تاريخا مظلوما[4]، الأمر الذي جعله يركِّز هو بدوره على الفترة الإسلامية التي بدأ بها تأليف كتابه، وخصَّص لها قسمين

1- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965م، ج1، ص9.

2- مبارك بن محمد الميلي : المرجع السابق، ج1، ص29.

3- E.F. GAUTIER : op cit, p19.

4- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص37.

كاملين.

4- تصحيح التاريخ من الأغلاط: قال ابن خلدون:" فهو – التاريخ- محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبُّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكِّبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتُمِد فيها على مجرد النقل ... فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق "[1]. وذكرنا سابقا أنَّ مؤرخي اليونان والرومان كتبوا تاريخ بلاد المغرب بقسوة وعنصرية، ثم أتَّبعهم في ذلك المنهج المستشرقون في العصر الحديث وبخاصة الفرنسيين، وقد نقل عنهم ونحا نحوهم بعض المؤرخين من أبناء البلاد أو من العرب عموما، سواء بالنسبة للفترة القديمة أو بالنسبة للفترة الإسلامية، وسنقدم بعض صور تلك الأغلاط، ورَدّ المؤلف عنها.

* ادعاء كثير من الكتاب الأوروبيين بأنَّ البربر خليط من شعوب وأجناس قدمت من أوروبا ومن الشرق كالفرس والأرمن واليهود واليونان والرومان، وأن سكان بلاد المغرب ذوي الشعر الأشقر والعيون الزرقاء ذوي أصول أوروبية قدموا من الشمال[2]، وذهب الباحثون في ذلك مذاهب شتى حتى أنه من الصعب أن نجد بلدا لم

1- ابن خلدون : المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص37.

2- SALLUSTE: op cit, p30/ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م، ص256.

يقل هؤلاء بأنَّ الأمازيغ لم يقدموا منه، جعلت أحد الباحثين يتساءل: ماذا لو أنَّ الأمازيغ لم يأتوا من أي بلد[1] ؟ وهدفهم من ذلك كله هو الطعن في هوية البربر من خلال التشكيك في نسبهم ووطنهم، والحقيقة أنَّ هؤلاء السكان قدماء في وطنهم، قال عنهم ابن خلدون:" ولم تزل بلاد المغرب عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أزمنة لا يُعرَف أولها ولا ما قبلها "[2].

إنَّ قِدم البربر في وطنهم شمال إفريقيا يؤكدها علماء الآثار والمؤرخون الأوروبيون المحدثون، فشارل أندري جوليان يُقدر وجودهم في المنطقة بأربعمائة ألف سنة على الأقل[3] وليس إلى العصر الحجري الحديث فقط، وقال قزال:" إنَّ النماذج التي وصفناها عريقة القدم في شمال إفريقيا "[4]، ويرد المؤلف على ذلك: إذا فرضنا أنَّ هناك جماعات كالفرس واليهود وغيرها قد هاجرت إلى بلاد المغرب، فإنها لم تكن غازية وإنما لاجئة وبالتالي ذابت في البربر وأصبحت

1- العربي عقون: الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2010م، ص19.

2- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مراجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م، مج2، ص1836، 2065.

3- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي سنة 647م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، د ط، د ت، ج1، ص30.

4- ستيفان قزال: تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007م، ج1، ص238.

منهم وليس العكس، وهذه مزية للبربر تُبيِّن اجتماعيتهم لأنَّ الشعب الذي لا يقبل الآخرين هو شعب متوحش[1]، كما أنَّ هؤلاء الوافدين جاءوا متأخرين وكانوا إمَّا تجارا أو فارين أو محتلين كالرومان والوندال والبيزنطيين، وبأعداد قليلة جدا بالمقارنة مع البربر وهو ما أكده بعض المؤرخين الفرنسيين كجوليان بقوله:" غير أنَّ هذه العناصر المختلفة وإن هي امتزجت بالسكان المستقرين، فقد أتت في عدد ضئيل جدا بحيث تَعذَّر عليها تغيير المقومات الجنسية بإفريقيا الشمالية "[2]، ويستطرد قزال حول هذه القضية قائلا:" ولا جدوى في مناقشة الرأي الذي يربط هؤلاء الشقر بالوندال أو الغاليين الذين أدخلتهم قرطاجة "[3]، أي كجنود مرتزقة، فهو يعتقد أنهم كانوا موجودين ببلاد المغرب منذ عهود بعيدة، ومما يؤكد أصالة البربر في بلادهم هو محافظتهم على شخصيتهم وثقافتهم، وعدم تأثرهم بالوافد الأجنبي إلا في القليل، وقد أقرَّ بذلك الكثير من المؤرخين الأجانب والجزائريين منها قول الميلي:" إنَّ جميع الأمم التي اتصلت بها - يقصد الأمة الجزائرية - لم تستطع أن تقلبها عن كيانها، ولم تخرج بها عن مازيغيتها أو تدمجها في عنصرها، بل هي التي كانت تبتلع الفاتحين

1- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج1، صص30- 32.
2- شارل أندري جوليان: نفسه، ص54.
3- ستيفان قزال: نفسه، ص240.

"[1]، ويتعجب آخر من تعريب البربر قائلا:" وأمر طريف مثل هذا يثبت لنا مرة أخرى مقدار تأثير العرب العظيم الذي لم يُكتب مثله لأية أمة أخرى، ومن هذه الأمم اليونان والرومان الذين دام سلطانهم في شمال إفريقيا دوام سلطان العرب من غير أن يتفق للغتهم أي أثر في اللغة البربرية "[2].

* قضية شراء عليسا ديدون الفينيقية أرضا من المغاربة قدر جلد ثور، والتي توصَف هذه المرأة بالدهاء والمكر وبغفلة وسذاجة البربر وملكهم، وأغلب الظن أنَّ هذا الخبر أسطورة أو قصة واهية منقولة عن اليونانيين، ووجه الخطأ فيها هو التباس النطق بين كلمة بيرسة اليونانية التي تعني جلد ثور وبين بورسة ومعناها بالفينيقية القلعة والحصن وهو المعنى المقصود هنا[3].

* دعوى أنَّ الرومان هم من كانوا يقررون مصير المغرب السياسي من عزل وتولية[4]، فنقل بعض المؤرخين المحدثين ما كتبه مؤرخو

1- محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص47/ شارل أندري جوليان: نفسه، ص70.

2- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص259.

3- توفيق الطويل: قصة الكفاح بين روما وقرطاجة، دار النشر الحديثة، القاهرة، د ط، ص238/ أحمد صقر: المرجع السابق، ص88/ عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص69/ ستيفان قزال: المرجع السابق، ص300، 304.

4- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج1، ص254.

الرومان، فذكروا أنه بعد إلقاء القبض على صيفاقس (230- 202ق.م) خلال الحرب البونية الثانية قسَّموا المغرب بين ملوكه، ويرُدُّ المؤلف عن هذه الدعوى أنَّ القائد الروماني شيبيون الإفريقي ما كان بوسعه منع فرمينة (202- 158ق.م) من عرش أبيه، ولو كان هم من ولوه ما وقف ضدهم مع حنبعل[1]، ويروون أيضا أنَّ ماسينيسا لمَّا مرض مرضا عضالا سنة 148ق.م وأحسَّ بدنو أجله استقدَمَ صديقه شيبيون الإميلي القائد الروماني لعاصمة مملكته قرطة كي يوصيه بأبنائه خيرا، فأسرع شيبيون إليه ولكنه وصل بعد موته بيومين، فقسَّم السلطة بين أبنائه الثلاثة: ميسيبسا وغولوسة ومستعنبعل، فكان هؤلاء طوع أمر روما ورهن إشارتها[2]، وهنا يردُّ على تلك الفريَّة: أنَّ شيبيون إذا كان قد جاء فعلا إلى قرطة فإنه قدم مستغيثا به ضد قرطاجة وليس للوصاية على أبناء ماسينيسا بدليل أنه عاد إلى إفريقية مصحوبا بالقائد غولوسة وعدد كبير من القوات النوميدية[3]، لاسيما وأنَّ الرومان كانوا يُقدِّرون قوة ماسينيسا وأهدافه، حتى أنَّ هناك من ربط تدمير قرطاجة على أنه إجراء استباقي لمنع ماسينيسا من الاستيلاء عليها وجعلها عاصمة لمملكته[4]،

1- نفسه، ج1، ص211، 213.

2- أحمد صقر: نفسه، ص248، 274/ مبارك الميلي: المرجع السابق، ج1، صص177-179، 183/ توفيق الطويل: نفسه، ص233.

3- محمد علي دبوز: نفسه، ج1، ص257/ أحمد صقر: نفسه، ص248/ شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص17.

4- E.F. GAUTIER: op cit, p117.

ولو كان ذلك صحيحا أيضا ما احتاج الرومان قرنا كاملا من أجل احتلال نوميديا وموريتانيا، أي من 146 إلى 46ق.م، ثم كيف يوصف ماسينيسا بأنه كان يكره الرومان ثم يوصيهم بأبنائه.

ومن تلك المغالط أيضا ما قيل في نسب يوغورطة بن مستعنبعل أنه ابن غير شرعي وُلِد من سفاح أو من سرية[1]، وعلى فرض صحة ذلك، فقد يكون هذا الأمر عادة منتشرة ومعروفة في بلاد المغرب.

* وصف البربر بأوصاف مشينة سواء من قبل الكتاب اللاتينيين كما ذكرنا سابقا، أو حتى من قبَل بعض العرب، ومنها ما نعتهم به عبد الرحمن الجيلالي من الغدر وعدم الوفاء بالعهد[2]، ولعلَّه نقل ذلك من مصادر وسيطة أو من مراجع متأخرة، فتذكر بعض الروايات أنَّ الخليفة سليمان بن عبد الملك سأل موسى بن نصير حين قدم عليه من الأندلس، فقال:" أي الأمم كانوا أشد قتالا ؟ فأخبره عن الروم، ثم قال له فأخبرني عن البربر، قال: هم أشبه الناس بالعرب لقاءً ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة، غير أنهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد "[3]، وقد أشاد ابن خلدون بخصالهم الدينية والاجتماعية فقال:" وأمَّا

1- أحمد صقر: نفسه، ص276.

2- عبد الرحمن الجيلالي: نفسه، ج1، ص52.

3- ابن هذيل الأندلسي: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان ومحمد فاتح صالح دغل، مركز زايد للتراث والتاريخ، دار البارودي، العين، ط1، 2004م، ص292/ غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص263.

تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم ... وبيع النفوس من الله في نصر دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف، لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة "[1].

5- تطبيقه المنهج الخلدوني: يظهر تأثُّر المؤلِّف بمنهج ابن خلدون، فكثيرا ما يستعمله ويستشهد به ولاسيما في تحليل قيام الدول وسقوطها، فيذكر أعمارها وأخلاقها وأسباب سقوطها، ومنها الدولة البونيقية التي يقول عنها:" كان الفينيقيون في القرن التاسع قد بلغوا في الحضارة والغنى الذروة ... فأصابتهم أمراض الحضارة ... وشاع الظلم والعدوان "، ويقول عن الرومان:" وخرجوا من دور الطفولة، وبلغوا قمة الشباب فأصبحوا دولة فتية "[2].

6- التحليل والبحث العلمي: سعى المؤلف إلى كتابة تاريخه بمنهجية علمية بعيدا عن التعصُّب والعصبية ولاسيما بين العنصرين البربري والعربي التي حاول الاستعمار تغذيتها، ويؤكد على تلاحم العنصرين وتشابه صفاتهما فيقول:" إنَّ ثورات المغرب على الاستعمار اللاتيني الحديث والروح الثورية الموجودة فيه، والشجاعة الممتازة التي يتصف بها من وراثة أجدادنا الأمازيغ في دماء أهل المغرب، وقد

1- ابن خلدون: المصدر السابق، مج2، ص1835.

2- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج1، ص106، 152، 163.

ضاعفت تلك الوراثة الزكية وأيدتها في عروق المغرب الدماء العربية التي أورثتنا شجاعة العرب أيضا وإبائهم وأججتها قوة الإسلام "[1]، فهو يتمسك بنسب البربر إلى مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، لا من أبناء يافث كما يدَّعي المستعمرون، ولا من أبناء سام كما يدَّعي العرب، وقد أكَّد هذا النسب كل من النسَّابة ابن حزم[2] وابن خلدون[3]، فلا غضاضة إذن من إلحاق الناس بأنسابهم، وإنما استُغِلت هذه القضية لأغراض سياسية في القديم والحديث.

لا يتوقف المؤلف عند نقل وسرد الأحداث فقط، بل يعطي عللها ويحللها تحليلا تاريخيا، فيثني على أعمال الرجال الحسنة ويُبين مساوئ وأخطاء من أخطأ، فيُعقِّب مثلا على ما نُسب إلى دور عبد الله

1- نفسه، ص84.

2- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، د ت، ص495.

3- ابن خلدون: المصدر السابق، مج2، ص1826، 1830. شنَّ بعض الكتاب العرب في القرن العشرين حملة ضد ابن خلدون اتهموه فيها بالشعوبية وبتحامله على العرب، وإطرائه للبربر بدعوى أنه عاش في مجتمعهم المجاهر بعدائه للعرب، بل ذهب بعضهم إلى التشكيك في نسبه العربي. عن هذه القضية ينظر: طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تعريب محمد عبد الله عنان، القاهرة، 2006م، ص114/ علي الوردي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان، لندن، ط2، 1994م، ص83- 84/ محمد عبد الله عنان: ابن خلدون: حياته وتراثه الفكري، دار الكتب، القاهرة، ط4، 2006م، ص17، 127- 129/ ابن عمار الصغير:" **اللاعرقية أو مفهوم كلمة عرب عند ابن خلدون** " مجلة الأصالة، ع3، السنة الأولى، 1391هـ- 1970م، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، صص32- 38.

بن الزبير في معركة سبيطلة التي قادها ابن أبي السرح، بأنها دعاية له ضد خصومه الأمويين[1]، ولكنه يعترف به كأحد أبطال الإسلام.

ومن الأحداث التي وقف عندها بالتحليل، فتوح عقبة بن نافع، وإن عُدَّ عقبة من أبطال الإسلام، فإنه أخطأ في حق كسيلة والبربر عموما، فهو لم يفهم حقيقتهم عندما سوَّاهم بالفرس والروم في الفتوح والقتال إلا أنه يُرجِع ذلك إلى نفسية عقبة وتكوينه العسكري وإيمانه القوي[2].

أمَّا هزيمة حسان بن النعمان في معركته الأولى ضد الكاهنة رغم كثرة جيشه الذي يعد أكبر جيش دخل إفريقية فيرجعها إلى غرور المسلمين بقوَّتهم واحتقارهم للبربر والكاهنة بالذات كامرأة، ويُشبِّه ذلك بما وقع للمسلمين في غزوة خيبر.

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، بعناية محمد العرب، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م، مج1، ص496/ ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، د ت، ص34/ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ج24، ص7- 8/ ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م، ج1، ص32- 33/ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، دت، ص78 وما بعدها/ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2013م، ص59.

2- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص50.

وفيما يخص الدولة الأموية وإن كان ينتقد خلفاءها لاستبدادهم وتعصبهم، فهو يعترف بحسناتهم ولاسيما عهود: معاوية الأول وعبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

ثانيا: المحتوى

تطرَّق في الجزء الأول إلى سكان بلاد المغرب والدول التي أسسوها، ثم الدولة الفينيقية، ثم الاحتلال الثلاثي (الرومان، الوندال، البيزنطيين). أمَّا الجزء الثاني فتناول فيه حملات الفتح، ثم ولاة الأمويين وثورات البربر، وظهور الإباضية في المنطقة، أمَّا الجزء الثالث فهو امتداد لمرحلة المغرب الإسلامي، وهو أكبر الأجزاء، ويُمثِّل في الحقيقة تأريخا للدولة الرستمية سياسيا ومذهبيا وعلميا، والتي أخذت أكثر من نصف هذا الجزء، ويعود ذلك إلى إحجام بعض المؤرخين المغاربة عن كتابة تاريخ هذه الدولة كابن عذاري وابن خلدون. وفي الأخير يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات العامة التي تمثِّل أسس كتاب تاريخ المغرب الكبير:

1- البعد الأمازيغي العربي الإسلامي: يؤكد المؤلف على أمازيغية البربر وقِدمهم في المنطقة، ثم امتزاجهم بالعرب بعد الفتح الإسلامي فصاروا جنسا واحدا متحدا غاية الاتحاد ليس فيهم بربري خالص ولا

عربي قح[1]، وقد اعتنقوا الإسلام وحسن إسلامهم وظلوا من أشد المتمسكين به والمدافعين عنه، قال ابن خلدون:" وأمَّا إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله ... ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم "[2].

2- الاهتمام بالتاريخ الإسلامي: يُعتبر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مرحلة جديدة لأنه أخرج المنطقة من التعدد الديني (وثنية، مسيحية، يهودية) إلى وحدة الإسلام، وحرَّر السكان من الاحتلال البيزنطي، فأصبح لهم كيان سياسي وشخصية وطنية، ولذلك خصَّص له جزأين كاملين.

3- الوحدة: وهي من النقاط التي ركَّز عليها المؤلف، سواء الوحدة البشرية بين البربر والعرب، أو وحدة بلاد المغرب ككل، وهو ما نلمسه من عنوان الكتاب، لأنَّ هذه المنطقة موحَّدة بشريا وطبيعيا رغم وجود الحدود السياسية، فهذا الاندماج ظلَّ قائما طيلة فترات التاريخ تقريبا حتى في زمن الدول المستقلة، بحيث لم يكن فيها للحدود اعتبار.

يُنشد المؤلف هذه الوحدة من خلال كتابه لاسيما وأنه عايش

1- نفسه، ج1، ص36، 88/ محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ص48.
2- ابن خلدون: المصدر السابق، مج2، ص1835.

الاستعمار وعرف مخططاته[1]، سواء كانت هذه الوحدة داخليا أو بين أقطار المغرب ولو فدراليا، ولا شك أنَّ هذه العملية كانت هدف كل المؤرخين والمفكرين والسياسيين[2].

4- انتقاد الاستبداد السياسي: ينتقد المؤلف بشدة نظام حكم الأمويين والعباسيين لجعلهم الخلافة ملوكية وراثية[3]، وظلم ولاتهم للبربر، ولذلك يستخدم كثيرا مصطلحي الملوكية والمستبدين في مقابل الشورى والجمهوريين، ويقصد بها الدول المستقلة التي قامت في المنطقة كالدولة الرستمية التي كانت دولة جمهورية حققت قدرا كبيرا من العدالة والمساواة، وهو ما سعى إليه المؤلِّف في هذا الكتاب، لاسيما وأنَّ الاستعمار الفرنسي طبَّق هذه السياسة على الجزائريين[4].

1- من هذه المخططات، إثارة النعرات العرقية بين العرب والبربر، عن هذا الموضوع ينظر، أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل والبدائل، دار الأمة، الجزائر، ط2، 1997م، ص27، 29، 40- 41، 257.

2- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص33/ محمد الميلي: المرجع السابق، ص55.

3- يقول الكواكبي:" كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة ". طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط3، 2006م، ص38.

4- مبارك بن محمد الميلي:" الملوكية ضمن الجمهورية "، جريدة المنتقد، السنة الأولى، ع3، 1343هـ/ 1925م، ص1.

خاتمة:

يرى بعض المفكرين أنَّ الأمة مسيَّرة بتأثير أمواتها أكثر مما هي مسيَّرة بتأثير أحيائها، والأولون هم وحدهم الذين كونوها، وهم الذين أوجدوا ما في الأحياء من الأفكار والمشاعر قرنا بعد قرن. وعليه فالدولة ليست الحكومة والجيش والإدارة فقط، وإنما بمفكريها وعلمائها ومؤرخيها، فالمؤرخون هم من يوجهون الأمة، ويُشعرون أبناءها بتاريخهم، فهم من يضعوا البرامج التربوية لينطلقوا منه نحو المستقبل، فمحمد علي دبوز من هؤلاء المؤرخين الذين كان همَّهم تصحيح التاريخ من خلال النقد والتمحيص للاستفادة منه، وليس مجرد نقل وتقليد، وهو يلمسه القارئ في نبرات أسلوبه وتحليله وجديته في تناول المواضيع وتحليلها.

إنَّ كتاب " تاريخ المغرب الكبير " يُعد من المراجع التاريخية الهامة والأولى التي كُتبت بأقلام جزائرية وباللغة العربية، حاول المؤلِّف من خلالها التأسيس لكتابة تاريخية وطنية دون تشويه أو مغالطة، ليس ما تعلَّق منها بتاريخنا القديم أو الإسلامي لأنها بعيد مضى، وإنما التاريخ بكل فتراته وأحداثه وشخصياته.

مصادر ومراجع البحث

أولا: المصادر

- **ابن الأثير** أبو الحسن علي بن محمد (ت630هـ/ 1233م): **الكامل**

في التاريخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.

- **ابن خلدون** أبو زيد عبد الرحمن (ت808هـ/ 1406م): **المقدمة**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

- **ابن خلدون** أبو زيد عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**، اعتنى به وراجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.

- **ابن حزم** أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/ 1064م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، د ت.

- **ابن عبد الحكم** عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ/ 870م): **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، د ت.

- **ابن عذاري** أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ب712هـ/ 1312م): **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م.

- **النويري** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ/ 1331م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

- **ابن هذيل** علي بن عبد الرحمن (القرن 8هـ/ 14م): **تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان ومحمد فاتح صالح دغل، مركز زايد للتراث والتاريخ، دار البارودي، العين، ط1، 2004م.

la guerre de Jugurtha, traduction de Charles SALLUSTE: durosoir, éditions Garnier, 1865

ثانيا: المراجع

- بدوي عبد الرحمن: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م.

- بن نعمان أحمد: فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل والبدائل، دار الأمة، الجزائر، ط2، 1997م.

- الجندي أنور: معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، د ط، د ت.

- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي سنة 647م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، د ط، د ت.

- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965م.

- حسين طه: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تعريب محمد عبد الله عنان، القاهرة، 2006م.
- دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.
- صقر أحمد: مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة للنشر، تونس، د ط، د ت.

- الطويل توفيق: قصة الكفاح بين روما وقرطاجة، دار النشر الحديثة، القاهرة، د ط، د ت.
- عقون العربي: الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2010م.
- عمارة علاوة: الشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤرخ الفقيه ذو القرن- ملاحظات حول تاريخ الجزائر العام- جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2011م.

- عنان محمد عبد الله: ابن خلدون: حياته وتراثه الفكري، دار الكتب، القاهرة، ط4، 2006م.

- قزال ستيفان: تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007م.
- الكواكبي عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط3، 2006م.

- لانجلوا وسينيبيوس: المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1981م.

- لوبون غوستاف: سر تطور الأمم، ترجمة فتحي أحمد زغلول باشا، تصحيح ونشر توفيق الرافعي، المطبعة الرحمانية، الخرشف، ط2، د ت.

- لوبون غوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

- مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، دت.

- المسعودي الباجي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2013م.

- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1989م.

- الميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

- الوردي علي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان، لندن، ط2، 1994م.

- E.F.GAUTIER: nouvelle éditions, paris, 1952 ,le passé de l’Afrique du nord-les siècles obscurs

ثالثا: المجلات والجرائد

- مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع3، السنة الأولى، 1391هـ/ 1970م.
- جريدة المنتقد، السنة الأولى، قسنطينة، ع3، 1343هـ/ 1925م.

الشيخ محمد علي دبوز ومنهجه في كتابه تاريخ المغرب الكبير

ا.م.د ياسر محمد ياسين البدري
مركز البحوث والدراسات
صلاح الدين- العراق

المقدمة :

للتاريخ أهمية كبرى في حياة الفرد والأمة، حيث أن التاريخ منهج الحياة وتجارب الماضين، ومنه يستلهم العبر والدروس، وإليه نرجع لتفسير وتوضيح كثير من جوانب الحياة وتفسير أسباب النصر والعز والسؤدد، وعوامل الهزيمة والإخفاق، فمن لا تاريخ له، لا ماضي له ومن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل له .

كما يجب على كل حريص على عقيدته وأمته أن يعرف ما يصح من تاريخ أُمته وما ألصق به الدس والأباطيل فالتاريخ الصحيح هو تفتيش نصوص الماضي1.

---

1 - هورس: جوزيف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة: نسيم نصر: ط1 ،عويدات، بيروت، 1974م: ص91 .

لقد خلف لنا أجدادنا ركاما من الحوادث ولم يعن أحد من المصنفين المتأخرين بتحقيق التاريخ الإسلامي القديم، وإنما كانت هذه المواد تلخص عن الطبري، ويزداد عليها أحيانا من البلاذري أو بها حيث انتهى الطبري1 .

وأصبح تاريخنا أمام واقعين مؤلمين:

في المصادر القديمة، وهذه من التجوز أن تسمى تاريخا فهي نثار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث والنتف والملح والخرافات والأساطير والروايات المتضاربة والأقوال المتعارضة2 .

في المصادر الأوربية وخاصة في أعمال المستشرقين، وتلامذتهم المتأثرين بمناهجهم والمرددين لشعاراتهم، المقلدين لهم كالببغاوات 3

لم يبحث التاريخ الإسلامي بحثا علميا صحيحا لأن توجه معظم المؤرخين فيه كان جمع شتات الموضوعات، وضم بعضها إلى بعض

---

1 - جب هـ أ. رجب: علم التاريخ: ترجمة: إبراهيم خورشيد مع آخرين، ط1 ،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م: ص72- 73 ؛ بول ماس: نقد النص: ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة: ص30، مطبوع مع النقد التاريخي: ص300 .

2 - سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ط3، دار الشروق، بيروت، 1399هـ/ 1979م : ص42 .

3 - المرجع نفسه: ص42 .

في كتاب واحد1: (وإذا كان النقد التاريخي، يبدو ضعيفا في دراستنا فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصوراً بسبب النظرة التجزيئية للقضايا والسطحية في التعامل مع الروايات، وعدم وضوح التصور الإسلامي، لحركة التاريخ، ودور الفرد والجماعة .... فضلا على أن الكتب التاريخية القديمة، لا تمدنا بنحو واضح في التحليل والتصور الكلي، بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط)2 .

لقد تعرض تاريخ أمتنا إلى مؤامرة لئيمة كبرى، من قبل أعدائها بعد القرن الثالث الهجري شوهت الصورة الوضاءة لسلفنا الصالح، وأدخلت فيه من الأباطيل والدسائس، جعلت الأمة أن تدفع ثمنا باهضا من وراء ذلك وأصبحت تلك الروايات الباطلة بابا يدخل منها كل مفسد حسود يفرق بها أمر الأمة بعد أن كانت مجتمعة، ويتخذ منها – ما يريد – للنيل من عقيدة المسلمين وشريعتهم وحضارتهم لا بل أصبحت – تلك الروايات – عقيدة ودينا يحتكم إليها أهل الأهواء والبدع وجعلوها من مسلمات التاريخ .

ولذا أصبحت إعادة كتابة تاريخ الأمة دَيْناً في رقاب رجالها ومن

---

1 - عبد المنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة: ص9 .

2 - العمري: اكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1413هـ / 1993م: ج1، ص14 .

هذا المبدأ انطلق الشيخ الاستاذ محمد علي دبوز كتابه منادياً ليبدأ الباحثون المغاربة يدعون إلى كتابة تاريخ وطني قومي بغية إزالة الكتابات الاستعمارية بإبراز عيوب هذا النوع من الكتابة، ومحاولة لإبراز قدرة الباحثين المغاربة على كتابة تاريخهم وماضيهم، ليعتمد هؤلاء الباحثين المغاربة وسائل مختلفة لرصد العيوب التي شابت الكتابة الاستعمارية وإظهار الحاجة إلى إعادة صياغة تاريخ وطني بأيادٍ مغربية.

علاقتي بالشيخ الأستاذ محمد علي دبوز جاءت أولا من خلال بحثي عن المسار التاريخي للإباضية، وبعدها مررت به من خلال جمعي وتعليقي على مقالات الأستاذ أنور الجندي ومن ثم وجدت إشارة للمرحوم اللواء محمود شيت خطاب في إحدى رسائله الخطية يذكر الشيخ الدبوز، وختامها الرسالة التي بعثها لي الاخ الدكتور يحيى بن بهون رعاه الله بخصوص الملتقى. هذه الأدوار جعلتني أقرأ كتابه تاريخ المغرب الكبير بأجزائه الثلاثة وأطلع على مواضيع رصينة وأساليب جذابه في الإعداد والبناء لهذه الامة، والله أسأل أن يوفقني في عرض ما اطلعت عليه على وجه السرعة .

وقد جاء البحث من مبحثين بمطالبهما: الأول (حياته ونشأته وشيوخه وتلاميذه وصفاته ومؤلفاته ومن ثم وفاته) ولم أتوسع بهذا البحث كون الموضوع مطروحاً ومتداولا والمبحث الثاني جاء مخصصا لكتاب تاريخ المغرب الكبير: (عن الكتاب – ما قيل في الكتاب –

منهج المؤلف في كتابة التاريخ – تعريف المؤلف للتاريخ – محاسن الكتاب – مآخذ على الكتاب) ؛ ثم خاتمة للبحث والله أسال التوفيق والسداد في عرض مادته والله من وراء القصد .

المبحث الاول: حياته وعصره

تمهيد:

تدور عجلة الزمن مولدةً على محيطها ما لا نهاية له من الأحداث والمواقف والشخصيات والفوائد. وجرت العادة في بني الإنسان أن يكون لهم اهتمام بما جرى، وكيف جرى، وما تفاصيله، ومن أشخاصه . اهتمام بالتاريخ وإن كان على سبيل الحكاية والقصص لا أكثر، وهذا أمرٌ يحسنه كثيرون، قديماً كان التاريخ فناً من الفنون أو فرعاً من فروع الأدب، فالتاريخ هو تسجيل ووصف وتحليل الأحداث التي جرت في الماضي، على أسس علمية محايدة، للوصول إلى حقائق وقواعد تساعد على فهم الحاضر والتَّنَبُّؤُ بالمستقبل، المؤرخين القدامى تناولوا المصادر التاريخية من زاويتين؛ إحداهما أخلاقية كما فعل السبكي، والأخرى عقلية احترافية كما فعل ابن خلدون.

والمؤرخ هو العالم الذي يدرس ويدون عن التاريخ، ويعتبر مرجعًا في هذا العلم، يهتم المؤرخون بالسرد المنهجي المتتالي والبحث في الأحداث الماضية وعلاقتها بالجنس البشري.

ومؤرخنا رجل من أعلام الفكر العربي الإسلامي في الجزائر، كان

شاعرًا وكاتبًا وصحفيًا وخطيبًا أمضى حياته مجاهدًا في سبيل ثلاث كلمات: اللغة العربية المقدسة، وديننا الإسلامي العظيم، وتاريخنا الإسلامي المجيد1. فهو واحد من تلك " المدرسة " التي نشأت في العالم الإسلامي على إثر سقوطه تحت النفوذ الأجنبي، وكان متعطشا بأن تحرير الوطن لا يتم إلا عن طريق العلم والثقافة وبناء العقول وتربية النفوس، وكان الشيخ محمد علي دبوز في العالم العربي من دعاة هذه المدرسة، وقد امتدت فكرته إلى المغرب كله.

ولادته ونشأته :

محمد بن الحاج علي بن عيسى بن كاسي بن عيسى، ولد بمدينة بريان، ولاية غرداية جنوب الجزائر في سنة 1337هـ الموافق لشهر فبراير من سنة 1919م؛ كان أبوه الحاج علي يشتغل بالتجارة في قسنطينة، كان مثالا في التضحية وخدمة الجماعة وعمارة المسجد و حب العلماء، وتلقَّى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه على الأستاذ المقرئ الشيخ صالح بن يوسف ابسيس.

ثمَّ انتقل إلى القرارة ليلتحق بالبعثة العلمية في أوائل الثلاثينات، ويزاول دراسته الثانوية بمعهد الشباب – معهد الحياة – في أواخر الثلاثينات، ومن أساتذته في هذه المرحلة: الشيخ بيوض، والشيخ شريفي

---

1) موسوعة تاريخ المغرب الكبير، 4/3

سعيد (الشيخ عدُّون)... وغيرهم من أقطاب الإصلاح ورجالاته.

وبعدما أنهى دراسته بالقرارة سافر مع البعثة المزابية إلى تونس، والتحق بجامع الزيتونة حوالي 1942م، وفي سنة 1944م – والحرب العالمية على أشدِّها – قام بمغامرة السفر إلى القاهرة، عبر حدود ليبيا، واضطرَّ إلى قطعها مشيا على قدميه، متنكِّرا في زيِّ أعرابيٍّ، فرارا من الإنجليز.1

مشايخه:

الشيخ إبراهيم بيوض2

الشيخ عدون3

---

1 - ينظر، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) لجمعية التراث (2/ 53) ؛ يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح بالجزائر "الشيخ محمد علي دبوز"، بريان، الجزائر، 1981م، ص12 ؛ إبراهيم بيوض: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 25 -26 .

2 - عبد الكريم بو الصفصاف و أخرون: معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر و العشرون، ج1، مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص313 ؛ قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر "1157-1744" إلى "1382ه- 1962م"، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2011، ص211.

3 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ عدون "سعيد شريفي" بأقلام أصدقائه و أبنائه، المرجع السابق، ص 26.

الشيخ صالح بن ابسيس .1

تلاميذه :

محمد صالح ناصر2

محمد بن قاسم ناصر بوحجام3

بكير بن محمد أولاد بابهون4

صفاته وشمائله :

جميل العبارة والتقرير، حسن الأسلوب والتعبير، شيخَ تعليم، وحَبْرَ تفهيم، كثير التوغل في الإيضاح والإيغال، حريصًا على تفهيم الطالب، يودُّ بذلك كنوز العلم وما فيه من المطالب، له قدرةٌ على الإفادة، ورد الدرس والإعادة .

---

1 - إبراهيم بيوض، حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، ص27.

2 - موقع تراث،
HTTPS://WWW.TOURATH.ORG/DRMOHAMEDSALAHNACER.HTML

3 - د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز، ص7 ؛ موقع جريدة الرؤية الالكترونية، HTTPS://ALROYA.OM/POST/207448.

4 - مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية من القرن 1هـ إلى القرن 15هـ، المجلد الثاني، جمعية القرارة، الجزائر، 1999م.

خطيبا مصقعا بليغا، يقف على قدميه الساعات الطوال، يحاضر ويخطب بلغته الأدبية الجميلة الغنية بالنكت الخفيفة والدعابات المرحة. سريع التلقي شخصيته مرحة تميل الى النكتة والطرفة والدعابة الظريفة .

كما يعتبر الأب الروحي للأسابيع الثقافية السنوية ببريان، بمحاضراته التاريخية المفيدة وخطبه الأدبية الرائعة. وكان مثالا للنظام والانضباط والحرص على الوقت والمحافظة على المواعيد .1

حياته العلمية :

بعد نجاحه، رَابَط بدار الكتب المصرية قارئا، والتحق بجامعة القاهرة مستمعا، إذ لم يكن يمتلك الشهادة التي تخوّل له الالتحاق بها رسميا. وفتحت القاهرة أمامه آفاقا علمية رحيبة، فتخصَّص في دراسة: التاريخ، والأدب، وعلم النفس. وتعرَّف على الأدباء المصريين أمثال محمَّد عطية الأبراشي، وأنور الجندي. وحضر محاضراتهم وندواتهم الفكرية.

وفي سنة 1948م عاد إلى وادي مزاب، والتحق بمعهد الحياة معلِّما، فاستُقبل باحتفال عظيم، باعتباره من بواكير معهد الحياة الذين

1) أنور الجندي، الفكر والثّقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، ص311.

طرقوا أبواب الجامعات، وإن لم يتحصَّل على شهادة رسمية. قام بدور كبير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، وأدخل موادَّ جديدة، مثل: علم النفس والتربية.

سعى سعيا حثيثا للتعريف بالمعهد داخل الوطن وخارجه، وكابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد، فتمَّ له ذلك بعد عدَّة محاولات مضنية في شهر جانفي 1963م .

تخرَّجت على يده أفواج من الطلبة والباحثين، وفي مجال التأليف برز الشيخ وسطع نجمه، ومن أعماله: مشاركته بقلمه الأصيل في نشر عدَّة مقالات في جريدة البصائر، لاسيما ما بين 1948-1955م . وقد نشر الدكتور محمَّد ناصر نماذج من هذه المقالات في كتابه: «الشيخ محمَّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ . وعكف على كتابة تاريخ المغرب الكبير، بأسلوب جديد، وقام بجولات عبر الوطن وخارجه لجمع المادَّة الخبرية، من المكتبات العامة والخاصة، ومن أفواه العلماء بصفة خاصَّة. وفي سنة 1962م – وبعد الاستقلال مباشرة – بدأ في نشر كتبه، فتلاحقت هذه المجموعات الضخمة.

مؤلفاته:

تاريخ المغرب الكبير، في ثلاثة أجزاء1.

نهضة الجزائر الحديثة »، في ثلاثة أجزاء (مط)، عدد الصفحات 286 2.

أعلام الإصلاح في الجزائر »، في خمسة أجزاء(مط)، عدد الصفحات302 3.

وقد ترك مكتبة ثرية، غنية بمختلف الوثائق المصوَّرة والمسجَّلة، حافلة بالدراسات والمقالات، تنتظر الدارسَ الجادَّ ليواصل إخراج تراث الشيخ إلى الوجود.

وفاتــه:

انتابه مرض عضال، وانتقل إلى رحمة الله بمسقط رأسه بريان في (16 محرَّم 1402هـ / 13 نوفمبر1981م)، فدفن بها . غاب الشيخ الأستاذ

---

1 - مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1963م ؛ الطبعة الأخرى حتى قامت مؤسسة تاوالت الثقافية بإعادة طباعته وتصفيفه على نفقة سعيد خليفة الختالي، 2010م .

2 - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر، المطبعة التعاونية، 1965م؛ المطبعة العربية، 1969م .

3 - محمد علي دبوز، أعلام الاصلاح في الجزائر، قسنطينة، مطبعة البعث، 1974م.

محمد علي دبوز الجامع المبدع بين الإخلاص لمبادئه الوطنية العربية والمخلص لقواعد المنهج العلمي في كتابة التأريخ، ولفقدانه فقدت مدرسة إعادة كتاب التاريخ العربي واحدًا من أهم روادها الذين قدموا حياة زاخرة بالدراسات النقدية للتاريخ العربي والتي ألقت ضوءاً جديداً علي تاريخ الأمة العربية، ومن الله التوفيق1 .

المبحث الثاني: موسوعة تاريخ المغرب الكبير:

تمهيد :

لاشك أن لكل كاتب منهج، ولكل مؤلف طريقة، ولكل باحث في عرض موضوعه نهج، والأستاذ محمد علي دبوز، بدأ حياته الأدبية في هذا القرن أديباً ومؤرخاً، ثم جرى أشواطا في هذه الفترة فقرأ وسافر وشاهد وجرب حتى استوى أسلوبه ومنهجه على هذا النحو الذي نراه في موسوعته وآثاره الوافرة، وإذا كان لكل كاتب مزاج أو طابع أو مفتاح شخصية فالأستاذ محيط أشد الإحاطة بما ألف في هذا الموضوع أو ذاك، وهو عارف بالمؤلفين وعصورهم وآثارهم، مهما تقاربت أسماؤهم أو تشابهت ألقابهم، وهو عارف بمناهج الباحثين والكتاب

1- ينظر، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) لجمعية التراث (2/ 53) ؛ يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح بالجزائر"الشيخ محمد علي دبوز"، بريان، الجزائر، 1981م، ص12 ؛ أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، 309، 311 ؛ أنور الجندي: مفكرون أدباء، 248 *جريدة البصائر: الأعداد 20، 77، 217، 250، 312، من سنة 1948 إلى 1955م .

ودقائق أعمالهم، وقد عاش عمراً طويلاً مديداً بإذن الله في هذه البوتقة الضخمة: بوتقة المؤلفين والتأليف، واستطاع أن يستخرج من هذا الحصاد الضخم أعمالا هامة، قربت الى الشباب والمثقفين كثيراً مما انطوى في بطون الكتب، وقدم للباحثين المتخصصين عديداً من الحقائق التي كانت ولا تزال بمثابة الاضواء الكاشفة على طريق البحث الأدبي . ومن هنا كان الاهتمام بكتابه (موسوعة تاريخ المغرب الكبير).

تعريف بالكتاب:

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول منه في (382) صفحة من المقاس المتوسط، ابتدأ بكلمة المؤلف والتي افتتحها بقوله: أهيب بعلماء المغرب وأدبائه وحكوماته أن يهبوا لكتابة تاريخهم القديم والحديث1. وأشتمل على ثمان موضوعات أولها: (المغرب الكبير: حدوده وأقسامه وطبيعته) وثانيها: (السكان الأولون للمغرب الكبير)، وثالثا: أفرد دراسة خاصة (بالبربر: أصلهم وشخصيتهم) والرابعة تكلم عن (الدولة البوينيقية) والخامسة توسع في دراسة الدولة البربرية الكبرى، والسادسة: تحدث عن العهد الروماني بالمغرب، وختمها بالسابعة عن العهد البيزنطي بالمغرب أيضا ؛ أما الجزء الثاني فقد جاء في (412) صفحة من المقاس المتوسط أيضا ويتكلم عن الحقبة

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، 1 / 3 .

الإسلامية ابتداءاً من الفتح الاسلامي للمغرب وانتهاءً بانقراض الدولة الأموية ومدنها في المغرب ؛ أما الجزء الثالث فقد جاء في (541) صفحة من المقاس المتوسط أيضا بأربعة موضوعات أولها الدولة العباسية وثانيها نشأة الدولة الإباضية وثالثها دولة أبي الخطاب ورابعها الدولة الرستمية .

سبب تأليف الكتاب[1]:

عدم وجود كتاب مدرسي للمدارس الثانوية في تاريخ المغرب.

تصفية أبواب تاريخ المغرب التي كدرتها ودنستها أكاذيب الملوك القدماء ودعايات المستعمرين وسمومهم .

إقبال التلاميذ على جمع ملخصات ألقها المؤلف في دروسه وانتشاؤهم بدراستها ورغبتهم فيها.

إنشاء بحث علمي نزيه في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي يليق للمطالعة.

ما قيل في الكتاب :

وهو أوَّل كتاب في التاريخ يصدر باللغة العربية في الجزائر بعد الاستقلال،

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، 17/2 .

وقصة تأليف الكتاب وما عانى المؤلف من أجل الحفاظ على مسودة الكتاب1، وهذا يذكرني بأيام الاحتلال الامريكي لبلدي العراق وتفتيشهم دورنا والعبث بها وبمكتباتنا :

يقول محمد علي دبوز: إن هذا الكتاب لا يقدم إليك التاريخ الجاف على الحوادث الغامضة المبهمة كما فعل المؤرخون الذين لا يعرفون عظمة التاريخ والمقاصد السامية التربوية والاجتماعية التي يحققها بل قدم الحوادث مقرونة بعللها ويحلل تلك الشخصيات. 2

وقال: سوف لا تدرك الملل في هذا الكتاب يا صديقي فالأسلوب الأدبي والتحليل الفلسفي والبحث العلمي النزيه ستجعلك تستقصر فيه الزمن الجميل . 3

وقال: لقد صغت هذا الكتاب من دمي ودماغي وعانيت الجهد والمشقة والبحث والتأليف ما لا يعلمه إلا من عانى مشقة البحث النزيه4.

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 2/20-21.

2 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 3/6.

3 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 6 و 3/9.

4 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 6 /3.

قال عنه المفكِّر أنور الجندي: «تعدُّ موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدلالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حين يقوم مؤرِّخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال، مراجعا كلَّ ما كتب في هذا الصدد، كاشفا عن عشرات من الحقائق التي شوَّهها المؤرِّخون والكتب.[1]

يقول الشيخ محمد عطية الأبراشي حول كتاب " تاريخ المغرب الكبير": والحق أن الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة إلى من يقدمه، فمادته غنية كل الغنى، تدل على سعة الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة، للوصول إلى الحق، والحق وحده، كما تدل على المجهود الكبير الذي بذله في تأليفه، وتخليصه من الأكاذيب التي دسها الكتاب من المستعمرين، وهو أول كتاب عربي جزائري يطبع بعد الاستقلال في أكثر من 1520 صفحة، وهذا جهد يذكر بالشكر والتقدير ؛ ويقول: «هذا أوَّل كتاب صفَّى تاريخ المغرب من زيف السياسة القديمة والاستعمار اللاتيني».[2]

---

1 - مقال نشره الشيخ أنور الجندي موسوعة تاريخ المغرب الكبير، مجلة الآداب، يونيو 1963.

2 - القاهرة جزيرة الروضة 7 نوفمبر 1964 - 3 رجب 1384. محمد عطية الأبراشي.

يقول الشيخ علي يحي معمر النفوسي: يقول: ((... لمعرفتي للمؤلف، وأساليبه في البحث، وتعمقه في الدراسة، واعتماده على التحليل النفسي للمجتمعات في إصدار الأحكام ...بأسلوب أدبي، وبحث فلسفي، معللا كل الأحداث وهو ما لا تجده في كتابٍ آخر غيره... قرأت هذا الجزء1.

يقول الدكتور محمد صالح ناصر :: (..وبفضل الجهد العظيم المتواصل الذي استمر خمسا وعشرين سنة، أخرج إلى النور هذه الموسوعة التاريخية من تاريخ المغرب الكبير بأجزائه الثلاثة أيضا، وأعلام الإصلاح في الجزائر بأجزائه الخمسة2.

يقول الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام : ... نظر الأستاذ محمد علي دبوز إلى تاريخ المغرب العربي فوجده عبارة عن شطحات المستشرقين، ودسائس المستعمرين، وسموم المغرضين فتأكد لديه وجوب العمل على تصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق)3.

قال الشيخ سالم السيابي: كما قام بكشف المرام و تحقيق المقام،

---

1 - في بحث مطول بمجلة الأزهر، يبين فيه قيمة كتاب تاريخ المغرب الكبير.

2 - في مقاله: الشيخ محمد علي دبوز وتاريخ المغرب الكبير.

3 - المؤرخ الجزائري محمد علي دبوز في ذكراه السادسة جامعة باتنة نشره في مجلة النهضة العمانية.

العالم الحر الغيور الصادق في قوله و فعله، الهمام محمد علي دبوز صاحب " تاريخ المغرب الكبير " في غضون كتابه الجليل، أبدى فيه عن الإباضية الدرر المصون، والجوهر المكنون، والحقَّ الذي لا يمترى فيه أهل النهى، و قد حَلَّلَ المشاكل الموجهة ضد الإباضية تحليلاً لا مزيد عليه، و بيَّن أعمالهم الدينية والدنيوية بياناً يلجم أهل العناد بلجام القهر، و ينشر عليهم علم الحقِّ، الذي نشأت عليه نشأة الإباضية، و بَلَجَ تُرَّهَاتَ الغالين فيهم، و المتمردين عليهم من الجهلاء، والعتاة على الحقِّ، و يفتح آذاناً أغلقها التقليد، و عيوناً أعمها التضليل، و السنةً عرقلها العدوان[1] .

وما لبث الكتاب (تاريخ المغرب الكبير) أن استقبل استقبالا حافلا في الأوساط الثقافية مشرقا ومغربا، فتكلمت عنه الإذاعات العربية، وكتبت عنه جريدة الأهرام، ومجلة الأزهر ومجلة الآداب والأديب، ومجلة العلوم، ومجلة العربي، وغيرها[2].

منهجه في كتابة التاريخ:

المؤرخ الشيخ محمد علي دبوز – رحمه الله – كاتب في التاريخ متمكنًا في اللغة، مجيدًا في فن الكتابة، بارعًا في أسلوبها وأسرارها،

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 364/2 ؛ العرى الوثيقة، ص 267.

2 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 7/1.

وكلما كان الكاتب متفوقًا في أدبيته كانت تجرِبته في كتابة التاريخ أكثر حيوية وأبلغ أثرًا، وقد انطبع في كتاباته على ذلك، فكانت لديه قدرةٌ بلاغية، وأسلوبٌ جميل، وبيانٌ معبر، مع قدرة المؤرخ، وذوق الأديب، مما ساعد في التأثير على القراء في مشاعرهم وعواطفهم ،وتحقق للنص التاريخي صياغة تلك التجرِبة مرة أخرى لتنبعث في أوساط القراء حية محسوسة فاعلة، مع تقوية عوامل الاستجابة، وتمكين الأثر المنشود في نفوس القراء وسلوكهم، إذا هو مؤرخ وأديب وموسوعي ومنصف ومدافع، ويمكن تحديد ملامح منهجه وطريقته في كتابة التاريخ بصورة موجزة على النحو الآتي:

الأسلوب الأمثل في عرض المادة التاريخية: وذلك بأن يتبع طريقة علمية رصينة، مستفيدًا مما كتبه المؤرخون مما أسس على مصادر صحيحة، مع الاستقراء والتحليل والتعليل ؛ فهو يخضع المعلومات التاريخية لأدوات التمحيص والنظر، دون التأثر بالشبه والأهواء والدوافع المختلفة، ومن هنا فقد جاءت كتاباته بعيدة عن الحشو والحشد، يختار الأحداث المهمة والوقائع البارزة ليرصدها ويعرضها بأحسن صورة، مع جزالة الألفاظ ودقة العبارة.

التحليل والتوجيه والتعليق والمقارنة والاستنتاج: وهذه الجوانب تُعَدُّ أثرًا لعميق فكره، وموضوعية نظرته، وسلامة منهجه.

اهتمامه بتصوير البيئات المختلفة في جميع العصور التي تناولها في

كتابه وقد اهتم كثيرًا بهذا الجانب، مع استلهام العبر في تلك العصور.

الموازنة بين الجانب العلمي والجانب التربوي: فكتاباته جامعة بين هذين الجانبين، بحيث لا يطغى أي منهما على الآخر، فيجد القارئ الجانب العلمي في عرض المادة التاريخية، والجانب التربوي في الصياغة الأدبية المؤثرة.

عنايته بالجانب الجغرافي في عرض المادة التاريخية: فهو يعتني كثيرًا بالجغرافيا البشرية للأماكن والبلدان؛ وذلك لعلاقة الإنسان ببيئته، وعلاقتها به، وأثره على تلك البيئة، ويبحث فيها أنواعها المختلفة ؛ كالجغرافيا السكانية، والجغرافيا السياسية، والجغرافيا الاقتصادية، وأيضًا يعتني كثيرًا برسم الخرائط الجغرافية التي تضفي هذا الجانب.

الإحساس بواجب الدعوة الإسلامية نحو الأمة من خلال التاريخ: فهو شديد الصلة بالدعوة الإسلامية، وجعل منها موضوعًا متماسكًا في كتاباته، مع إسباغ إحياء آثارها في النفوس ؛ لإنقاذ المجتمعات من الانهيار الخُلقي، والتدهور الاجتماعي.

مجاورة العقل والعاطفة: فلا يكون الخلط بين البحث العلمي والإيمان والعاطفة على حساب كلٍّ منهما، مع الحاجة إليهما في قضايا التاريخ وحوادثه.

وضع تشجيرات خاصة بالأنساب: وذلك في أنساب الشخصيات

التاريخية البارزة، توضح أصولهم وفروعهم، يراها القارئ في سلسلة الخلفاء.

وضع العناوين الدالة: وهذا منهجٌ سار عليه في مراحل كتاباته ؛ فهي توجز كثيرًا من المفاهيم المعبرة، والمعاني المنطوية على الخلاصة والنتيجة.

هدفه تبصير الأجيال بتاريخهم المجيد وإزالة الظلامات التي خيمت عليه .

ينبه إلى دراسة الشخصيات التاريخية التي لها تأثير في الحياة والعوامل التي ساعدت على ظهور هذه الشخصيات.

التنبيه إلى وجوب السفر إلى أماكن التاريخ لمعرفة الحقائق .

التنبيه إلى عدم تقليد المحدثين وتقصيرهم في البحث والاستقصاء .

الاستشهاد بالأبيات الشعرية .

تبيين أخطاء المؤرخين في الحوادث في كل عصر أو دولة او شخصية.

الزهد في دراسة تاريخ الغير إلى ما بعد التشبع بتاريخنا لتجنب المزالق

والدسائس. 1

المبحث الرابع: مصادر المؤلف:

إن لِسَعة علم الشيخ محمد علي دبوز وتنوع معارفه مَكَّنَاهُ من الاطلاع على مؤلفات كثيرة في مختلف فنون العلم، ولهذا من الصعب إيراد جميع أسماء الكتب التي ينقل عنها سوى ما ذكره هو من خلال قائمة المصادر والمراجع في كل جزء نوجز منها أهم المصادر التي رجع إليها واستقصى منها كثيرا عدا المراجع فهي كثر ايضا ذكرها في قوائم كل جزء:

البداية والنهاية لابن كثير.

البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذاري المراكشي

الأزهار الرياضية لسليمان بن عبد الله الباروني

أسد الغابة لابن الاثير

الحلل السندسية في الأخبار التونسية لمحمد الأندلسي المشهور بالوزير

العبر في ذكر المبتدأ والخبر لابن خلدون .

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، 16/1

الكامل في التاريخ.

المسالك والممالك للبكري.

المغازي للواقدي .

المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس للرعيني.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن الأتابكي.

تاريخ الأمم والملوك للطبري.

سيرة الأئمة الرستميين لابن الصغير .

سير المشايخ لأحمد بن سعد الشماخي .

طبقات الدرجيني.

فتوح البلدان للبلاذري .

فتوح مصر والمغرب لابن الحكم.

مروج الذهب للمسعودي.

مخطوط تاريخ الخوارج لأبي إسحق إبراهيم طفيش .

معجم البلدان.

نهاية الأرب للنويري.

وصف افريقيا والأندلس لابن فضل الله العمري.

وفيات الأعيان لابن خلكان.

تعريف التاريخ:

- ✓ التاريخ هو الذي يحفنا ببيئة اجتماعية راقية من أجدادنا فنعاشرهم ونتأثر بأخلاقهم. 1
- ✓ التاريخ أكبر عامل في التربية الخلقية وأقوى سبب يخلق الأخلاق العظيمة في النفوس. 2
- ✓ تاريخ الأجداد يجب الاعتناء به فهو الذي يؤثر فينا وفي تربيتنا في البيوت والمدارس والمجتمع. 3
- ✓ التاريخ هو الذي يمكننا في التربية من اختيار البيئة الاجتماعية الصافية الراقية. 4
- ✓ التاريخ هو يجسد غرس الأخلاق الحسنة والذود عن الأخلاق

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، 7/2.

2 - تاريخ المغرب الكبير، 8/2.

3 - تاريخ المغرب الكبير، 9/2.

4 - تاريخ المغرب الكبير، 10/2.

السيئة من دروس الاخلاق النظرية ومن الوعظ والإرشاد. 1

- ✓ التاريخ يقدم الفضيلة مصحوبة بعاقبتها الحسنة. 2
- ✓ التاريخ للاتعاظ والاعتبار فيجب ان نقف في هفوات الأجداد وما أثار الأعاصير عليهم. 3
- ✓ التاريخ أكبر وسيلة للتربية العقلية والخلقية وأعظم عامل يحرك الشعوب وينهضها. 4
- ✓ التاريخ أصعب الفنون رسوخا في الذاكرة وبقاء في الحافظة. 5
- ✓ التاريخ هو الفن العظيم الذي حرمنا وحرمه علينا الاستعمار البغيض منه وحرمه علينا. 6

---

1 - تاريخ المغرب الكبير، 12/2.

2 - تاريخ المغرب الكبير، 12/2.

3 - تاريخ المغرب الكبير، 13/2.

4 - تاريخ المغرب الكبير، 14/2.

5 - تاريخ المغرب الكبير، 16/2.

6 - تاريخ المغرب الكبير، 17/2.

محاسن الكتاب:

لقد ناقش الكاتب فوائد وثمرات دراسة التاريخ ومنها إدراك السنن الربانية، والأهداف التربوية، والتعرف على معالم تاريخ الإنسانية، وتأكيد كمية من الحقائق المهمة في حياة البشرية، وكذلك الصبر على المحن منها :

إن الدين هو الذي يلجم النفوس فتقف في حدودها، ويضبط الغرائز فلا يندفع صاحبها إلى الموبقات، ويحمل صاحبه بدافع الخوف الشديد فيتَّسم بالصلاح، ويأتي الأعمال الحسنة الكريمة التي تسعده وتسعد المجتمع معه.

وما خلا مجتمع من الدين، إلاَّ سادت فيه الرذيلة وامتنع فيه الاستقرار والهناء، وما تجرَّدت دولة من الدين، إلاَّ كان تجرُّدا لها من الروح الذي تحيا به فتكون في الحياة جيفة نتنة خبيثة، لا تمور إلا بالديدان والنتن من موبقاتها، ويسلِّط الله عليها كلَّ الحشرات من أعدائها فترتع فيها كما تريد.1

ذكر دور الأم في التاريخ حيث أفرد مبحثا في اغفال دور المؤرخين

1 - تاريخ المغرب الكبير، ج1 ص142.

للأم في تاريخ العظماء. 1

إنَّ حياء المرأة هو الذي يخلق الورد الجميل في محيَّاها والفتور الساحر في عينيها، فتكون بهما لا بالمساحيق والكحل جذَّابة، تستهوي قلب الرجل وتستأثر به وتثير احترامه وإعجابه بها. 2

ذكر المرأة المسلمة في النضال لنصرة الجمهورية الإسلامية،وأثرها في القوى في المجتمع، وتضحيتها في سبيل الجمهورية3.

الدعوة إلى الإسلام وإلى معرفة تاريخه، والمحافظة على التقاليد والعادات الإسلامية التي تميِّز المجتمع المزابي، كما يتناول بالتحليل الدقيق الظواهر الاجتماعية ويبحث في القضايا العامة.

يتميز بدعوته إلى الاهتمام بالفلاحة والعناية بالنخلة خاصة.

ترغيب الشباب للعمل في التجارة التي يعتبرها مدرسة لتكوين وتربية الأجيال الناشئة.

دعوة المثقفين إلى كتابة التاريخ الوطني: إنَّنا إذا لم نكتب تاريخ

1- تاريخ المغرب الكبير، ج1 ص142.

2 - تاريخ المغرب الكبير، 140/2.

3 - تاريخ المغرب الكبير، 3/ 274.

الجزائر الحديث من الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال فيما بقي من العقد الذي نحن فيه للقرن العشرين، فإنه يضيع بوفاة مصادره أو عجزهم لأنه في حافظتهم.1

ذكر النظام العشائري ودوره الديني والعلمي والاجتماعي الاقتصادي.2

ذكر نظام البراءة وهو أقسى من السجن والجلد والتغريم. 3

الملحوظات على الكتاب:

أي جهد بشري يوجد عليه عدة ملحوظات وانتقادات الطريقة التي سجل الشيخ محمد علي دبوز تاريخه ليس معناه قلة معرفته بالتاريخ كلا وألف كلا وإنما سعة جعبته ووعائه من المعلومات التاريخية وأساليبه الأدبية وحفظه للمعلومات التي أراد إفراغها بسرعة وإظهارها للناشئة ليصحح ما تجنى به المؤرخون المحدثون المتأثرون بمنهج الغربيين الظلاميين أدى الى هفوات منهجية لا علمية .

لقد كان العمل في هذا الكتاب شاقا صعباً - لقلة المصادر التي بين يديه – لا سيما ما نقله لنا الاستاذ أنور الجندي رحمه الله من صورة

---

1) أعلام الإصلاح في الجزائر، 10/2.

2) تاريخ المغرب الكبير، 194/3.

3) تاريخ المغرب الكبير، 194/3.

المعاناة قائلا: وقدْ صور المؤلف كيف كان هذا العمل صعبا كل الصعوبة[1] . وهذا لا يعد مأخذا بقدر ما يعتبر منهجية الزمان الذي كتب فيه .

وكذلك قول المؤلف رحمه الله تعالى: (وقد بذلت في تصحيحه ولكن يستحيل أن يسلم إنسان من اللحن وكتاب من الغلط المطبعي) [2].

الخاتمة :

أن الثقافة العربية الحديثة ستذكر جهد هذا الرجل الذي عاش في القرن العشرين، وخدم تاريخ المغرب الكبير عامة والجزائر خاصة خدمة نوعية متميزة ستبقى كتاباته وآثاره مراجع أساسية للباحثين والدارسين على مدى زمني طويل . وأن الجزائر قد كسب في القرن العشرين مؤرخا يكتب تاريخا حافلا عنه. ولا يمكنني بهذه المناسبة التي نعتز بها ونحن نتكلم عن أشهر مؤرخ كتب تاريخ المغرب الكبير بأقطاره الأربعة عامة والجزائر المعاصر خاصة من دون أن نزجي إليه تحية خاصة اعتزازا بذكراه ووقفة إجلال وإكبار للمؤرخ محمد علي دبوز رحمه الله الذي خدم التاريخ والإنسانية خدمات لا يمكن ان تنسى ابدا.

كتاب (تاريخ المغرب الكبير) إن دل على شيء فإنما يدل على همة

---

1 - مقال نشره الشيخ أنور الجندي موسوعة تاريخ المغرب الكبير، مجلة الآداب، يونيو 1963.

2 - تاريخ المغرب الكبير، المقدمة، 26/2.

عالية للمؤلف، همة لا تعرف الكلل همة مباركة قصد بها وجه الله وإعلاء كلمته وإظهار مجد المسلمين والعرب وهو كتاب جدير بان يدرس بالجامعات وأن يقرأه كل من يريد معرفة أمجاد أمته في بلاد المغرب وكيف كانت، وما اصبحت عليه اليوم.

يحمل كتاب تاريخ المغرب العربي الكبير دعوة حارة الى الوحدة: (ان المغرب كان وطنا واحدا يسكنه شعب واحد . لم يعرف هذه التجزئة التي صار اليها المغرب الان).

الشيخ محمد علي دبوز أحد المؤرخين الذين سعوا بكل عزم وحزم لتصحيح الاخطاء التي زرعها الظلاميون ومؤرخو البلاط في تاريخ المغرب وقدمه مهذبا للجيال القادمة.

المصادر والمراجع :

إبراهيم بيوض: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.

بول ماس: نقد النص: ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة.

جب هـ أ. رجب: علم التاريخ: ترجمة: إبراهيم خورشيد مع آخرين، ط1 ،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.

سالم بن حمود السيابي، العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة،

سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ط3، دار الشروق، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

عبد الكريم بو صفصاف و آخرون: معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر و العشرون، ج1، مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002.عبد المنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

العمري: أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1413هـ / 1993م .

قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر "1157-1744" إلى "1382ه- 1962م"، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2011.

محمد علي دبوز،

موسوعة تاريخ المغرب الكبير، مطبعة الابي الحلبي، القاهرة، 1963م.

نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر، المطبعة التعاونية، 1965م؛ المطبعة العربية، 1969م.

أعلام الإصلاح في الجزائر، قسنطينة، مطبعة البعث، 1974م.

- محمد بن قاسم ناصر بوحجام: الشيخ عدون "سعيد شريقي" بأقلام أصدقائه و أبنائه.

د. محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند الشيخ محمد علي دبوز.

مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية من القرن 1هـ إلى القرن 15هـ، المجلد الثاني، جمعية القرارة، الجزائر، 1999م.

هورس: جوزيف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة: نسيم نصر: ط1 ،عويدات، بيروت، 1974م .

يوسف الواهج، من أعلام الإصلاح بالجزائر "الشيخ محمد علي دبوز"،

بريان، الجزائر، 1981م.

الدوريات:

أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا.

أنور الجندي: مفكرون أدباء، 248 *جريدة البصائر: الأعداد 20، 77، 217، 250، 312، من سنة 1948 إلى 1955م .

الشيخ أنور الجندي موسوعة تاريخ المغرب الكبير، مقال نشره، مجلة الآداب، يونيو 1963.

القاهرة جزيرة الروضة 7 نوفمبر 1964 - 3 رجب 1384. محمد عطية الأبراشي.

بحث مطول بمجلة الأزهر، يبين فيه قيمة كتاب تاريخ المغرب الكبير.

المؤرخ الجزائري محمد علي دبوز في ذكراه السادسة جامعة باتنة نشره في مجلة النهضة العمانية .

المواقع الالكترونية :

موقع تراث،

HTTPS://WWW.TOURATH.ORG/DRMOHAMEDSALAHNACER.HTML

موقع جريدة الرؤية الالكترونية،

.HTTPS://ALROYA.OM/POST/207448

بناء الأحداث التاريخية عند محمد علي دبوز
-قيام الدولة الرستمية نموذجا-

أحمد بوشامة
جامعة غرداية

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية، إلى معالجة جزء مهم من المنهج العام الذي اعتمده محمد علي دبوز في كتابه "تاريخ المغرب الكبير"، وهو طريقته في بناء الأحداث التاريخية، ولحصر هذا الموضوع بشكل أكبر، ثمَّ التركيز على الأحداث المرتبطة بقيام الدولة الرستمية. ولذلك حاول هذا المقال؛ إعطاء صورة مختصرة عن مضمون هذا الكتاب، والسياق التاريخي لتأليفه، ثم الانتقال إلى تناول الأسس التي اعتمد عليها الشيخ محمد علي دبوز في رسم صورته التاريخية عن قيام الدولة الرستمية؛ وهي في المجمل مقسمة إلى قسمين: الأول؛ تتمثل في المصادر والمناهج المساعدة. والثاني؛ في الخلفيات الفكرية والأسلوب الأدبي الذي صبغ به بناءه الاسترادي.

الكلمات المفتاحية: الدولة الرستمية، بناء الأحداث التاريخية، الملوكيون، الجمهوريون، المفاهيم المعاصرة.

Abstract:

This research paper seeks to address an important part of the general approach adopted by Mohamed Ali Debbouz in his book "History of the

Great Maghreb", which is his method of building historical events, to further narrow this topic, then focus on events related to the establishment of the Rustamid state. So I tried this article. Giving a brief picture of the content of this book and the historical context of its authorship, then moving on to dealing with the foundations upon which Dabbouz depended on drawing his historical picture of the establishment of the Rustamid state, In general, it is divided into two parts: the first; Examples are sources and auxiliary approaches. The second in the intellectual backgrounds and literary style in which it retained its building.

Key words: The Rustamid state, Building Historical events, The Royalists, The Republicans, Contemporary concepts.

مقدمة:

يعتبر كتاب "تاريخ المغرب الكبير" للشيخ محمد على دبوز؛ من الكتب المشهورة في الأوساط الأكاديمية لتاريخ المغرب الوسيط، وقد أضحى من المؤلفات الكلاسيكية التي تعوّد الباحثون الاعتماد عليها في أبحاثهم، ولذلك يمكن القول إن دبوز من خلال مؤلفه هذا ساهم في بلورة الفكر التاريخي، خاصة لجيل من الباحثين الذين برزت كتاباتهم في الثلث الثالث من القرن العشرين. ولعل مما ساهم في انتشار هذا

الكتاب؛ البناء الأسلوبي والفكري الذي انتهجه، سواء في سرد الأحداث، أو في صياغة قناعاته التي يُريد إيصالها للقارئ.

وعلى هذا الأساس، يحاول هذا المقال، تسليط الضوء على المنابع المصدرية، والمفاهيم المصطلحية التي اعتمد عليها دبوز في بناء الصورة التركيبية التي بنى عليها نصه التاريخي، وهذا من خلال نموذج الأحداث التاريخية التي مهدت لقيام الدولة الرستمية.

-"تاريخ المغرب الكبير" قراءة في ظروف التأليف ومضامين الكتاب:

جعل الشيخ محمد علي دبوز لعلم التاريخ مكانة كبيرة، فهو حسبه منبع للتربية الأخلاقية الفردية والمجتمعية، وأداة للاتعاظ، والاعتبار، وأساس للنهضة، والرقي، والاعتزاز، وقد وضح هذه المعاني في مقدمة الجزء الثاني من كتابه "تاريخ المغرب الكبير"[1]، فممَّا قاله عن أهمية التاريخ، وفائدة دراسته:" فإنّ التاريخ هو الذي يحفنا ببيئة اجتماعية راقية من أجدادنا فنعاشرهم، فنتأثر بأخلاقهم، ونتطبع بطباعهم، ونحسّ بوجدانهم في خطبهم، ورسائلهم، ووصاياهم، وأحاديثهم، فيكون وجدانا لنا يُذكي فينا الحماس لمثلهم العليا؛ فنعمل

[1] دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م، 2010، ص3-14. وللإطلاع أكثر عن دوافع ومنهجية الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز. انظر: بوحجام محمد ناصر، مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز، نشر جمعية التراث، القرارة-الجزائر، 2011؛ نفسه، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتاب التاريخ، دار العث، قسنطينة-الجزائر، د،ت.

لتحقيقها. والرغبة في طريقتهم المثلى، وفي نهجهم القويم؛ فنتمسك به، ونندفع فيه، فنصل الدرجة الراقية التي كان عليها الأجداد، ونكون مثلهم في العزة والإباء، وفي الطموح والمحاولة، وفي العمل والكدِّ، وفي الإخلاص والإتقان، وفي العمل لله. وتلك هي أسباب النجاح والتفوق، وعوامل القوَّة والتقدم"[1]. وعلى هذا الأساس؛ حثَّ الشيخ محمد علي دبوز على ضرورة الاهتمام بالتاريخ، تأليفا وتدريسا، وأن تكون طرق تدرسه، مميزة ومبتكرة، تجمع من ناحية الغاية؛ في ترسيخ البعد الهوياتي، ومن ناحية المنهج؛ بالتحليل العلمي العميق، والأسلوب - الكتابي أو الخطابي- الرفيع، وهذا لتصل فائدته للدَّارس[2].

وقد عاصر الشيخ محمد علي دبوز فترة كانت فيها بلاد المسلمين بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة، حرجة للغاية، تمثلت في رُزوحها تحت نير الاستعمار، الذي عملت أجهزته الثقافية والتعليمية على طمس كلِّ ما له علاقة بالهوية المحلية الأصيلة، وحتَّى لمَّا أخذت العديد منها الإستقلال، ومنها الجزائر سنة 1962م، بقيَّ هذا الإرث جاثما على عقول الكثير من أبنائها. ومن الأمور التي تحدث عنها الشيخ محمد علي دبوز في هذا السياق، الكتابات

---

[1]- تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص7-8. وقد نوَّه أيضا بأهمية التاريخ في كتابه أعلام الإصلاح في الجزائر، مما يدل على أنّ الاعتماد على التاريخ عنده كان منهجا يصبو لإيصال فلسفته الفكرية والتربوية. انظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، في محمد علي دبوز حياته وآثاره، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 2013م، ص10-11.

[2] - تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص14-18.

الكولونيالية التي شوهت التاريخ الإسلامي، ووظفته لخدمة مصالحها الاستعمارية، وكذلك مراقبة الإدارة الفرنسية للمدارس العربية الإسلامية لما تقدمه في مادة التاريخ الإسلامي، والسعي لتضيق الخناق عليها، وباعتباره كان أحد المدرسين لمادة التاريخ في هذا النوع من المدارس، فإنّه وقف على أشكال واقعية، للسياسة الفرنسية الرامية لوأد كل ما يتصل بظهور أيِّ حركة وطنية أو نهضة ثقافية[1].

فشكل هذا الوضع دافعا مهما، جعله يسعى لأن تكون له مساهمة في تغييره، خاصة لما أسندت إليه مهمة التدريس في معهد الحياة بمدينة القرارة، وهذا ما كان سببا مباشرا جعله يشرع في تأليف كتابه "تاريخ المغرب الكبير". وقد حكى جزءا من هذا الجانب، وجعله تحت عنوان: "لماذا ألفت هذا الكتاب؟" فقال:" لمّا رجعت من القاهرة إلى الجزائر في سنة 1367هـ/1948م بعد انتهائي من دراستي... دعاني معهد الحياة للقيام معه بالواجب الوطني والديني في ميدان التربية والتعليم، فكان من الفنون التي أسندوها إليَّ للسنتين النهائيتين في المعهد تاريخ المغرب الكبير. فساءني أن لا أجد كتابا دراسيا في تاريخ المغرب يليق للثانوي، على الروح التي أريد، وعلى الأسلوب الذي ينبغي، وعلى المنهاج الذي يحقق النتائج التربوية من التاريخ. فكنت عقب كل محاضرة أكتب نصوصها، وخلاصتها للتلاميذ بأسلوب أدبي رائق يزيد للتاريخ وضوحا، ويكسبه طلاوة تحببه إلى

[1] - نفسه، ج2، ص4-5.

النفوس... فاستمرت تلك الخلاصات إلى آخر الدروس، فتكوَّن منها كتاب هو الذي أقرَّه المعهد في تاريخ المغرب... وفي سنة 1369هـ/1950م عزمت أن أكتب شيئا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي، وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه، يليق لمطالعة مثقفينا، ويكون مرجعا ومصدرا لجامعتنا ومدارسنا"[1].

والكتاب من ثلاثة أجزاء، صدر منه الجزء الثاني والثالث سنة 1963م، ثم الجزء الأول سنة 1964م، وجاءت تفاصيله كالتالي:

-في الجزء الأول عن جغرافية بلاد المغرب، وأصل السكان الأوئل، وملامح من نظامهم الاجتماعي، وعاداتهم، ودينهم، ولغتهم، وشخصيتهم، وتاريخهم القديم من العهود البونيقية (814-146 ق.م) إلى غاية الاحتلال البزنطي(534-647م)، ثم تمهيد مختصر لبداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

-وأما في الجزء الثاني الذي صدر الأول؛ فقدم له بمقدمة شرح فيها مفهومه للتاريخ، وضرورة الاستفادة منه، والاهتمام به تدريسا وتأليفا، ونوَّه إلى مخاطر التاريخ الاستعماري، ثم إلى أسباب تأليفه هذا الكتاب، وفي آخر هذه المقدمة أبدى أمله في وحدة الأقطار المغربية تحت حكم فدرالي واحد، مصدرا هذا الجزء بعنوان معبر، هو"المغرب الكبير أملنا"[2]. وبعدها واصل ما مهَّد له في نهاية الجزء

[1] تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص18.

[2] نفسه، ج2، ص24.

الأول من كتابه، فتناول بالتفصيل مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس، والإنجازات الحضارية للقادة الفاتحين، ثم مرحلة حكم الولاة واتجه في حديثه إلى تقييم مرحلة كلُّ واحد منهم، فإن كانت حكمه رشيدا أشاد به، وأبرز هذه الملامح، وإن كان عكس ذلك، أيضا تحدث عنه، مبرزا ردت فعل البربر في مواجهة هذه التجاوزات، ثم تطرق إلى أسباب ثورة البربر تحت لواء الصفرية، ومراحل هذا الصراع مع الأمويين.

لينتقل بعد ذلك إلى المشرق الإسلامي، ويستعرض الصراع القديم بين الأمويين والهاشميين، والفتنة الكبرى التي بدأت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، والخلاف بين الخليفة علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما، والصراعات التي تلتها، ونشأة المذهب الإباضي، وفق رأية إباضية وهبية تميزت بسمة تجديدية واضحة، عمّا كان متداولا في المصادر القديمة التي ينتسب أصحابها لمختلف التوجهات داخل البيت الإباضي[1]. ثم رجع

[1] - قارن: ابن قحطان (أبو قحطان خالد عاش بين ق3-4ه/9-10م)، سيرة تنسب إلى أبي قحطان خالد بن قحطان، في مجموع السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، سلطنة عُمان، 1986م،، ج1، ص100-108؛ القلهاتي (أبو عبد الله محمد بن سعيد ق6ه/12م)، الكشف والبيان، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1980م، ج2، ص206-254؛ البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم ق.9ه/15م)، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، صححه وقدم له وعلق عليه، أحمد بن سعود السيابي، دار الحكمة، لندن-بريطانيا، 2014م، ص64-165؛ تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص289-360.

إلى بلاد المغرب، وأكمل أحداث استيلاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري على القيروان، وثورة الإباضية عليه بالمغرب الأدنى، ثم سقوط حكمه على يد قبيلة ورفجومة الصفرية، وبزوغ نجم أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي تمكن من إخراج هذه القبيلة من مدينة القيروان، وبسط سلطته عليها، وختم هذا الكتاب بذكر الآثار الحضارية للدولة الأموية وانقراض حكمها. ومن الواضح من هذا العرض المادة الدسمة التي تناولها هذا الجزء، وكذلك الفلسفة التأسيسية التي رسخها في هذا الكتاب، وهي الصراع بين الملوكيين والجمهوريين.

- وفي الجزء الثالث تطرق إلى استعدادات الخلافة العباسية لاسترجاع نفوذها على بلاد المغرب، إرسال والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي للقيام بهذه المهمة، ثم مجريات الصراع الذي حدث بينه وبين الزعامات الإباضية ومن أهمها معركة تورغا سنة 144هـ/761م التي انهزم فيها الإباضية، وقتل فيها إمامهم أبو الخطاب، والجهود التي بذلها لتمكين حكمه على بلاد المغرب. وبعد ذلك تحدث عن ظهور إمارة أبي قرة اليفرني الصفرية في مدينة تلمسان، ومبايعة أبي حاتم الملزوزي الإباضي في نواحي طرابس، والحلف الذي حدث بمشاركة هذين الإثنين وعبد الرحمن بن رستم وغيرهم في حصار والي المغرب عمر بن حفص في طبنة، ثم انهزام أبي حاتم ومقتله أمام الوالي الجديد للمغرب يزيد بن حاتم. ثم أكمل بقية أخبار ولاة

المغرب وثوراتهم ضد الجماعات الإباضية والصفرية وغيرهم من المنتفضين عليهم إلى غاية إستقلال إبراهيم بن الأغلب بالإمارة سنة 184هـ/800م.

وهنا انتقل الشيخ محمد علي دبوز إلى تخصيص باب آخر من هذا الجزء، سماه" نشأة الدول الإباضية"[1]، رجع فيه إلى عرض سير الشخصيات التاريخية المهمة التي كان يرى أن لها تأثيرا على تطور وانتشار المذهب الإباضي، عبد الله بن إباض، وجابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والصعوبات التي واجهها هذا المذهب من قبل السلطة الأموية التي حاولت القضاء عليه. وبهذا مهَّد للحديث عن أسباب انتقال آرائه إلى بلاد المغرب، وانتشارها في أوساط القبائل البربرية، ثم دراسة البعثة العلمية المعروفة "بحملة العلم الخمسة"، على يد أبي عبيدة بالبصرة، ورجوعها إلى المغرب الأدنى، ثم تعرَّض لتاريخ دولة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (140-144هـ/757-761م)، ففصل في قيامها وأطال المديح في إمامها، وتناول جزءا من أوضاعها الداخلية، وركز على جوانب العدل والأخوة، والتدين، وانتشار التعليم، ثم أعطى رأيه في حدودها، ليختم أخبار هذه الدولة بالأحداث المرتبطة بسقوطها. وبعدها سرد تاريخ الدولة الرستمية (144-296هـ/761-909م)، وقبل ذكر أحداث قيامها، تحدث عن جغرافية المغرب الأوسط، وانتشار الأراء الإباضية فيه، ثم

[1] - تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص131.

إلى انتقال عبد الرحمن بن رستم إلى جبل سوفجج ونزوله عند قبيلة لماية، ومحاصرة ابن الأشعث له، وعقب هذا الحصار تحدث عن مميزات موقع تيهرت، وتأسيسها، وأشاد بتحضرها، ونقل أقوال المؤرخين القدامى والجغرافيين فيها، وأسباب سكوت المؤرخين غير الإباضية في الحديث عنها، ثم انتقل للحديث عن تاريخها حسب توالي أئمتها حتى إلى سقوطها، مغتنما كل فرصة ليعرج عن الجوانب الحضارية للدولة في طريقة الحكم، وتطور النظم الاجتماعية، ورخاء العيش، وازدهار الثقافية، ليختم في الأخير هذا الجزء، بنشأة الدولة العبيدية (الفاطمية)، وسقوط الدولة الرستمية، وقراءة تحليلية في أسباب هذا السقوط.

وللإشارة فإن الشيخ محمد علي دبوز كان عازما على إكمال كتابه هذا إلى الفترة الحديثة، وهذا ما صرح به في مقدمة الجزء الثاني للكتاب[1]، ولكن هذه الأجزاء الثلاثة بقيت على حالها، ولم تسعفه الظروف على المضي قدما لإكماله. لكنه في المقابل يمكن إدراج كتابيه؛ "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" و"أعلام الإصلاح في الجزائر" ضمن هذا المشروع الكبير؛ لأنّ موضوعيهما يصبان فيما كان الشيخ محمد علي دبوز يصبو إليه في هذا الكتاب.

2-أسس بناء أحداث قيام الدولة الرستمية:

يتضح من خلال العرض السابق لمضمون كتاب "تاريخ المغرب

[1] - تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص24-25.

الكبير"، أنّ الشيخ محمد علي دبوز كانت له فكرة الانطلاق من التاريخ المغاربي العام، لكن مع جعل للمغرب الأوسط الذي نعني به حاليا الجزائر، مكانة خاصة، وهذا باعتباره أحد أبناء هذا البلد، ويريد أن يسلط الضوء على الجوانب المجهولة من تاريخه. زيادة على هذا؛ فقد كسى سرده التاريخي بطابع خاص، من بين مميزاته التوسع في شرح الأحداث، ولا شك أن هذا رجع إلى مقدرته الأدبية التي كانت عاملا مهما، مكنته من إعادة بلورة النص التاريخي، ليكون في فضاء سردٍ أوسع. والأمر الآخر؛ هو الاسقاطات على الواقع المعاصر، مما جعله ينشئ مجموعة من المصطلحات، كان يراد منها، إيصال مفاهيم ورسائل خاصة. ولذلك سنحاول في هذه الدراسة النوذجية، تفكيك الأسس التي اعتمد عليها في بناء أحداث قيام الدولة الرستمية، للوقوف بشكل تطبيقي على جانب من المنهج الذي انتهجه في تأليف كتابه هذا.

أ-الاعتماد المباشر على المصادر التاريخية والجغرافية:

تميز الشيخ محمد علي دبوز في بناء أحداث قيام الدولة **الرستمية؛ بالاعتماد الكبير، والمباشر على المصادر التاريخية** والجغرافية، والجدول التالي يوضح العناوين التي اعتمدها بصفة أساسية في **الحديث عن المرحلة التي تبدأ من الصراع العسكري بين أبي الخطاب وابن** الأشعث، ثم فرار عبد الرحمن بن رستم من مدينة القيروان إلى

بناء مدينة تيهرت ووصفها، ثم مبايعة عبد الرحمن بإمامة الظهور[1]:

المصادر الإباضية	المصادر غير الإباضية	المصادر الجغرافية
-كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء الورجلاني(ت. بعد 474ه/1081م) -كتاب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني (ت. حوالي 670هـ/1271م) - كتاب السير للشماخي	-كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير(ت.بعد 294ه/ 906م) -الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت.630ه/1232م) -البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذاري(ت. بعد 712ه/ 1312م)	-كتاب البلدان لليعقوبي (ت. بعد 292ه/905م) -كتاب المسالك والممالك للاصطخري(ت. بعد340ه/ 951م) -صورة الأرض لابن حوقل (ت. بعد 367ه/977م) -أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم(عاش في ق4ه/10م -كتاب المسالك والممالك للبكري(ت. 478هـ/1094م)

[1] - كان دبوز في توثيق معلوماته الخبرية انتقائيا، فأحيانا كثيرة لا يوثق ما يكتبه، خاصة إذا كان مأخوذا من المصادر الإباضية، وهذا لكثرة النقل منها، ولذلك فقائمة المصادر والمراجع الموجودة في الجزء الثالث من الكتاب، تعطينا فكرة عن البيبليوغرافية العامة التي اعتمدها، ولذلك من الصعب الإشارة في الجدول الآتي إلى كل صفحة تمّ فيها النقل من هذه المصادر. ولتتبع مكان وجودها، انظر مواطنها في:(ج3، ص18-30، 48-56، 219-290). وفي قائمة المصادر والمراجع للجزء الثالث من الكتاب (ج3، ص543-546)، علما أنّ في طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية هناك بعض المصادر المعتمدة في الجزء الذي تحدث دبوز فيه عن قيام الدولة الرستمية، لاكنها غير موجودة في قائمة المصادر، مثل: صورة الأرض لابن حوقل، ونزهة المشتاق للإدريسي، وكتاب الاستبصار. انظر: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص242، 251.

(ت. 928هـ/1522م)	-أخبار البربر في القرون الوسطى منتخب من كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول(ت. بعد 712ه/ 1312م) -كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري(ت.733ه/ 1332م) -"كتاب العبر" لابن خلدون (ت. 808هـ/1405م) -النجوم الزاهرة في ملوك مصر واالقاهرة لابن تغري(ت.874ه/ 1469م)	-كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للشريف الإدريسي(ت.560ه/ 1165م) -الاستبصار في عجائب الأبصار لمؤلف مجهول(عاش في القرن 6ه/12) - كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي(ت.636ه/1228م)

يظهر من خلال هذا الجدول الإحاطة المعتبرة للشيخ محمد علي دبوز في الاعتماد على المصادر التاريخية والجغرافية التي

تناولت الأحداث المرتبطة بقيام الدولة الرستمية، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار الفترة الزمنية التي أَلّف فيها كتابه؛ وهي تمتد فيما بين 1951-1954م، حيث كانت العديد من الصادر مخطوطة، وحتى المطبوع منها، ليس من السهل الوصل إليه. ولهذا آثر دبوز ألّا يطبع كتابه حتى يقوم بجولة في المكتبات داخل الجزائر وخارجها، وبالفعل زار في ربيع سنة 1953م العديد من خزائن المخطوطات في الجنوب الجزائري، وفي فصل الصيف من نفس هذه السنة، سافر إلى تونس، فاطلع في ما يحتاجه من كتب مخطوطة ومطبوعة، ثم ارتحل إلي مصر، قاصدا مدينة القاهرة، وفيها أيضا استفاد من الرصيد البيبليوغرافي الموجد في دار الكتب العربية، ثم رجع إلى الجزائر[1].

ولذلك فلو قارنا المصادر التي اعتمدها مع المصادر الموجودة حاليا، لن نجد اختلافا كبيرا من ناحية الإلمام بأصول الروايات التاريخية، فكتاب ابن سلام(ت. بعد 273هـ/887م)[2] الذي لم يعتمد عليه دبوز بصفة مباشرة، كفته المصادر الإباضية الأخرى، مؤونة البحث عنه، لأنها كانت تأخذ عنه[3]. وأما كتاب رويات الأشياخ

[1] - تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص18-19.

[2] - ابن سلام لواب الإباضي، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: قيرنر شقارتس وسالم بن يعقوب، منشورات جمعية المستشرقين الألمان، فيسبادن-ألمانيا، 1986م.

[3] - قارن: نفسه، ص117-132؛ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص57-69، 73-80؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص36-40؛ الشماخي، المصدر السابق، ص137-138.

للبغطوري (ت. بعد 599هـ/1203)[1] فلم يأتي بجديد فيما يخص أحداث قيام الدولة الرستمية، لكن ما يلفت الانتباه هو التوافق بين البغطوري والشيخ محمد علي دبوز في تحديد عُمر الدولة الرستمية، فقد جاء عند الأول أنها "دامت نيِّفا على مائة وخمسين سنة"[2]، وأما الثاني فذهب إلى أنها عمَّرت 152 سنة (144-296هـ/761-909م)[3]. وهذا عكس العديد من الدراسات الأخرى، التي جعلت من سنة 160هـ/777م أو 162هـ/779م بداية لقيام الدولة الرستمية، فيكون بهذا عمرها الإجمالي حوالي 136 أو 134 عاما[4]، ولذلك يبدو أن مسألة سنة قيام الدولة الرستمية ما زالت تحتاج إلى إعادة نظر وتمحيص من أجل الوصول إلى تاريخ يكون مدعوما بأدلة قوية.

---

[1] - البغطوري مقرين بن محمد النفوسي، روايات الأشياخ: أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، تحقيق: عمر بوعصبانة، مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عُمان، 2017.

[2] - نفسه، ص ص104.

[3] - تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص539.

[4] - انظر على سبيل المثال: جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص29؛ محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1985، ص150؛ الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296ه)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987م، ص91؛ خليفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، المطابع الذهبية، مسقط-سلطنة عمان، 2002م، ص168؛ بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية: دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية (160/296هـ/777-909م)، الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط4، الرغاية-الجزائر، 2015م، ص127-129.

وأما في المصادر الغير الإباضية، فمن أهم المصادر التي لم يعتمد عليها،" تاريخ أفريقية والمغرب" للرقيق القيرواني (ت.420ه/1029م)[1]، غير أنَّ ابن عذاري والنويري والشماخي اعتمدوا عليه في رواية الفترة التي تمتد من استيلاء أبي الخطاب على مدينة القيروان إلى غاية فرار عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة تيهرت[2]، وبهذا شكلت هذه المصادر جسرا، أوصلت رويات الرقيق التاريخية إلي الشيخ محمد علي دبوز. وفي المصادر الجغرافية فلا نكاد نجد مصدرا مهما فيما يخص مدينة تيهرت لم يعتمد عليه، اللهمَّ بعض المصادر الجغرافية[3] التي تحدثت

---

[1] - الرقيق (إبراهيم بن القاسم القيرواني)، تاريخ أفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة-مصر، 1994.

[2] - قارن: نفسه، ص81؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت-لبنان، 1973م، ج1، ص70-72؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004م، ج24، ص38-40؛ الشماخي، المصدر السابق، ص131-132.

[3] - انظر على سبيل المثال: ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمذاني ت. بعد 290ه/902م)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1996م، ص132؛ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت. 300ه/912م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889م، ص87-88؛ قدامة بن جعفر (أبو الفرج الكاتب البغدادي ت.328ه/939م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الحرية، بغداد-العراق، 1981م، ص200؛ مؤلف مجهول (ت. بعد 365ه/975م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية، القاهرة-مصر، 1999م، ص134؛ أبو الفداء (إسماعيل بن علي الأيوبي ت.732ه/1332م)، ، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس-فرنسا، 1830م، ص122.

عن الدولة الرستمية وعاصمتها تيهرت، لكن معلوماتها، لا تحتوي على إضافة نوعية في موضوع قيام الدولة الرستمية. وبهذا يمكن القول إنَّه بعد مرور 66 عاما على وضع مخطوطة الكتاب، و57 عاما على طبعه، لا زلت قيمة ما كتبه محمد علي دبوز عن قيام الدولة الرستمية، محتفظة بأصالتها التاريخية.

ب-توظيف البحث الطوبونيمي:

لم يكتفي دبوز بالبحث عن المصادر والمراجع المهمة التي بنى بها رؤيته لقيام الدولة الرستمية، بل حاول توظيف مناهج أخرى، لتساعده في حل بعض المشكلات التي واجته أثناء التعرض لبعض التفاصيل التاريخية؛ ويتمثل هذا في موقع جبل سوفجج الذي لجأ إليه عبد الرحمن بن رستم بعد فراره من القيروان في بداية سنة 144ه/761م، إذ أن المصادر التي بين أيدينا؛ ومنها التي روت هذه الحادثة لم تحدد الموقع الجغرافي لهذا الجبل[1]، مما جعل الشيخ محمد علي دبوز يحاول البحث عنه في الطوبونيما المحلية عمَّا يساعده للوصول إلى مكان جبل سوفجج. فقد أشار الشيخ محمد علي دبوز أنّ أبا اليقظان إبراهيم(ت.1973م) - وهو من الشخصيات العلميّة الإباضيّة - أخبره قبل سنة 1955م أنّ جبل سوفجج موجود بناحية قصر الشلالة، ولذلك همَّ الشيخ محمد علي دبوز بزيارة هذه

[1]- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص71؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص36؛ الشماخي، المصدر السابق، ص137.

المنطقة، ولكن اشتداد الثورة التحريريّة حال دون ذهابه إليها، غير أنّه راسل ابن عمٍّ له كان يقطن في مدينة بيردو (تسمى مهدية حاليا)، وطلب منه تزويده بمعطيات ميدانيّة عن جبل سوفجج، فجاءت معلوماته تدور حول التغير اللغوي الذي حدث لسوفجج، وربطه بواد وعين مائيّة يُعرفان بسوفقيف يقعان في الجنوب الشرقي لمدينة تيارت على بعد حوالي 65 كم. وعلى هذه المعطيات بنى الشيخ محمد علي دبوز استنتاجاته التي وضعها في كتابه[1]، ثم أضحت هذه المعطيات مُعتمد العديد من الباحثين الذين جاؤا بعده[2].

ج-توظيف مصطلحي "الملوكية" و"الجمهورية":

استخدم الشيخ محمد علي دبوز العديد من المصطلحات في الجزء الثاني والثالث من كتابه "تاريخ المغرب الكبير"، ومنها مصطلحان؛ جعل الصراع السياسي والمذهبي في بلاد المغرب يدور كثيرا بينهما، وهما: "الملوكيون" و"الجمهوريون". عرَّف المصطلح الأول بقوله:" نريد بالملوكية...الملوكية المطلقة التي لا تتقيد بدين ولا دستور في سياسة الأمة"[3]، وأما المصطلح الثاني فعند تخصيصه الحديث عن

---

[1]- تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص237-239.

[2]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص146؛ الحريري، المرجع السابق، ص85-96؛ خليفات، المرجع السابق، ص66؛ بحاز، المرجع السابق، ص117؛ وانظر أيضا: Prevost, V., Abd al-Rahman ibn Rustum al-Farisi: une tentative de biographie du premier imam de Tahart, Der Islam, N. 86, 2011, p51.

[3]- تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص67.

الإباضية، - وهو ما يهمنا بالنسبة لتوظيف هذا المفهوم في أحداث قيام الدولة الرستمية - فقال عنه:" إذا أطلقنا الجمهوري والجمهوريين... فنريد الإباضية...[وهذا لتمسكهم] بالإمامة العادلة، والجمهورية الإسلامية، وإسناد رئاسة الدولة إلى ذي كفاءة بدون تقيد بالقرشية، ولا بعرق من العروق، والتزام الدولة للدين الإسلامي في السياسة والإدارة، وعدم الحكم بالهوى"[1].

وللإشارة فإنّ الأستاذ إبراهيم بحاز أبدى تحفظا ونقدا لهذين المصطلحين، مرجعا سبب استخدام الشيخ محمد علي دبوز لها، يرجع إلى العاطفة والبيان التي أعطاها أهمية كبيرة في هذا الكتاب، مما جعله "يصنف الدول الإسلامية في المشرق والمغرب إلى دول ملوكية مستبدة، وأخرى اشتراكية جمهورية"2. والحقيقة أنَّ هذا الكلام، يعتبر سببا له وجاهته في استخدام هذين المصطلحين، ولكن فيما يبدو هناك عامل أكثر أهمية من هذا؛ وهو محاولة اخفاء الصراع المذهبي بين الإباضية والسلطة - آن ذلك - الممثلة لتيار أهل السنة والجماعة. والظاهر أن الشيخ محمد علي دبوز أدرك خطورة عرض هذا الصراع بهذا الشكل، مما قد يسهم في إحداث نعرات طائفية، ويصنف الكتاب في خانة الكتب المتمذهبة، وبالتالي يضيع هدف المؤلف من تأليف كتابه، وهو جعله مرجعا عاما لكل الدارسين للتاريخ الإسلامي.

---

[1]- نفسه، ج3، ص234.

[2]- بحاز، الدولة الرستمية، ص70-71.

د- توظيف مصطلحات معاصرة لإصال مفاهيم وسيطية:

ومن الأمور التي تميز بها الشيخ محمد على دبوز في بناء أحداث قيام الدولة الرستمية؛ هي توظيف العديد من المصطلحات المعاصرة أثناء تناوله لهذه الحقبة. وهذا الأمر؛ وإن كان مثار جدل، حول مدى توافق هذه المفاهيم مع منهجية البحث التاريخي، إلّا أن ما يهمنا في هذا المقام، هو المضامين التي كان يُريد إيصالها من خلال استخدام هذه المصطلحات.

فبالرجوع إلى مصطلح "الجمهوريون"، فقد ربط الشيخ محمد علي دبوز بدايات الصحوة الفكرية عند عبد الرحمن بن رستم عندما كان في القيروان، بتمنيه إقامة "الجمهورية الإسلامية"[1]، وهي الدولة التي تطبق الرؤية الإباضية في حكم الدولة، مرتكزة على حرية اختيار الإمام الحاكم من طرف المحكوميين وفق إطار االشورى، والشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم[2]، ثم يتوسع هذه المنظور ليشمل جميع المناحي السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وبذلك فقد أكد الشيخ محمد على دبوز على أن قيام الدولة الرستمية، كان تجسيدا واقعيا لهذه الرؤية. وبالإضافة إلى هذا المفهوم إستخدم مصطلحات أخرى، مثل: "الحرية"، و"العدالة"، و"الديمقراطية"،

[1] - تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص277.

[2] - وعلي بكير بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية و التطبيق – مقارنة مع أهل السنة و الجماعة -، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2001م، ص185، 186.

و"المساواة"، و"دستور الدولة"[1]، و"الإشتراكية"[2].

وهذه المصطلحات لا يمكن عزالها عن تأثير الفترة التي ألَّف ونشر فيها كتابه، والرسالة العامة التي كان يريد بثها في كتابه، وهي بلا شك مرتبطة أساسا برغبته الشديدة في استلهام الأسس الدينية التي قامت عليها الدولة الرستمية، لتوظيفها في بناء نظام حكم معاصر، ولذلك يبدو أنه وجد في هذه المصطلحات جسورا كفيلة بأنّ تجعل من المبادئ الحديثة التي كانت المؤسسات السيادية، وجزء من الطبقة المثقفة يدعوا إليها، لا تتعارض، بل وتتطابق في أحيان كثيرة مع ما كانت الدولة الرستمية تمارسه على مستوى نُظم الحكم، وبهذا يبرز الأسس التي قامت عليها الدولة الرستمية، كنموذج يمكن إعادة إحيائه في ثوب الدولة الجزائرية المعاصرة.

الخاتمة:

يتضح من خلال ما سبق، إجمال نتائج البحث في النقاط التالية:

- أعطى الشيخ محمد علي دبوز أهمية كبيرة لعلم التاريخ، وذلك باعتباره من الأدوات التي تنهض بها الأمم، وترتقي به أخلاقيا.

- ألف الشيخ محمد علي دبوز كتابه" تاريخ المغرب الكبير" في ظروف كانت فيها الجزائر، تعيش تحت سلطة المستدمر الفرنسي،

[1] - تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص164، 209، 277.

[2] - نفسه، ج3، ص169،

ولذلك رأى دبوز في عمله هذا، محاولة لإثراء المكتبة التاريخية التي لا تصب في الطرح الكولينيالي. فجاء كتابه في ثلاثة مجلدات تناول فيها تاريخ بلاد المغرب من الفترات القديمة إلى سقوط الدولة الرستمية، وكان ينوي تكملة مشروعه للوصول إلى الفترة المعاصرة، لكنه لم يتمكن من هذا.

- اعتمد صاحب الكتاب عند حديثه عن قيام الدولة الرستمية، العديد من الأسس التي مكنته من إبرازة تصوره العام لهذه الفترة؛ منها توسيع الاعتماد على المصادر التاريخية والجغرافية، وعدم الاعتماد على الأطروحات الجاهزة، وكذلك توسيع استخدام المناهج البحثية، مثل الاعتماد على الطوبونيميا من أجل البحث عن موقع جبل سوفجج، وأيضا توظيف مجموعة من المصطلحات الحديثة لإيصال مفاهيم وسيطية، وهذا من أجل الحث على استلهام الدولة الجزائرية الحديثة أسسها، من المبادئ التي قامت عليها الدولة الرستمية.

آليات الكتابة التاريخية وسبل التحقيق في فكر الشيخ محمد علي دبوز

أ. عبد الفتاح كرومي

جامعة- غرداية

الملخص:

تخلد مآثر الأمة مما تخطه أنامل أعلامها ورجالها ضمن تراث مطمور يتوارثه الأجيال وتؤسس بمقتضاه ثقافة الشعوب وتاريخها.

إن تأصيل تاريخ الأمة يتطلب منهجا حصيفا يقوم على الدراية وسعة الاطلاع والأمانة المنشودة في العلوم والمعارف التي تبرأ بها ذمة الإنسان في التبليغ والتبيين والإيضاح والتحقيق؛ وتاريخ مزاب يشهد بحضارة وأصل عريق رسخه السابقون من علمائها، فكان ما تركوه من مصنفات وتعليقات ومخطوطات ومناهج وتآليف دررا مكنونة ونفائس حبلى بأنواع المعارف والعلوم.

وإذا كان من الحكمة الممنهجة اجتزاء نموذج بموجب ما اقتضاه عنوان الملتقى مع احترام السبق الزمكان لعلماء مزاب فإننا نقف مع الشيخ محمد علي دبوز هذا الرجل الفذ الذي اتسم فكره الموسوعي بالإلمام والتحقيق وسعة الاطلاع والأمانة العلمية في كتابة التاريخ، يشهد له بذلك صيته الذائع داخل الوطن وخارجه.

فما آليات الكتابة التاريخية عند الشيخ ومفاتيح التحقيق؟ وما منهج الشيخ في توثيق المعلومة ومساحات التعليق والضبط؟ إلى أي مدى وفق الشيخ في تبني المنهج التاريخي وما دوافعه في ذلك؟

كلمات مفتاحية: المنهج/ التاريخ/ آليات التحقيق/ التراث/ محمد علي دبوز.

تقديم:

ينبني كل فكر تأسيسي لحضارة راسخة وثابتة وفق منهج مضبوط يتبناه أعلامها، راسمين بذلك الأنساق المعرفية المتداخلة في تكوين العنصر البشري الفعال ثقافيا وحضاريا وإنسانية بناء على المقولة الراسخة " أمة لا تاريخ لها، لا مستقبل لها".

لقد ظل المنهج التاريخي أحد أبرز المناهج التي تربط الحضارات والأجيال والمعارف والأحكام، وعليه تعد حضارة مزاب إحدى الجواهر الثمينة والمناهل العظيمة للبحث والقراءة، خاصة ضمن تراثها المطمور في مصنفات كبار الأعلام الذين كانت إسهامات رائدة تعدت حيز الزمان والمكان خادمة للإنسانية. وإذا رمنا شيئا من التخصص وفق عنوان هذا الملتقى نقف مع الشيخ القطب الإمام محمد علي دبوز حيث سنسعى من خلال هذه الوريقات إلى اقتفاء بعض ملامح آليات الكتابة التاريخية عنده وسبل التحقيق التي تبناها، معتمدين بعض المناهج السياقية في سبيل التشخيص والإلمام

والإحاطة ببعض أفكار الشيخ المبثوثة ضمن مآثره وكتاباته، وقد كان الدافع لاختيار هذ الموضوع لفت الانتباه إلى قضايا كبرى في التأصيل المنهجي لتاريخ حضارة من الحضارات حيث يظهر مبدئيا أن الشيخ محمد علي دبوز قد تجاوز زمانه كثيرا برؤية حاذقة وإدراك واسع ونظرة استشرافية لكتابة تاريخية ممنهجة واعية.

فما آليات الكتابة التاريخية عند الشيخ ومفاتيح التحقيق؟ وما منهج الشيخ في توثيق المعلومة ومساحات التعليق والضبط؟ إلى أي مدى وفق الشيخ في تبني المنهج التاريخي وما دوافعه في ذلك؟

إن تأثيث زوايا هذا الموضوع جاء في شكل عناوين سنحاول من خلالها إعطاء لمحة حول الموضوع كما يأتي:

ترجمة مختصرة للشيخ.

الفكر التاريخي عند الشيخ من التأصيل إلى التفعيل .

أليات التنظير التاريخي بين المنهج واللامنهج .

تصورات ورؤى حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في فكر الشيخ.

ترجمة مختصرة للشيخ:

هو الشيخ: محمد بن علي بن عيسى دبوز، ولد ببريان، إحدى

قرى مزاب بالجنوب الجزائري في سنة 1337هـ، الموافق لفبراير سنة 1919م، من والد يحب العلم والعلماء إلى درجة جعلته ينذر ولده للعلم وهو جنين في بطن أمه. وفيها نشأ وترعرع تحت رعاية أبوين اعتنيا به ورباه تربية إسلامية صحيحة فغرسا فيه حب العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والروح الدينية والوطنية.

من الكتاب إلى الأزهر:

لما بلغ السادسة من عمره أدخله والده الكتَّاب في مسقط رأسه، فتعلَّم فيه القراءة والكتابة وحفظ جزءا وافرا من القرءآن الكريم على يد الشيخ: الحاج موسى بن صالح موسى المال، إمام البلدة رحمه الله.

وفي سنة 1927م لما فُتحت أول مدرسة ببريان كان ضمن التلاميذ الأولين وهم السادة:

- محمد بن علي دبوز
- باحمد بن موسى قلو
- عمر بن سليمان بودي
- إسماعيل بن حاج سليمان فخار
- صالح بن عيسى ابن يامي
- باحمد بن عمر أوراغ
- قاسم بن يحي الطالب باحمد

- سعيد بن يحي الطالب باحمد
- سليمان بن حمو باحميدة
- محمد بن صالح لبسيس

وكان أستاذه فيها، الشيخ صالح بن يوسف لبسيس رحمه الله. وفي سنة 1934م نقله والده إلى القرارة فتتلمذ على يد العالم الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والأستاذ الشيخ عدون (شريفي سعيد) رحمهما الله وغيرهما، وفيها حفظ كتاب الله العزيز واستظهره في شهر أوت سنة 1935م، ثم عكف على دراسة العلوم العربية والشرعية والأدبية، وقد كان شديد الرغبة في التلقي حريصا على التحصيل محافظا على أوقاته ذا قلم سيال، ومازالت مجلة الشباب التي كان يصدرها معهد ''الحياة'' يومئذ، تشهد على ذلك وتحفظ لنا الكثير من مقالاته المطوَّلة وفصوله الأدبية الرفيعة ومناظراته ومعاركه الأدبية، خاصة مع الأستاذ المرحوم علي يحي معمر.

وفي شهر شعبان من سنة 1944م بعد تخرُّجه من معهد الحياة أرسله والده وأستاذه الشيخ بيوض رحمهما الله إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون. وهناك في الخضراء عكف كعادته بنشاطه ومواظبته على مكتباتها العامة خاصة مكتبة العطَّارين، فدرس فيها الكثير من الكتب القيِّمة في كثير من الفنون كالأدب والشريعة والفلسفة.

ومن تونس انتقل في شعبان من سنة 1946م إلى مصر بَرًّا،

متنكرا مستخفيا عن الاستعمار الغاشم، يقطع الصحاري ويصعد الجبال وهو لا يحمل جواز سفر في حين كانت نيران الحرب العالمية الثانية مشتعلة، حتى بلغ مصر بعد ستَّة وعشرين يوما سيرا على الأقدام، وبعد دخوله مصر توجَّه إلى كلية الآداب من جامعة القاهرة ورحب به الدكتور عبد الوهاب عزام عميد الجامعة واستقبله أحر استقبال.

وفيها درس على كبار أساتذتها الأدب وتاريخه، والتاريخ الإسلامي والفلسفة، كما انكبَّ على أمَّهات الكتب في دار الكتب المصرية، فدرس كتبا قيمة في الأدب، والتاريخ، وعلم النفس، والتربية والعلوم الاجتماعية، وأصول الفقه وفلسفة التشريع، والفقه والحديث. فانكبابه على الاغتراف وشغفه الكبير بالعلم جعلاه أوَّل الداخلين إلى دار الكتب أيام مطالعاته وآخر الخارجين منها.

وبقي في القاهرة حتى سنة 1948م إذ رجع إلى الجزائر بعد أن نال بغيته من العلم هناك.

الأستاذ في معهد الحياة:

بعد رجوعه من القاهرة إلى الجزائر، اختاره معهد الحياة مدرِّسا فيه لمادتي التاريخ والأدب، ثم أضاف إليهما التربية وعلم النفس، وقد كانتا مجهولتين لا يعرفهما المعهد قبل ذلك.

فكان نِعم الأستاذ والمربي، تخرَّج على يده جيل هو اليوم يسدُّ الثغور في المجتمع ويخلفه في عمله المبارك، وكان مخلصا في

رسالته تلك، يحاسب نفسه بالدقائق والثواني حتى لا يُضيِّع من حق الطلبة لحظة، يراقب تلاميذه داخل المعهد وخارجه، في سيرتهم وأخلاقهم وأعمالهم الدراسية، وحتى نظافة أجسادهم وألبستهم، يحبُّ طلبته والنكتة معهم، يخلص في تعليمهم وتهذيبهم وتربيتهم، هذا بالإضافة إلى زمالته الحسنة وتقديره الكبير للأساتذة.

وقضى في تربية النشء وتكوين الأجوال ما يقارب ثلث قرن، أي حتى آخر جوان 1981.

التأليف إلى جانب التدريس:

دخل الأستاذ محمد علي دبوز ميدان التأليف سنة 1950م، إذ بدأ كتابة فصوله في تاريخ المغرب العربي الكبير. فأخرج لنا بعد ثلاثة عشر عاما من العمل المتواصل، موسوعة تاريخية رائعة تحمل تاريخ المغرب الكبير مفصَّلا منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري، يقول عن هذا الكتاب الأستاذ محمد عطية الأبراشي "هذا أول كتاب صفّى تاريخ المغرب من زيف السياسة القديمة، والاستعمار اللاتيني ونادى بالوحدة والتضامن والمحبة والتعاون بين أهل المغرب والعالم الإسلامي".

وقد تلقَّى المؤلف صعوبات كبيرة في سبيل تحقيق هذا العمل الجبَّار، وسافر إلى أغلب عواصم الشرق والمغرب العربيين لجمع المادة التاريخية من مصادر صحيحة وذلك تقصِّيا للحقيقة، وقام بجولات واسعة لمطالعة المخطوطات الموجودة في الخزائن القديمة داخل الجزائر وخارجها.

والسبب الذي دعا المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب يذكره في مقدمته للجزء الثاني فيقول: ''عزمت أن أكتب شيئا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه يليق لمطالعة مثقفينا ويكون مرجعا لجامعاتنا ومدارسنا ويصفِّي أبواب تاريخ المغرب التي كدَّرتها ودنَّستها أكاذيب السياسة القديمة ودعايات المستعمرين وسمومهم فصارت خطرا على المغرب ومنبعا للسموم التي تكدِّر صفاءه وتفرِّق جماعته وتمكِّن الحسَّاد والدسَّاسين من بثِّ الفُرقة والشقاق في مغربنا الحبيب''.

عكف بعد إتمامه لهذه الموسوعة على كتابة تاريخ الجزائر وحركتها الإصلاحية في مؤلَّفين ضخمين هما التوالي:

-نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة.

-أعلام الإصلاح في الجزائر.

سجَّل فيهما الحركة الإصلاحية وتاريخ رُوَّادها في الجنوب والشمال

قاطعا في سبيل ذلك سبلا غير معبَّدة لم يسلكها أحد قبله، وكان كثير التنقل عبر أرجاء الوطن يجلس إلى الأحياء من رواد الحركة الإصلاحية فيسجل تاريخهم وتاريخ زملائهم الراحلين. ويقول المؤلف عن المشاق التي تكبَّدها في ذلك: ''إنَّ تاريخ الجزائر الحديث سيما ما كتبناه لا يوجد في الكتب فيسهل الاطلاع عليه ولكن في صدور مشائخنا الثقاة الحافظين، وفي الوثائق المخطوطة القديمة، وفي الصحف العربية الجزائرية الأولى التي أصبحت مفقودة لا توجد

إلاَّ في الخزائن الخاصة التي يصعب الوصول إليها. لهذا كان الموضوع صعبا، وقد تجشمنا مشاقه وصبرنا فيه، ويسَّر الله لي مشايخي الكرام الحافظين الثقاة، وأصدقائي المخلصين فاستطعت أن أظفر بالمادة التاريخية المطلوبة".

وتمتاز مؤلفاته بأسلوبها الأدبي الجميل ولغتها السهلة المفهومة والعبارة العذبة والتحليل العلمي النزيه، وتحمل مادَّة تاريخية هامَّة مصفَّاة من الأكدار والأكاذيب، وسجَّلت التاريخ الجزائري الحديث الذي لم يكتب من قبل.

الفكر التاريخي عند الشيخ من التأصيل إلى التفعيل:

اعتمد الشيخ دبوز منهجية ابن خلدون في الانتقال بالقارئ أثناء التاريخ للشعوب والأمم من النظر في الأصول والمرجعيات إلى الحياة الاجتماعية فنجده ينقل بعض كلامه في ذلك خاصة في حديثه عن أهل المغرب وتأريخه لهم. والمميز في الشيخ محمد علي دبوز أنه يعلق بالاستدلال على الأصول المرجعية الأمازيغية البربرية لسكان المنطقة الأصليين وإن كان اعتماده على النسب والأصل أكثر من ابن خلدون الذي ركز على الشق الاجتماعي. حين أشار إلى ذلك في:

1 - موضوع التاريخ: من الخبر عن الاجتماع الإنساني إلى التاريخ الشمولي.

وفي هذا نشير إلى أنه لعل أكبر ثورة منهجية أحدثها ابن خلدون

في كتابة التاريخ، هو الانتقال بموضوعها من مجرد الإخبار «عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى» إلى الإخبار عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات وما ينشأ من ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»[1]مقدمة ابن خلدون. نحن هنا أقرب ما نكون مما أسماه رواد مدرسة الحوليات بـ «التاريخ الشمولي «L'histoire totale»الذي يجمع بين طياته، كما قالها مارك بلوخ (Marc Bloch)بطريقة شاعرية: «إن مشهد النشاطات الإنسانية المختلفة هو ما يشكل الموضوع الخاص للمؤرخ.

يشير الشيخ محمد علي دبوز عن ثقافته في الأخذ بمساحات واسعة من اليات اعتماد المصادر وتنويعها

إضافة إلى ذلك إمكانية الاستفادة من مصادر جديدة في إطار ''الأنثروبولوجيا التاريخية''، من ذلك ما وفره علم الآثار والرسوم والآثار الدينية وقوائم النذور وغيرها من الوثائق التي انفتحت على التاريخ الذهني عبر الزمن الطويل أو أزمنة ''المدى الطويل''

[1] - يوسف بن يحيى الواهج (الشيخ محمد علي دبوز) https://alkotb.wordpress.com/2012/02/14

المتعانقة والمتداخلة بل والمتنافسة [1]. كما يمكن أن يستخلص من منهجية الشيخ علي الدبوز أن العلمية ليست عائقا أمام تطور البحث التاريخي، فإذا كانت الوثائق الأثرية تعكس معطيات محايدة وأقل تأثرا بذاتية المؤرخ، وبالتالي تقترب معطياتها من الموضوعية، فإن الوثائق المصدرية المكتوبة أو الشفهية واستنتاجات المؤرخين تبقى حمّالة أوجه، ويظل الشك والنقد هما القاعدة في التعامل معها. في حين أن الكتابة التاريخية التحليلية للوثائق باختلاف أنواعها، تبقى مجرد محاولة في التأويل وترتهن بالشروط الداخلية والخارجية للوثائق وبذاتية المؤرخ وبمدى دقة الفرضيات التي يضعها.

ويطرح الشيخ الدبوز قضية هامة حول مسألة الذاتية والموضوعية في كتابة التأريخ وآلية التأليف فتمادي المختصين في التاريخ متأثرين بالعلمية والموضوعية وانشغالهم بمحاولة إبعاد الذاتية وتوخي الموضوعية، ومناشدتها مع ضعف العلمية في التاريخ كما لو أنها "شُبهة" تنتقص من قيمة هذا الحقل العلمي، هي في واقع الأمر مذهب غير مجد. حيث يقر المنطق التعامل مع الظاهرة التاريخية في مصادرها ووثائقها ومنهجية مقاربتها على أساس أنها ظاهرة هشّة، وهذا هو بالذات ما يعطي طابع التشويق للكتابة التاريخية، ويفتح أبواب البحث التاريخي على مصراعيها دونما توقف، لأن مرامي

[1] - محمد حناوي، دليل مصطلحات في التاريخ الأوربي الوسيط، الرباط، دار أبي رقراق، 2003. ص170.

البحث التاريخي لا تتوقف عند إيجاد "حقائق" أو معطيات تاريخية حاسمة تُنهي مسار النبش والتنقيب الدائم والمستمر.

وعلى ضوء ذلك، فإن علمية التاريخ تبقى دوما على المحك، حتى أننا إذا بحثنا بين دفتيه عن حقائق علمية نهائية، لا نكاد نظفر بشيء. وهذا بالضبط ما يعطي لهذا الحقل المعرفي حيويته وقابليته للتطوير والتعديل والتغيير، بحيث لا يجد المؤرخ حرجا في التخلي عن مقولات تاريخية مهما كان لها من الرسوخ والتمكن متى ما ظهرت معطيات جديدة تثبت بُطلانها. لهذا وجب على المؤرخ أن لا يسعى إلى حشد اليقينيات-مدفوعا إلى ذلك بنقيصة ضعف العلمية- لكي تتحقق لدى المتلقي للخطاب التاريخي القناعة بأن ما يتوصل إليه المؤرخ هو إنتاج علمي يحظى بالعلمية المطلقة[1].

تُعدُّ المقدمةُ البطاقةَ التعريفيةَ لكل بحثٍ وتعكسُ الكثيرَ من مقوماتِ الدراسةِ فهي تحدد مبدئيا نظرةَ الباحثِ الى الموضوعِ، وهضمَه المادةَ العلميةَ واستيعابَه للإشكاليةِ، وتبرز فلسفةَ الكاتبِ في صياغةِ الأفكارِ وبلورتِها للقارئِ والمنهجَ المتبعَ في التحليلِ طيلةَ البحثِ. لذلك الملاحظ عموما حول منهج الشيخ الدبوز ومن خلال الوقوفَ على بعض ما كتبه خاصة كتابه(تاريخ المغرب الكبير)، يظهر اختصارا

[1] - قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة1، 1990 ص23.

للمقدمات واعتماد العناوينِ العريضةِ بنى وفقها موضوعَه.

ومما هو مُسلَّمٌ به في كلِ علمٍ التحصيلُ النظريُّ وإدراكُ المبادئِ والقواعدِ والمنطلقاتِ والأسسِ لكل منهجٍ أو نظريةٍ، وقد انطلق المؤلفُ في بدايةِ مقدمتِهِ من الفلسفةِ والفكرِ، ودورِهما في التراكمِ المعرفيِّ والعلميِّ. كما اشترط في القارئِ أو الباحثِ في هذا الموضوعِ؛ الوعيَ الكاملَ بالمتصوراتِ النظريةِ والأبعادِ الإبستمولوجيا والتمثلَ العميقَ للجهازِ المفاهيميِّ.

وإذا رمنا إلى شيءٍ من التخصصِ وضبطِ الموضوعِ فإنَّنا نجد أنفسنا نثيرَ نقطةً هامةً؛

وهي مسألة التدرج في الطرح خاصة مسألة تأصيل المنهج التأريخي والكتابة حوله فالشيخ محمد علي دبوز أراد إعداد القارئ أولا قبل القراءة.

وربما يتضح لنا من خلال منهجه هذا في تقديم بعض التعريفات الاصطلاحية على اللغوية، وفي نوع من الجدة و روح الإبداع لدى الشيخ، وذلك أنه فقه ذلك التداخل بين هذه المواضيع. و أدرك تشعب آراء المؤرخين والجامعين للمادة والدارسين والمحققين مما جعله ينطلق بالقارئ من الفرع إلى الأصل، وهو منهج احترام التسلسل المعرفي. ويكون بالانطلاق من المفهوم الاصطلاحي الخاص؛ لأن المفهوم اللغوي أو المعنى المعجمي أعم و أشمل، وهو يشكل الدلالة

الثابتة للفظ أو المصطلح خلاف المفهوم الاصطلاحي الذي يختلف من حقل لآخر ويتنوع حسب الاستعمال. ولذلك نجد الشيخ يذكر التعريف الاصطلاحي عند المؤرخين أولا، ثم يعود إلى تعريفه عند غيرهم والعلاقة تبقى قائمة بين اللغة والاصطلاح أي بين العام والخاص. وهو بذلك يمهد لطرح قضية نقدية كبرى وهي:

مسألة الطرح المفاهيمي العام والمؤسس[1].

أليات التنظير التاريخي بين المنهج واللامنهج:

وقد اعتبر الشيخ أن اكتساب وعي تاريخي وحده كفيل بتحرير الفرد العربي من الضياع في المطلقات والذوبان في التأثر بالمستعمر. وهو المدخل الضروري لكل إصلاح حقيقي وهو ما أشار إليه العروي : "إذا انطلقنا من الشعور الملح والمؤلم بالإصلاح؛ أي التجديد حقا؛ أي الهدم والبدء مجددا، فإننا نخضع لما هو مبطن في المفهوم من إبداع وإنشاء، من مبادرة وإقدام. ننطلق مرغمين من قضايا ملموسة، قضايا الحرب والاقتصاد والتربية والأسرة والسياسة. وهي كلها مكونات لمفهوم أعم هو مفهوم التاريخ.'' غير أن وجه الاختلاف يكمن في الهدم فالشيخ علي دبوز يؤمن بالتراكم المعرفي والافادة من الأصول للبناء[2] أما العروي فمسألة التوجه إلى الماضي يجعل المثقف حسبه منفصلا عن مشكلات الواقع وأسئلة الحاضر، لأن الفكر التقليدي

[1] - محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزء الأول، 2010، 46 -

[2] - المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص36 -

''لا يتحدد بأحكامه العينية بقدر ما يعرف بمنهجه المبني على أن الحقيقة موجودة كاملة في مكان ما وفي زمن ما. يكشف عنها من حين إلى حين ودفعة واحدة''. ويترتب عن ذلك أن المثقف التقليدي ينفصل عن محيطه ولا يكون له تأثير في مجتمعه: "المثقف عندنا لا يتحرر فعلا ، فلا يعين مجتمعه على التحرر لأنه ينفصل دائما عن المحيط الذي يعيش فيه وينتقل إلى عالم ماض يجعل منه الحقيقة المطلقة".

في مقابل ذلك يدرك الفرد، الذي اكتسب وعيا تاريخيا، أن الإنسان هو صانع التاريخ كما يقتنع بأن التطور التاريخي يسير في اتجاه واحد (من الماضي إلى المستقبل). وبذلك يصبح الفكر التاريخي أداة للتقدم والتطور (طفرة واقتصاد الزمن) لأنه يعطي للعمل منطقا ومفعولية، لأن ''الفكر التاريخي هو الذي يحرر المرء من الأوهام ويوجهه نحو الواقع والإنجاز[1].

لقد مثل الفكر التاريخي بالنسبة إلى الشيخ ''مقياس المعاصرة'' لأن التحرر من أوزار المستعمرين لن يتحقق إلا إذا اكتسب العرب وعيا تاريخيا ومن دونه ''تغرق كل فكرة في بحر الحاضر الدائم، أي ترجع إلى أرضية الفكر الاستشراقي''. ولذلك تظهر التاريخانية اليوم بِدُعاتها بوصفها الوسيلة المثلى التي تمكن العرب من تجاوز حالة

[1]- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، 2004م، ص12.

التأخر الحضاري، فقد ظل السؤال الأهم بالنسبة إليه هو ''كيف يمكن للفكر العربي أن يستوعب مكتسبات اللبرالية قبل (وبدون أن يعيش مرحلة اللبرالية)". وقد أكد داعية التاريخانية أن استيعاب مكتسبات الحداثة كما بلورها الغرب الحديث سيظل على رأس جدول أعمال الفكر العربي المعاصر مهما طال الزمان

إن عودتنا، في هذه الدراسة، إلى بعض المصنفات لم تتم بغرض الإحاطة الشاملة بعناصر مشروعه الفكري بقدر ما توخينا إعادة بناء وتركيب أهم الإشكالات التي خاض فيها من أجل لفت الانتباه إلى أطروحاته المؤسسة على المستوى النظري والتنظيري. وذلك في أفق الدعوة إلى فتح نقاش واسع حول مجمل الآراء التي قدمها هذا المفكر في دراساته وأبحاثه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن محاورة أفكار ومقترحات الشيخ علي دبوز ينبغي أن تكون مقاربة لزوايا التأليف وأصوله المتعارف عليها، لأن خير تقدير لجهوده الفكرية، القراءة النقدية الواعية لأعماله من أجل سبر أغوار هذا الجني المثمر الذي تطرحه اللحظة المغربية والعربية الراهنة. بوصف هذه الأعمال جهدا فكريا متميزا أسهم بصورة فعالة في صياغة الملامح البارزة لنظرية الإصلاح ومشاريع التطوير والتحديث في الوطن العربي.

وقد ارتأينا من خلال هذه الوريقات مساءلة المنجز الفكري الذي بلوره الشيخ الدبوز من خلال مسار علمي وفكري حافل. وذلك بغرض تقديم الخطوط العريضة لمجمل رؤياه الثقافية التاريخية، بما

يمكن من إعادة الكشف عن أسباب التأخر التاريخي الذي ظل سمة ملازمة لواقع المجتمعات العربية ومساعدتها على الانخراط في حركة التاريخ العالمي.

تميز آليات الكتابة التاريخية عند الشيخ الدبوز المجال التوفيقي الوسطي بين مجمل الآراء والنصوص. وذلك ضمن خطة تروم تشخيص مفارقات الوعي الممنهج باعتبارها خطوة ضرورية لانطلاق البحث التاريخي والتحقيق من رؤية فكرية تأخذ بعين الاعتبار معطيات الواقع ووقائع التاريخ، حيث تظهر المعاينة الدقيقة لكتابات الشيخ محمد علي أنه يوظف أدوات منهجية وإجرائية تعود إلى حقول معرفية متنوعة ساعدته على صياغة خطاب استدلالي متماسك حول حضارة بلاد المغرب وأصول سكانها، وقد تداخل في دراسات الشيخ ''البحث التاريخي'' والتحليل السياسي الاجتماعي'' والتوضيح الإيديولوجي. وقد مكنته هذه المنهجية التحليلية من تشخيص مفارقات الوعي العربي المتأثر بالاستعمار والاستشراق والاستغراب وهو ما مثل بالنسبة إليه، حاجزا معرفيا يحول دون تحقيق النهضة الحضارية المنشودة. وقد شكلت هذه الغاية البعيدة دافع التأليف والكتابة عند الشيخ الذي بلوره ضمن مصنفاته.

ومن أساليب التحقيق التي اعتمدها الشيخ محمد علي[1] وسنقتصر

[1]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص 43.

في هذا المقام على أساليب الأخذ بالرواية في التاريخ الإسلامي نذكر بعضها مجملا:

- اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر
- الفهم الصحيح للإيمان ، و دوره في تفسير الأحداث.
- أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين
- العوامل المؤثرة في حركة التاريخ
- العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم والتثبت فيما يقال عنهم
- الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف.
- العبرة بكثرة الفضائل.
- إحالة الحوادث على الخطإ في الاجتهاد.
- الطريقة المثلى في معالجة القضايا والأخطاء.
- معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين.
- مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة.
- المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، للدكتور محمد رشاد خليل

تصورات ورؤى حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في فكر الشيخ:

إن منهج تفسير الإسلام للتاريخ هو المنطلق الوحيد للنظر في التاريخ الإسلامي العربي وإعادة كتابته من جديد، فإن التاريخ

المكتوب الآن واقع تحت تأثير النظرة الاستشراقية التي تغض من شأن الإسلام لحساب خلفياتها الاستعمارية، أو النظرة القاصرة التي تستمد قدرتها من العقلية الغربية المسيحية التي لم تستوعب الفارق البعيد بين العقائد والأخلاق والقيم التي تنطلق من مصدر واحد وهو أن الإسلام دين عبادي لاهوتي محض، وهي نظرة المسيحية أو نظرة الفكر الغربي المسيحي التي لا تعترف بأن الإسلام إنما هو نظام اجتماعي ومنهج حياة أصلًا وأن الدين بمعنى العبادة واللاهوت جزء منه.

لذا ظهرت مجموعة من التوصيات والإجراءات المنهجية الواجب اتباعها لتنقية التاريخ الإسلامي من شوائب عديدة أصابته وأجمع عليها أغلب المشتغلين بعلم التاريخ، ومنها: ضرورة تنقية التاريخ الإسلامي من الروايات المكذوبة، فبعض الروايات في التاريخ والتراث الإسلامي تحتاج إلى تمحيص وإعادة نظر وإعمال العقل واستخدام طرق التحقيق المختلفة للوصول إلى صدق الروايات الواردة واستبعاد ما هو مكذوب أو منافٍ للعقل.

ولا بد أيضًا من تطهير سجلات التاريخ الإسلامي من الأوهام التي التصقت به، وإزالة الأشواك والألغام التي وضعها كتاب السلاطين، وما جاء لترضية الأحزاب وفئات صغيرة بتزوير الحقائق، فحملوا أقلامهم بسهولة وكتبوا ما حلا لهم، وجاء مِن بعدهم مَن أخذ بهذه الأخبار

دون تمحيص وتدقيق فتحولت بعد عقود إلى حقائق.

ولا بد من العودة للبحث عن تاريخ الفئات المهمشة التي غفل عن ذكرها أغلب المؤرخين، ولا بد أيضًا من إعادة كتابة التاريخ وفق المعطيات العلمية التي تحاول الوصول إلى الحقيقة من خلال ما هو موجود من الأخبار والقرائن النفسية والاجتماعية.

وفي الحقيقة كل ما سبق لا يتأتى إلا في حالة توافر شروط أساسية للمؤرخ المطلع بتلك المَهمَّة الصعبة وهو ما يعرف بالمؤرخ الموضوعي.

كما ظهر أيضا لدى الباحثين المغاربة أنه من المهم جدا الاهتمام بالتاريخ الجهوي الذي يسميه البعض بالتاريخ الهامشي، إذ شكل عمل ''أحمد التوفيق[1] ''نوعا من التجديد في الكتابة التاريخية المغربية ، ونذكر أيضا في ذات السياق عمل ''عبد الرحمن المودن'' الذي وظف مفهوم المجال لفهم بنية البوادي المغربية، قبل الاستعمار2)

كما يقارب ''محمد حبيدة'' حصيلة المدرسة التاريخية بالمغرب، بين

[1]- لمنصور أحمد،(2006)، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع و الدولة و الدين، (1792-1822) ترجمة محمد حبيدة، الدار البيضاء،ص32.

[2] - المودن عبد الرحمن،(1995)، البوادي المغربية قبل الاستعمار : قبائل إيناون و المخزن بين القرن السادس عشر و التاسع عشر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، بالرباط، ص51

فترتين: فترة اتسمت بتراكم نظري معرفي وأدوات منهجية مضبوطة، وفترة اتسمت بغياب الرؤية بفعل القصور اللغوي والأحكام الجاهزة اتجاه الإنتاجات الاستعمارية (...)، والحال أن القراءة النقدية هي التي ترفع من مكانة المعرفة في التاريخ كما في الميادين الأخرى[1].

خاتمة:

ومما نخلص إليه أن الشيخ محمد علي دبوز من خلال مساره في الكتابة التاريخية وتحقيقه للكتب كانت له رؤية متميزة في امتلاك آليات الكتابة المفتوحة التي تتجاوز حيز الزمان والمكان وهو ما جعل من منهجه هذا يؤصل لقضايا كبرى في التأليف والتصنيف والكتابة والتحقيق، ويمكن أن نجمل مجموعة من النقاط فيما يأتي:

يعتمد الشيخ السماع والأخذ من المصادر الحية في التوثيق والكتابة التاريخية وهو ما يجعل من مذهبه هذا أكثر موضوعية في الطرح وأقرب للعلمية المنشودة في المذاهب المعاصرة

يستدل المؤلف بمنهج ابن خلدون وبعض كلامه في التأريخ للمغرب الكبير وأهله ويضيف بعض الآليات محققا في نسب السكان

---

[1]- موران ادغار،(2002)، التربية على المستقبل، المعارف السبع الضرورية للتربية على المستقبل، ترجمة عزيز لزرق و منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، منشورات اليونسكو، ط1. ص73.

الأصليين للمغرب.

- يطرح الشيخ بعض القضايا في منهج الكتابة التاريخية مثيرا نقطة حساسة تتعلق بمسألة التأثر والاستشراق الخالي من الموضوعية والعلمية.
- يركز الشيخ في مرحلة التاريخ الإسلامي بالمغرب الكبير على دور الإسلام في ضبط الفرد وإعداده نفسيا وأخلاقيا واجتماعيا وإنسانيا...
- يعتمد الشيخ في آليات الكتابة مجالسة الشيوخ وأهل الاختصاص وهذه الظاهرة قل من يعتمد عليها مما يعكس أمانة الشيخ وحرصه على التحقق والتحقيق العلمي المنشود.

وفي الأخير نشير إلى أن الشيخ محمد علي دبوز تراث ثري باق حافظ للأمة مجدها من خلال كتاباته المختلفة وفكره الموسوعي، ولعل هذه الوريقات هي إثارة فقط للباحث ليخوض غمار هذا التراث وهذه الحضارة العريقة مع هذا العلم الفذ.

قائمة المراجع:

- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، 2004م
- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، الجزء الأول+ الجزء الثاني والثالث.
- محمد حناوي، دليل مصطلحات في التاريخ الأوربي الوسيط، الرباط، دار أبي رقراق، 2003.
- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة1، 1990
- لمنصور أحمد،(2006)، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع و الدولة و لدين، (1792-1822) ترجمة محمد حبيدة، الدار البيضاء
- المودن عبد الرحمان،(1995)، البوادي المغربية قبل الاستعمار : قبائل إيناون و المخزن بين القرن السادس عشر و التاسع عشر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، بالرباط
- موران ادغار،(2002)، التربية على المستقبل، المعارف السبع الضرورية للتربية على المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، منشورات اليونسكو، ط1
- يوسف بن يحيى الواهج (الشيخ محمد علي دبوز)

https://alkotb.wordpress.com/2012/02/14

الاستفادة من كتب الشيخ محمد علي دبوز في دراسة اجتماعية حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شارلوت كوري
جامعة ليون ٣ - فرنسا

أشكركم على الدعوة إلى هذا الملتقى الدولي عن المؤرخ والأديب والمربّي الشيخ محمد علي دبّوز. سأعالج في مداخلتي استفاد كتب الشيخ في دراسة اجتماعية عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قمت بها بين ٢٠١٢ و٢٠١٦ في إطار أطروحة الدكتوراه في باريس اهتممت فيها بتاريخ جمعية العلماء منذ الثلاثينات إلى التسعينات من القرن العشرين[1].

أما بعد ففي إطار دراستي عن الجمعية، قمت بتحليل مسار أعضاء الجمعية وكنت أبحث عن معلوماتهم الشخصية و عناصر عن السيرات الذاتية. اكتشفت بفضل زميلي أوغوستان جوميي (الذي

1نشر كتاب من هذه الدراسة ولكنه ليس متاحا في الجزائر حتى الآن مع الأسف.

يشارك أيضا في الملتقى) عن كتاب الشيخ دبوز اسمه أعلام الاصلاح في الجزائر واتّضح أنه مفيد جدا لفهم السياق التاريخي والإجتماعي فيما يخصّ أعضاء جمعية العلماء. فسأتوقف عند هذه النقطة في القسم الأول من مشاركتي وبعد ذلك سأعالج بُعد آخر ألا وهو مسألة التزام الشيخ دبوز في البيئة الثقافية العربية فيما بعد استقلال الجزائر.

لنبدأ باستفاد كتب الشيخ دبوز فيما يخص التاريخ الاجتماعي للجزائر عبر دراسة السيرات الذاتية اللتي جمعها في أعلام الاصلاح لأنها تحتوي على عناصر شخصية وتفاصيل اجتماعية مفيدة لفهم السياق التاريخي وخصوصا نجد فيها ملاحظات شخصية وذكريات تضيف بُعدا نادرا لترجمة العالم الذي يكتب الشيخ دبوز عنه، لأنه كان يعرف الكثير من العلماء القدماء و يستطيع عرض تفاصيل يجهله الجمهور. فبين هذه التفاصيل الاجتماعية، اهتممت كثيرا بدور النساء في عائلات العلماء فيما يتعلق بدفع التعليم وتشجيع الدراسة. على سبيل المثال، نجد معلومات عن والدة الشيخ بيوض التي كانت تربي ابنها وحيدة بعد وفاة الأب. ويتناول أيضا دور والدة الشيخ التبسي في نفس الوضع العائلي وهذه المعلومات نادرة جدا فيما كُتب حول العلماء.

فساهم الشيخ علي دبوز في تطوير أفكاري فيما يتعلق بالتاريخ

الاجتماعي وبالعلاقات العائلية ووفاة الأب المبكرة في حياة بعض العلماء.

أما الفترة فيما بعد الاستقلال، التي كانت في قلب دراستي عن العلماء وبناء الدولة الجزائرية المستقلة في مجال التربية والتعليم وفي مجال الشؤون الدينية، فكان إسهام الشيخ دبوز مُهمًّا أيضا بالنسبة إليّ فيما كتب عن تحديات عصره في العقود الأولى بعد الاستقلال. وفيها ما يتعلق بتاريخ و تأثير جمعية العلماء على البيئة الثقافية في الجزائر المستقلة لأنه نشركتاب أعلام الاصلاح في السبعينات بعد وفاة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رئيس الجمعية، سنة ١٩٦٥، التي دفعته إلى كتابة تراجم العلماء الجزائريين الأهم لكي يساهم في ذاكرة أنشطتهم وحياتهم وآثارهم. فقام بتأليف هذا الكتاب في سياق المناقشات عن إرث جمعية العلماء وعن مكان الإسلام في المجتمع الجزائري وأنماط جديدة من الالتزام السياسي من خلال بداية حركة يطلق عليها الإسلام السياسي. في هذا الإطار كانت تطرح مسألة الانتاج الثقافي باللغة العربية في الجزائر وتطويره في سياق سياسات التعريب. كانت هذه السياسات تثير الجدل في المجتمع الجزائري. ونلاحظ في بعض الكلمات التمهيدية في بداية أعلام الاصلاح سنة ١٩٧٤ أن الشيخ دبوز يأخذ موقفا عن الطباعة العربية كعنصر استقلال الجزائر. نشر كتبه عند دار البعث للنشر في قسنطينة رغم صعوبات وتكاليف الطباعة العربية في الجزائر في ذلك الوقت ويجعله موقفا سياسيا للوطن

ولتطور الفكر الدولي الجزائري. فساهم بتشجيع تطوير الطباعة العربية والنشر باللغة العربية في الجزائر المستقلة. ونرى كنتيجة هذا الالتزام أن النشر باللغة العربية ازدهر في الثمانيات في العالم العربي برمته وفي الجزائر بشكل خاص.

فتمثل شهادة الشيخ دبوز إسهاما مهما لكتابة تاريخ الجزائر فيما بعد الاستقلال وفيما يخص سياسات التعريب والتعليم والتنشير.

في الختام بودي أن أبرز أهمية مؤلفات الشيخ دبوز كمصدر تاريخي بالذات. لم يساهم فقط بمعرفة العلماء والمجتمع في الفترة الاستعمارية بل يوفر أيضا معلومات عن مجتمعه وعن زمنه وهذه المعلومات عن سياق نشر كتبه وهذه المعلومات لها نفس الفائدة والمصلحة مثل المعلومات التي سجلها في مؤلفاته. فمن البديهي أن مؤلفات الشيخ دبوز لها أبعاد علمية واجتماعية وتاريخية مفيدة لكل مؤرخ اليوم في مجال تاريخ الجزائر برمته.

أشكركم على الانتباه وأتمنى أن هذه المداخلة القصيرة ستساهم بتواضع بالتفكير والتعريف بهذه الشخصية المهمة.

فهرس المحتوى

الديباجة: 03
كلمة جامعة غرداية ومخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية: ألقاها أ.د/ إبراهيم بن بكير بحاز 11
كلمة جمعية التراث: ألقاها الأستاذ د/ مصطفى بن صالح باجو 13
كلمة مكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز: ألقاها د/ سعيد بن الشيخ محمد علي دبوز 16
كلمة اللجنة العلمية للملتقى ألقاها أ.د/ الحاج أمحمد يحيى بن بهون... 20

محاضرات المحور الأول: حياة الشّيخ محمد علي دبوز

التعريف بالشيخ محمد علي دبوز: نسبا ونشأة وتكوينا: أ. سكينة عبد المالك، د. سيدي محمد بن مالك 25
الشيخ محمد علي دبوز حياته وآثاره الباحثة: أ. ناصري حفصة، د. شريف بموسى عبد القادر 47
معالم شخصية الشيخ محمد علي دبوز: د / عمر شطة.....73
الشيخ محمد علي دبوز والرحلة في طلب العلم بين القرارة وتونس والقاهرة: أ. عبد السلام علاوي، د. يمينة بن الصغير 88
رحلة الشيخ محمّد علي دبّور العلمية ومحطّات حياته: أ. بن حرمة هجيرة، أ .د. خالد بوزيان 107

دور الرّحلة في حياة الشّيخ محمّد علي دبّوز: د/ أحلام عثامنية، أ. نهاد حسني 150
علاقات الشيخ دبوز بتونس والقاهرة وجربة وبداخل الوطن: أ/ أحمد بن مهني بن سعيد 187
عوامـل النجاح في شخصيـة الشيخ محمد علي دبوز: د/ مصطفى باجو: 211

محاضرات المحور الثاني: الشّيخ محمد علي دبوز مؤرّخا

الشيخ محمد علي دبّوز المؤرخ الموسوعي: أ.د/ إبراهيم بحاز... 229
الشيخ محمد علي دبوز ومنهجيته في كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: د. بن عمر الحاج موسى 256
منهجية التأليف عند محمد دبوز في موسوعة " تاريخ المغرب الكبير": د/ عبد القادر العربي 309
قراءة في منهجية ومضمون كتاب " تاريخ المغرب الكبير " للشيخ محمد علي دبوز: د/ طاهر بخدة 345
الشيخ محمد علي دبوز ومنهجه في كتابه تاريخ المغرب الكبير: ا.م.د ياسر محمد ياسين البدري 375
بناء الأحداث التاريخية عند محمد علي دبوز-قيام الدولة الرستمية نموذجا-: أ/ أحمد بوشامة 408

آليات الكتابة التاريخية وسبل التحقيق في فكر الشيخ محمد علي دبوز: عبد الفتاح كرومي 430
الاستفادة من كتب الشيخ محمد علي دبوز في دراسة اجتماعية حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: شارلوت كوراي 453
فهرس المحتوى: 457